الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعلـيـم العـالي و البحـث العلمـي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة مصطفى اسطمبولي

معسكر

Université Mustapha Stambouli

Mascara

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التــاريخ

مخبر: البحوث الاجتماعية والتاريخية

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث

تخصص : التاريخ الثقافي والديني للجزائر 1830- 1962

فرع: العلوم الإنسانية

العنوان:

إحياء المواسم الدينية المرتبطة بزيارة الأضرحة خلال فترة الاستعمار الفرنسي 1830-1962

تقديم الطالب: بنــافلة عـيسى

تحت إشراف: ا.د. هواري قبايلي

لجنة المناقشة:	الرتبـــة	الصفة	جامعة الانتماء
جاكر لحسن	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة معسكر
بشير بلمهدي علي	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة معسكر
برنو توفيق	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة معسكر
سلطانة عابد	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة وهران 1
رنيمة سيد احمد	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة وهران 1
هواري قبايلي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة معسكر

السنة الجامعية: 2024 / 2025

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

- الى والدي الكريمين أطال الله في عمرهما
- الى إخوتي الافاضل: محمد وبلال وأختي الطيبة
- الى صديقي عبد الله قبلي
- الى كل الزملاء
- الى كل من مدّ لي يد العون لإتمام هذه الأطروحة

إليكم جميعا اهدي ثمرة عملي هذا

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين على توفيقه لنا في هذا البحث، والذي أطال في عمرنا لنشارك الامة هذا البحث.

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والإمتنان لأستاذي ومشرفي الأستاذ قبايلي هواري الذي قدم لي كل الدعم، ورافقني لسنوات صابرا علي موجها وناصحا فكان أخًا وصديقا بسعة صدره وسمو أخلاقه.

الشكر موصول لأساتذة التاريخ بجامعة معسكر كل باسمه ووسمه، على دعمهم المعنوي والمادي.

الشكر موصول للجنة المناقشة التي ستثري هذا البحث نقدا وتعليقا وتوجيها وتصويبا.

الشكر موصول لمن له ولو النذر القليل في دعم هذا البحث.

المقدمة

المقدمة:

تعتبر طقوس شد الرحال وزيارة قبور الصلحاء ضاربة في الأزل ولا زالت مستمرة الى يومنا هذا، ولا تكاد تدخل بلدة او تمر بجبل أو واد إلا وتجد ضريحا أو رمزا لمرابط ، ودائما ما نجد الأضرحة على مداخل المدينة لحصول البركة وحماية المدينة من الأعداء أو على المرتفعات كالجبال حتى لقبت بقطب الرحى.

فظاهرة تقديس الاولياء بدأت منذ مرحلة متقدمة من انتشار الإسلام خاصة بين شعوب شمال افريقيا وأصبحت اضرحة الصلحاء توازي المساجد في حرمتها ووقارها، وارتبط الجزائريون كغيرهم بالأضرحة أيّما ارتباط حتى أصبحت تشد اليها الرحال من داخل الجزائر ومن خارجها، الأمر الذي لفت انتباه المستشرقين الفرنسيين خلال غزوهم للجزائر بين 1962/1830 فألفوا فيها الكتب رفعوا عنها التقارير وأوغلوا في التأريخ لها حتى أصبحت شغلهم الشاغل لما لها من بعدٍ روحي لدى الجزائريين، فكان موضوع دراستنا إحياء المواسم الدينية المرتبطة بالأضرحة خلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر.

سبب اختيار الموضوع:

من حسن المقادير والصدف أن عرض علينا ذاك اليوم الذي توجنا فيه من الناجحين في تخصص تاريخ الجزائر الديني والثقافي بين 1962/1830 مجموعة من المواضيع المرتبطة بالتخصص والفترة ومنها موضوع مرتبط بإحياء مواسم الاضرحة خلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر، وما يزيد هذا الموضوع أهمية اقتراحه من السيد المؤطر، لذلك فلم أتردد في الموافقة عليه باعتباره موضوع يحمل في طياته الكثير من الخبايا والحلقات الضائعة، كما أن الغموض الذي يشوبه جرّني إليه جرًّا، بل وبدا لي أن بحثا حول مواسم الاضرحة سيشكل عملا ذا أهمية خاصة وأنه ارتبط بفترة حساسة لحياة وللممارسات الدينية للجزائريين، الأمر الذي اوجب عليّ الغوص فيه مع احترام الخصوصيات وتفادي الحساسيات والتحلي بالمسؤولية، دون اهمال الحقيقة التاريخية التي تفرض بنفسها، وطرح الحقائق بموضوعية تامة تامة.

ولعل موضوع المواسم المرتبطة بالأضرحة يكتسي أهمية كبيرة لما لها من مكانة في نفوس شريحة كبيرة من الجزائريين الذين يحيونها في مواسم معينة وأيام ثابتة وبطقوس مشتركة بين شرائح المجتمع الجزائري على اختلاف مشاربه، وهذا الموضوع لا يمكن الاكتفاء فيه بالقراءة التاريخية سردا ووصفا، بل من الضرورة بما كان الإلمام به من كل الجوانب، انتروبولوجيا وسوسيولوجيا بل ودينيا، فالحضور القياسي (عددا) بمختلف شرائح المجتمع يفرض علينا قراءة سوسيولوجية للظاهرة، والطقوس الممارسة فيه والموروثة منذ أمدٍ بعيد وتشابهها مع طقوس وممارسات في تجمعات بشرية غير إسلامية يحتم علينا قولبتها في قالب انتروبولوجي، وأمّا المواقف الدينية منها بين داعم ومستنكر وربطها بفرق إسلامية معينة تجعلنا نحيط بها فقها وتأصيلا.

حدود الدراسة:

ينتمي موضوع دراستنا إلى فترة الغزو الفرنسي للجزائر 1830-1962 وهي حقبة هامة في حياة الامة الجزائرية والملاحظ كذلك انها فترة شاسعة وطويلة جدا، وكلما كانت فترة الدراسة واسعة صعب التحكم فيها وضبطها، إلا ان موضوع المواسم الدينية يمكن تقسيمه الى قسمين فترة ما قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أي ما قبل بداية القرن العشرين، وهي فترة اهتمام الإدارة الفرنسية بظاهرة المواسم الدينية ونشاط الاستشراق الفرنسي، وبعدها فترة ما بعد ظهور الجمعية حيث نشطت الحركة الإصلاحية واهتمت بالظاهرة في المجتمع الجزائري محذرة منها، دون أن نهمل جغرافية انتشار الظاهرة في مساحتنا الشاسعة، ضف إلى ذلك اختلاف عادات وأعراف قبائلها، بحيث فرضت علينا منهجيا توحيد الطقوس والممارسات المرتبطة بالأضرحة فيما تشابه والإشارة الى ما اختلف منها دون الاخلال بها واعتماد النمذجة.

الإشكالية:

تتمحور الإشكالية الرئيسية لهذا الموضوع حول طبيعة الطقوس والممارسات التي تحييها بعض شرائح المجتمع الجزائري امام الاضرحة في مواسم معينة وذلك اثناء الغزو الفرنسي للجزائر بين 1962/1830 ، وانطلاقا من هذا يمكن صياغة الإشكالية كما يلي: الى أي مدى شكلت

طقوس إحياء مواسم زيارة الأضرحة أهم التظاهرات الدينية ؟ وماهي أهم تمظهراتها الاجتماعية والثقافية؟

للإجابة على هذه الاشكالية و الاحاطة بالموضوع من جميع الجوانب اعتمدنا خطة مكونة من مقدمة وخمسة فصول، اعقبناهم بخاتمة ومجموعة من الملاحق.

افتتحنا دراستنا هذه بمدخل موسوم بالإطار المعرفي و المفاهيمي لظاهرة المواسم والتأصيل لها، جاء في مبحثه الأول الاطار المعرفي والمفاهيمي لمجموعة من المصطلحات المركبة لموضوعنا والتي سنتداولها كثيرا، فحاولنا ان نضبطها تعريفا وتأصيلا، أما المبحث الثاني المعنون تاريخية الاضرحة وحضورها في الديانات، تم فيه التأصيل لظاهرة الاضرحة عند الأمم السابقة من غير المسلمين وصولا الى شيوع ظاهرة الاضرحة عند المسلمين، وختمنا فصلنا هذا بمبحث جاء بعنوان أصول الولاية وارتباطها بظاهرة الصلحاء ضبطنا خلاله ماهية الولي والولاية، ثم أنواع الاولياء، وصولا الى تحول المرابط الى ولي صالح مقدس.

اما الفصل الثاني الموسوم بمواسم اللأضرحة طقسا وممارسة، قسمناه الى ثلاثة مباحث، جاء في المبحث الأول المعنون بظاهرة الصلاح وارتباطها بالاضرحة انطلاقا من انتشار الصلحاء ومكانتهم في المجتمع الجزائري، وصولا الى مركبات الضريح وسيميولوجياته، أما المبحث الثاني المعنون بإحياء المواسم الدينية خلال فترة الاستعمار الفرنسي، حيث تم فيه التأصيل لمواسم وشهودها، الى سيرورة المواسم والطقوس المرتبطة بها، اما المبحث الثالث الموسوم بزيارة سيدي عابد الذي اتخذناه انموذجا وهو موسم شائع ومشهود في الغرب الجزائري يأتيه الناس من كل حدب وصوب، حاولنا خلال هذا المبحث معرفة أصول سيدي عابد ونسبه، ومعرفة واقع هذه الزيارة وكيف ينظمها القائمون عليها بين أتباع الصالح والإدارة الفرنسية.

اما عن الفصل الثالث فارتأينا ان نخصصه للعلاقة بين الطرقيين الداعمين لظاهرة المواسم ورجال الإصلاح الناقمين على هذه الظاهرة والمحذرين منها، جاء هذا الفصل بعنوان الطرق الصوفية والحركة الإصلاحية بين التقاطع والقطيعة قسمناه الى ثلاثة مباحث جاء مبحثه الأول الأصول التاريخية للطرقية في الجزائر، فارتأينا التعريف بظاهرة التصوف وظهورها في الجزائر وصولا الى

ظهور الطرقية كظاهرة لها مفهومها وتأثيرها داخل المجتمع، اما المبحث الثاني المسمى الأصول التاريخية للإصلاح في الجزائر فكان ولابد من التعريف به والتأصيل له داخل الجزائر وخارجها ألى أن اصبح ظاهرة فاعلة وفكرة نافذة لدى الجزائريين، أما المبحث الثالث اهتدينا فيه الى ضبط العلاقة بين الطرقية والإصلاح ابتداء بالائتلاف والتوافق الى الخلاف والقطيعة بل والتصادم مع التركيز على المسائل الخلافية بينهم انطلاقا من البدعة والكرامة والولاية الى ظاهرة مواسم الاضرحة التي تعتبر مسألة خلافية بحق.

جاء في الفصل الرابع المعنون بجدلية المواسم عند الطرقيين والاستعمار بين الدعم والتضييق جاء فيه مبحثين الأول موسوم بالمواسم عند الطرقيين بين الدعم والتضييق، ركزنا فيه على مجموعة من المسائل برؤية ومفهوم طرقي، وأشرنا الى الممارسات الحاصلة في الاضرحة والاعتقادات الراسخة في اذهان الطرقيين، ختمنا هذا المبحث بقراءة منصفة لبعض الطرقيين الرافضين للغلو في التقديس، أما المبحث الثاني خصصناه لموقف الإدارة الفرنسية من ظاهرة المواسم فعنونا مبحثنا هذا بمواسم الاضرحة في دائرة اهتمام الاستعمار عرجنا خلاله على ظواهر ثلاث هي الاستعمار والاستشراق والانتروبولوجيا، وهي ظواهر متكاملة يخدم بعضها بعضا اهتمت بدراسة الاضرحة والتجمع حولها موسميا وألفت الكتب حولها لاختراق المجتمع الجزائري وتدجينه خدمة لمصالحه وكبح كل محاولة للنهضة، فنجد الاستعمار يشجع المواسم تارة ويقننها تارة أخرى ويمنع عند الحاجة الى منعها.

أمّا الفصل الأخير فجاء تحت مسمى الإصلاح بين التغلغل في المجتمع والتصدي للغلو في المواسم جاء في مبحثين في مبحثين مفصلين حسب الحاجة، جاء في الأول صدى الإصلاح ومختلف المواقف منه في المجتمع الجزائري، بحيث قسمنا رجال الإصلاح بين معتدل ومتشدّد، ثم شرحنا كيفية إيصال الإصلاح الى العامة ودوره في حلحلة وتوضيح بعض المفاهيم الشائعة لدى العامة محذرين من كل ما يمكن ان يفسد الناس ويخرجهم عن عقيدتهم وملتهم، اما المبحث الثاني وهو جوهر الفصل هذا موسوم بموقف الإصلاح من محدثات المواسم ركزنا فيه على دور رجال الإصلاح في توعية العامة وتحذيرهم من كل ما يجري عند الاضرحة في تلك المواسم من تقديس

للمضروح والبناء عليه والتقرب منه وظن النفع والضر فيه، والاستشفاء به وبأثره والنذر له وطلب القَطْرِ والولد منه.

أنهينا بحثنا هذا بخاتمة ضمناها مجموعة من الاستنتاجات التي خرجنا وتركنا الباب مفتوحا لافاق جديدة مرتبطة بهذا البحث او بجزئية منه، وألحقنا الخاتمة بمجموعة من الملاحق الوظيفية التي لها علاقة مباشرة بالبحث.

المنهج المتبع:

ولتسهيل عملية البحث والتنقيب عن ظاهرة مواسم الأضرحة اعتمدنا على المنهج التاريخي بشقه التحليلي باعتبار الظاهرة ظاهرة تاريخية من الضرورة تغطيتها تاريخيا، وبشقه السردي وصفا وتعليقا، ولا ريب ان الممارسات والطقوس أمام الاضرحة تستوجب اعتماد هذا المنهج لذكر كل ما يتم هناك بالتفصيل وربطه بظواهر أخرى تحاكيه وتشبهه في الفعل والقول.

ولا يمكن الوصول الى النتائج إلا باعتماد التحليل وتفسير الظواهر الحاصلة أمام الاضرحة ونقدها باعتماد مجموعة من القراءات لعلماء عالجوا ظاهرة المواسم والأضرحة من جوانب اخرى وإسقاط هذه القراءات على بعضها البعض، ثم مقارنتها فيما بينها محاكاة وواقعا بحكم نشأتي في بيئة يسود فيها تعظيم قوي للممارسات المعظمة لأضرحة الصالحين ومواسمهم.

مصادر الدراسة:

وللوصول الى النتائج المرجوة وتحقيق الجانب الأكاديمي للدراسة، لابد من توفير مادة علمية باختلاف مصادرها التي تمكننا من الحقيقة التاريخية للحدث والظاهرة، وعليه كان لزاما علينا توفير المادة الارشيفية خاصة ما تعلق بلب الموضوع وهو الحيثيات المحيطة بالمواسم والطقوس الممارسة امام الضريح والتفاعلات التي تخلقها الظاهرة سوسيولوجيا، وردود الأفعال بين محب مغتالٍ ومحب ومبغض ناقم وهنا انا ملزم بالتوجه بالشكر الجزيل لكل من السادة الأساتذة قبايلي هواري وعلي بشير بلمهدي وسلطانة عابد، الذين وفروا قدرا هاما من الوثائق الأرشيفية لخدمة هذا الموضوع.

وظاهرة المواسم هذه قد عاصرها عدد كبير من المستشرقين والانتروبولوجيين الفرنسيين وغيرهم الذين درسوا عن الظاهرة انبهارا بها أو خدمة للإدارة الفرنسية قصد فهم وتأطير الأهالي ، كما ولا يخفى على دارس للتاريخ خاصة مطلع القرن العشرين ان النشاط الصحفي قد انتشر وساد الجزائر لذلك فقد دونت الصحافة ونشرت ما لا يعد ولا يحصى من المقالات، بل وخصصت أعمدة أسبوعية لسرد ما يجري عند الأضرحة خاصة في تلك المواسم، لذا نعتبر الصحف بلغتيها المحلية العربية والصحافة الأجنبية الفرنسية كانت بالنسبة لنا مادة دسمة وعمودا مهمًا لدراستنا بغض النظر عن توجهها وايديولجيتها مع ضرورة التمحيص والتنقيح، بالإضافة الى عديد الدراسات الجامعية ولو انها كانت شحيحة عالجت بعض الجوانب في الموضوع.

1-الأرشيف:

اعتمدنا على بعض الوثائق الارشيفية لعمالة وهران المحفوظة بمركز الأرشيف" اكس ان بروفانس" وخاصة ما ارتبط بوعدة سيدي عابد والمخططات الأمنية التي كانت تضعها الأجهزة الأمنية لتنظيم هذه الزيارة سنويا، وهي عبارة عن تقارير ورخص ومراسلات من والى رئيس بلدية **Inkerman** انكرمان " وادي ارهيو حاليا" بين 1923 الى 1943 مراسلات الى الحكومة العامة بالعاصمة او الى رئيس دائرة وهران او دائرة مستغانم فيها طلبات للتغطية الأمنية وتكثيف المجهودات لتفادي حدوث اضطرابات سبب التوافد الكبير للزوار واتباع سيدي عابد، ، ولاصدقكم القول وجدت شيئا من الصعوبة في التعامل معها وفي كيفية توظيفها.

2- الصحف والجرائد:

لقد غطت الصحافة المحلية والفرنسية جزءا هاما من ظاهرة المواسم الدينية عند الاضرحة خاصة وان هذا الحدث كان يتكرر سنويا وفي مناطق عدة من ارض الوطن فلقد وجدنا فيها ضالتنا خاصة الصحف المحلية على غرار صحف جمعية العلماء المسلمين وعلى اختلافها (البصائر، الشهاب، الصراط، السنة، الشريعة....الخ) فقد سردت لنا كل الممارسات الحاصلة موسميا عند الاضرحة بل وصل ببعض صحفييها الى الوقوف على هذه المواسم كما حصل مع الزاهري في زيارة سيدي عابد، بل واعتمدناه في ابداء مواقف رجال الإصلاح من هذه المواسم

وفتاويهم حولها، والأمر ذاته ينطبق على صحف الطرقيين كالبلاغ ولسان فهما جريدتين مهمتين استقينا منهما مواقفهما منا المواسم وعلاقة علماء الطرق الصوفية مع رجال الإصلاح وعامة الجزائريين.

كما لا يفوتنا ان نذكر اننا وجدنا بعض الجوانب والأحداث المهمة والمتعلقة بالمواسم في الجرائد الأجنبية الفرنسية المعاصرة لهذا الحدث السنوي على غرار:

- **(L'Afrique du Nord illustrée, le Progrès)** .

-المصادر والمراجع المطبوعة:

موضوع المواسم الدينية تعددت فيه القراءات وتناوله الكتاب بتخصصاتهم ومشاربهم المختلفة لهذا نجد فسيفساء مهمة للإحاطة بالموضوع وباللغتين العربية والأجنبية وسنحاول أن نستعرض بعض منها والاهم فالمهم وأكثر الكتب حضورا في دراستي هو كتاب رسالة الشرك ومظاهره لصاحبه مبارك الميلي لتناوله الظاهرة كلية ومن كل جوانبها سردا ونقدا وبتفاصيلها، ولكتابي اثار ابن باديس والإبراهيمي الحضور الدائم في رسالتي اعتبارهما أصحاب أقلام فياضة وسيّالة والأمر نفسه بالنسبة لكتاب الإسلام الصحيح للزواوي، ولا يفوتنا ان نستذكر كتب أبو اقاسم سعد الله خاصة كتاب تاريخ الجزائر الثقافي بجميع اجزائه فهو لبنة أساسية لدراسة كل ظاهرة ثقافية ودينية، ولكتب مالك ابن نبي الحظ الأوفر في دراستنا خاصة الفصلين الأخيرين باعتباره مفكر ورجل اصلاح من الرعيل الأول وقد عالج الظاهرة في مذكراته وفي بعض مؤلفاته، ككتاب شروط النهضة، مشكلات الحضارة، العفن، القضايا الكبرى وغيرها كثير.

ارتكزنا فيما ما تعلق بظاهرة التصوف على كتاب المقدمة لابن خلدون والرسالة القشيرية للقشيري، وفي مواقف الإصلاح على كتاب الاعتصام للشاطبي، وابن تيمية، وفي فهم المعاني والمصطلحات على لسان العرب لابن منظور.

ومن المراجع المهمة التي افادتنا كثيرا دراسة لنور الدين بولحية في كتابه جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، وهي دراسة مستفيضة مهمة جدا لكل باحث عن العلاقة بين الطرقيين والرجال الإصلاح ومواطن الائتلاف والخلاف بينهما وهي دراسة اكاديمية مهمة جدا

من ثلاثة أجزاء، والأمر نفسه بالنسبة لعلي مراد في كتاب الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر ، وكتاب الكفاح القومي والسياسي لعبد الرحمان ابن ابراهيم ابن عقون.

اما فيما تعلق بالكتب باللغة الأجنبية والفرنسية على وجه الخصوص فهي عديدة وخاصة التي ارتبطت بالدراسات الانتروبولوجية والسوسيولوجية للطقوس والممارسات الحاصلة في مواسم الاضرحة، ونحاول ان نذكر البعض منها حسب الأهمية والحضور في هذه الدراسة من ذلك ترومليTrumelét في كتبه:

-Blida récit selon légende-la traduction et l'histoire - Les saints de l'islam- L'Algerie légendaire.

-بالإضافة الى كتب دوتيه Doutté :

(Algerien en l'an 1900- Notes sur l'islam maghrébin- En Tribu)

-وكتب كل من ديبون وكابولاني - Octave Depont et Xavier Coppolani

- الطرق الدينية الإسلامية (les confrèrie religieuse musulmanes)

وكتاب المرابطون الاخوان للويس رين:

- Louis Rinn,Marabouts et khouan-étude sur L'islam en Algérie.

وكتاب تاريخ الشعوب الشرقية القديمة لصاحبه ماسبيرو:

- Maspéro : Histoire ancienne des peuples de l'Orient .

وكتاب تقديس الاولياء في الإسلام المغاربي لصاحبه درمنغهام:

-Emile Dermenghem :le culte des saint dans l'islam maghrébin .

وهي كلها كتابات ذات قيمة علمية عالية اعتمدتها في الفصل الثاني بخاصة.

لم اعتمد إلا نادرا على الرسائل الجامعية إرادة مني في الوصول الى مصادر البحث مباشرة، ولغياب الدراسات المتخصصة عن هذا الموضوع إلا فيما احتجناه في العلاقة بين الطرقيين والجمعية كرسالتي الماجستير لمازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية 1921-1931، ورسالة رابح فلاحي، جامع الزيتونة والحركة

الإصلاحية في الجزائر (1908-1954)، والأمر نفسه بالنسبة لدكتوراه بشير فايد تحت عنوان قضايا العرب والمسلمين في اثار الشيخ البشير الابراهيمي والأمير شكيب أرسلان.

والأمر نفسه بالنسبة للمقالات حيث اعتمدت على مقالين لكل من سليم أوفة، الشيخ عبد القادر المجاوي وإسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة 1848-1914 و محمد البرج، الجزائر في كتابات محمد عبده.

من الضرورة بما كان الإشارة الى عنصرية الكتابات الفرنسية الاستشراقية وميولها الفاضح الواضح في تشويه كل ما هو جزائري إسلامي، وعدم الوقوف موقفا وسطا واعتدالا في كتاباتهم التي راحت تسيء الى المجتمع الجزائري واتهامه بطلانا وزورا بالتخلف والتردي، وربط كل ما هو جزائري بالغرب الصليبي والتشهير والإساءة للفرد المسلم الجزائري.

هذا والملاحظ في بعض الكتابات المحلية التشدد والتعصب واتهام كل طرف لآخر جهارا نهاراً،الامر الذي جعلنا نتفادى الخوض في عديد القضايا ونشر غسيلنا للآخر والابتعاد قدر المستطاع لتجنب القدح في عقول المعايشين لتلك الفترة حماية لألسنتنا من الطعن في علمائنا ومفكرينا.

-الصعوبات:

أولى الصعوبات التي واجهتها هي إشكالية ضبط ماهية مواسم الاضرحة ومرت قرابة السنتين وحصل تعديل على عنوان الاطروحة لضبطه نهائيا تحت عنوان المواسم المرتبطة بالأضرحة، الأمر الثاني ان دراسة هذا الموضوع بداية في ظروف سياسية عرفت بحراك الجزائر سنة 2019 أعقبتها فترة جائحة كورونا اين أغلقت المكتبات ومراكز البحث لقرابة السنة لتفرض بعدها علينا قيود الدخول والخروج الى مراكز البحث والحركة من والى مدن معينة، مع ضعف الأرصدة البحثية الارشيفية ربما افقد بحثنا عديد المعلومات المهمة، ضف الى ذلك ارتباطاتنا العملية بحكم مزاولتي مهنة التدريس في الطور الثانوي ولنا التزامات نحو تلاميذنا وهيئتنا المستخدمة.

كما ولا يسعني في الأخير ان أتقدم بخالص الشكر لاعضاء لجنة المناقشة الموقرين، وكذا الشكر موصول لأستاذي أو لأقل أخي المشرف الأستاذ هواري قبايلي الذي كان مصباحا في الليالي الحالكات ومرافقا لي طوال فترات البحث هذا ورعى هذا البحث بعناية موجها لي ومثريا للبحث حتى أصبح على الشكل الذي هو عليه الآن.

الفصل الاول:

الاطار المعرفي والمفاهيمي لظاهرة المواسم والتأصيل لها

المبحث الأول: الاطار المعرفي والمفاهيمي

1- الدين

2- المعتقد

3- الطقس

4- الأسطورة

5- المقدس

6- المواسم

7-الاضرحة

المبحث الثاني: تاريخية الأضرحة وحضورها في الديانات

1 – عند غير المسلمين

2- عند المسلمين

المبحث الثالث: أصول الولاية وارتباطها بالصلحاء

1- الولي والولاية

2- من الرباط الى القداسة

-الاطار المعرفي والمفاهيمي:

كان حريا بنا الإحاطة بادئ ذي بدء بمفهوم الدين باعتباره هو الحاضن الحقيقي للظاهرة ومركباتها، بحكم أن ظاهرة المواسم المرتبطة بالأضرحة ظاهرة من الظواهر الدينية القديمة قدم الإنسان.

1- مفهوم الدين:

فهو كما يقول سبنسر (Spencer) "الإحساس الذي نشعر به حينما نغوص في بحر من الأسرار"، اما ماكس مولر (Max Muller) فيعتبره" إحساس لا متناهي" ويراه شليرماخر (Schleirmacher) "خضوع الإنسان إلى موجود أعلى" ،ويراه فورباخ (Feurbach)"الغريزة التي تدفعنا إلى السعادة" ،ولكن كل هذه المفاهيم تبقى علمية كما يقول سامي النشار، (فدور كايم- Durkheim) فرق بين الأديان المتعلقة بالآلهة و الخارجة عن نطاقها، ويعطي مثالا عن ذلك بالنسبة للبوذية التي يراها أنها أخلاق من دون دين[1]،ويقسم الظواهر الدينية الى معتقدات وهي حالات فكرية، وعبادات وممارسات جسمية كما هو الحال عند المسلمين (الأصول والفروع).[2] هنا يمكن فهم الدين من زوايا مختلفة:

-ان الدين يبرز في قوى كـ (الإله ، العبقريات،الشياطين،التمائم ،السلف ...) أو في الاوساط المقدسة اين يمكن أن نجد هاته القوى (الحجر، الشجر، المياه والحيوانات...)

-اهتمام الدين بالإنسان المقدس كفرد (الساحر،الملك والكاهن)،أو جماعات (العشائر القبائل،الطائفة)، والأشياء الروحانية في الإنسان (النفس،الروح).

-إمكانية تحويل الخبرة الدينية الى مقاصد نظرية (العقيدة والمذهب)، وعملية ممارساتية (عبادات، وشعائر وأعياد)، وثقافية يمكن اسقاطها على شرائح المجتمع التاجر،الفلاح،المحارب) وحتى تاريخية نظرا لتغير بعض الديانات عبر التاريخ وهي إمّا وضعية او محرفة كما سيأتي ذكره.[3]

---

[1] علي سامي النشار، نشأة الدين النظريات التطورية والمؤلهة ،دار السلام ،ط1،2009،القاهرة،ص24-26

[2] نفسه ،ص27

[3] كلوود ريفيير، الانتروبولوجيا الاجتماعية للباديان ، ترجمة أسامة نبيل،ط1،2015،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،القاهرة، ص 36

تجدر الاشارة الى ان الخوض في دراسة انتروبولوجيا الأديان كان امرا صعبا للغاية، خاصة في ما يخص مسألة التواصل مع تلك المجتمعات والمصطلحات المتداولة لديها كالطوطم[1] لدى هنود أمريكا الشمالية والتابو في بولينيزيا والمانا في ميلانيزيا والبركة لدى عرب شمال افريقيا [2].

ويذهب يوسف شلحت إلى أن الدين متعدد الوظائف باعتباره ظاهرة سوسيولوجية ذات أبعاد سياسية واقتصادية وثقافية، فقد أراد نقض فرضية النظرية القائمة على اعتبار الديانات (عبادة للأموات) ويؤكد سوسيولوجيا واثنولوجيا ان الديانات أقدم من عبادة الأموات، بحجة أن دفن الميت لم يحدث تاريخيا إلا في مجتمعات تعتقد بوجود عالم آخر، وعليه فإن الأديان هي التي أسست في الجماعات عقيدة دفن الأموات وجعل عالم الأموات (المقابر والأضرحة) متواصلا مع عالم الأحياء خصوصا في القبائل المستقرة في المدن، أما عبادة الأموات كظاهرة اجتماعية فتندرج في سياق المجتمع المتطور الذي يواصل توقير رجالاته في حياتهم ثم مماتهم[3]، ويواصل قائلا "ان العقائد الدينية هي من صنع المجتمعات عبر تغيرها وتطورها وليست صنع أفراد (رسل، رجال دين عرافون وكهنة.) فهم مجرد محترفين للمهنة الدينية المقدسة"،كما يفرق بين مجتمعات دينية طوطمية (مقدس غير بشري) ومجتمعات دينية نبوية.[4]

في حين يذهب حسن حنفي إلى أن الدين هو "نظام حياة للأفراد والجماعات والإنسانية جمعاء، فيه يتفق نظام المجتمع مع النظام الكوني الرباني ، فكل ما هو خارج عنه فليس من الدين".[5]

---

[1] الطوطم (totem) لفظ منقول عن قبيلة الفونكين في شمال أمريكا وهو المعبود من حيوانات و نباتات وجمادات،ليصبح فيما بعد شيئا يقصد به الانتماء أي الأشخاص الذين يقدسون نفس الرمز.اما المانا (mana) فنسبة الى الميلانيزيين بجزيرة فيجي ويقصد بالأمر الغامض في ظاهرة ما ،أما الطابو او التابو (tapu) فهو مستعار من اللغة البولينيزية ويعني عملية منع ذات سمة مقدسة إلى جانب كل ما هو محرم سواء نجس أو مقدس (انظر كلوود ريفيير،المرجع السابق من ص 58الى ص64)

[2] ا.ايفنز بريتشارد،الاناسة المجتمعية وديانة البدائيين في نظرية الاناسين،ترجمة حسن قبيسي ،دار الحداثة،بيروت ،لبنان، ط1 ، 1986 ، ص164.

[3] يوسف شلحت، نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني (الطوطمية–اليهودية–النصرانية–الإسلام)، تحقيق خليل احمد خليل، دار الفرابي ، بيروت ، لبنان، ط1 ، 2003 ، ص14–15.

[4] يوسف شلحت ، مرجع سابق، ص 16.

[5] حسن حنفي، في الثقافة السياسية – أراء حول أزمة الفكر والممارسة في الوطن العربي ،دار علاء الدين، دمشق، ط1 ،1998 ،ص302.

وعليه مما سبق يظهر لنا ان للدين مكونات أساسية منها ما هو فكري متمثل في المعتقد، وما هو ممارساتي وهو الطقس، وما هو خرافي دخيل مقدس وهو الأسطورة.

2-المعتقد:

لغة: عقد عقدا الحبل وهو نقيض حله، وعقد على الشيء أي عاهد عليه وعقد على الشيء أي ولاه عليه، وعقد عليه قلبه وضميره أي تدين به، والعقيدة جمعها عقائد وهو ما تدين به واعتقدها الإنسان[1]، وهو ما يؤمن به الإنسان ويعتقده كوجود الإنسان وبعثة الرسل والعقاب والجزاء.[2]

يجب الإشارة إلى أن المعتقدات لا توجد إلا في الديانات المرتقية،لأن هاته المجتمعات مبدأ الشك سائد فيها ولأن رقي الديانات مربوط بسمو فكر المجتمعات التي لا تؤمن بالأساطير التي لطالما آمنت المجتمعات البدائية بها، ومن الضروري دراسة المعتقد من ناحيتين:

الأولى اجتماعية لأن السواد الأعظم من المجتمع صدقه وسلم به وتخصه.

والثانية من الناحية الفلسفية لأن من نظّر له هم رجال الدين فعبروا عنه بفكر فلسفي.[3]

فهي بذلك فالمعتقدات إلهام أو كشف أو رؤيا نابعة من نفوس أفراد المجتمع، فإذا لم تحظ بقبول فهي خزعبلات أو خرافات، كما يمكن أن تكون أصلا جاءت بها الرسالات كالإسلام و النصرانية، وهي بذلك معتقدات رسمية يمكن أن تكون قد تحولت مع مرور الزمن إلى أشكال أخرى لا تلقى قبولا عند رجال الدين.[4]

وعليه فالمعتقد هو أول أشكال التعبيرات الجمعية عن التجربة الدينية الفردية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني، ويبدو هذا التحول هو نتيجة حاجة سيكولوجية ماسة، فتتطور هاته الأخيرة إلى انفعالات جماعية مشتركة ومقننة من طرف الفرد أو الجماعة، ويمكن أن تكون متعاقبة، فشعوب سومر وأكاد مثلا، ومصر واليونان، لم نجد في مدوناتها أنها تعصبت

[1] لويس معلوف ، المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، لبنان ، ط19 ،2010، ص ص 518-519.

[2] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، 1982 ،ص92.

[3] يوسف شلحت، المرجع السابق، ص ص 70-71

[4] محمد الجوهري ، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية ، ج1، دار الكتاب ، القاهرة ، ط1، 1978 ،ص ص 42 -43

لكاهن أو متنبئ، ونفس الأمر عن أسفار الفيدا السنسكريتية عند الهندوس، وهذا يعني أن ظاهرة التأسيس للديانات هي ظاهرة حديثة نسبيا ظهرت بعد القرن السادس قبل الميلاد، إلى أن ظهر زرادوشت في إيران وبوذا في الهند هذا شرقا، أما غربا فهرقليدس وفيتاغورث الإغريقيين، لتتضح مع سقراط 470ق.م[1] ،وعليه فإن دوام سيرورة المعتقد مرتبط بالعصبية الجماعية، وهنا يظهر دور الفلاسفة وأصحاب هاته المعتقدات في نشرها والتعريف بها على أن يؤمنوا بها هم أولا.[2]

3-الطقس:

حسب البستاني "فهو يطلق عند النصارى على شعائر الديانة واحتفالاتها، كلمة معربة عن "تكسيس" اليونانية ومعناها نظام وترتيب".[3]

كما أنه الجانب العملي الوظيفي للمعتقد والذي يخّلد به، وهو سلوك اندفاعي فردي عشوائي تحول إلى طقس جماعي منظم، يمكن التعبير عنه برقصات أو إيقاع معين، فهناك الطقوس الحرة كتلك التي عند الصوفية، أما المنظمة كتلك الصلوات والتراتيل في المعابد والكنائس، والفرق بين المعتقد والطقس هو أن الأول حالة ذهنية أما الثاني فهو حالة ممارساتية، كما تجدر الإشارة إلى أن الطقس كذلك له تأثير على المعتقد من حيث ديمومته وقوته وتماسكه، فالطقس هو المرآة العاكسة لقوة المعتقد أو ضعفه.[4]

فالشعائر المرتبطة بالموالد تثبت أهمية الأولياء والقديسين إيجابا وسلبا في الحياة سواء بطريقة مباشرة اعتقادا منهم أنهم ينفعون ويضرون، يمنحون ويمنعون، أو باعتبارهم الواسطة إلى الله عز وجل.[5]

---

[1] فراس السواح، دين الإنسان ،دار علاء الدين ، دمشق،سورية، ط4 ، 2002 ،ص48.

[2] نفسه ،ص 49.

[3] المعلم بطرس البستاني ، محيط المحيط ، مطبعة تيبو براس، لبنان ، 1987، ص553

[4] فراس السواح ،المرجع السابق،ص 53.

[5] فاروق مصطفى، الموالد-دراسة للعادات والتقاليد الشعبية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،الإسكندرية ،مصر ،1980،ص 37.

وتنقسم الطقوس إلى أربعة أقسام منها الدورية المتعلقة بمناسبات وضعية منتظمة، وطقوس طارئة ظرفية، وطقوس اجتماعية متعلقة بالحياة الجماعية (موضوع دراستنا) وأخيرا الفردية تعبيرا منه عما يختلجه من أحاسيس وأفكار.[1]

4-الأسطورة:

كلمة معربة عن مصطلح استوريا اليوناني، وهي اشتقاق من سطر أي الكتابة والجمع فيه سطور، وجمع الجموع أساطير وجاء في الآية "إن هذا إلا أساطير الأولين" أي أمورا اكتبوها افتراءا وبهتانا[2]، واشتقاقها فالعربية يقارب اشتقاقها في اللهجات اللاتينية، فكلمة Myth في الإنجليزية والفرنسية،مشتقة من الأصل اليوناني Mythas ويقصد بها قصة أو حكاية،ومنها اشتقت كلمة Mythologia -Muthologia اي فن الرواية.[3]

الأسطورة يعرفها يوسف شلحت "على أنها مجموعة تخيلات وتصورات عن الآلهة والدنيا، وعلاقة الفرد بمجتمعه وبالطبيعة وما وراءها"[4]، تكون مرتبطة بتاريخ معين وبحضور دائم، وهي حكاية مقدسة مدعومة بسلطان وداعم ذاتي مؤثر فيمن هم بصدد تلقيها [5]، ولا يكاد يخلو مجتمع منها، و كلما كان المجتمع أكثر تحضرا قلت الأساطير، وكلما كان اقل تحضرا زادت وانتشرت فيه، وهذا ما يفسر انتشارها في المجتمعات البدائية.[6] ولكن مع الوقت اتضح ان الأسطورة تفرض نفسها حتى في المجتمعات الراقية ولربما تركن الى اللاشعور الجمعي لكنها لا تندثر مطلقا. تعمل الأساطير على توطيد علاقة أفراد المجتمع ببعضهم البعض، وبمعتقداتهم بسلفهم، كما

---

[1] بيار بونت وميشال ايزار، معجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا، ترجمة مصباح الصمد ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ،بيروت،لبنان ،ط2 ، 2011،ص 633.

[2] بطرس البستاني، المرجع السابق، ص ص 9-410 .

[3] فراس السواح ،المرجع السابق، ص 56.

[4] يوسف شلحت ،المرجع السابق ، 85

[5] فراس السواح ، مرجع سابق، ص ص 57-58.

[6] يوسف شلحت ، مرجع سابق، ص 86.

يجب أن نشير هنا إلى انه يمكن الاستعانة بالأساطير لتفسير الحوادث التاريخية[1]، فيقول عنها ترواملي "انها تاريخ الشعوب التي ليس لها تاريخ مكتوب"[2]

5-المقدس:

تتفق اللغة العربية مع اللغة اللاتينية في تعريف المقدس بمعاني الطهارة والبركة والتعبد وذلك في حالة التوجه والابتهال إلى السماء.

ورد في لسان العرب أن التقديس هو التطهير والتبريك، وجاء في القران الكريم"ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك"[3]، ويفسرها الزجاج (ت 311هـ) بمعنى تطهير النفس لله، وعليه يتضمن لفظ قدس دلالة السمو، والقدس هو الموضع المرتفع، وكذلك تعني البركة، ومنها الأرض المقدسة او المباركة. وتعريف المقدس باعتبار صلة الإنسان بالسماء تضمن عدة مفاهيم فهو المحرم والممنوع وهو الطهارة وانعدام الطهارة، وبالتالي فهو مفهوم ديني، بل هو جوهر الدين.[4]

ويتم استبعاد كلمة مقدس قطعيا منذ اشتقاقها اللغوي عن مصدرها، ومن المهم أن نعرف أن اللفظ ساك (sak) هو الأصل اليوناني الذي يعبر عن فكرة الحقيبة المصنوعة من نسيج خشن من وبر الماعز لتخليص الماء المصفى من الدنس وفق هيرودوت للترجمة في اللغة الفرنسية إلى (sacré) الذي يعني المستبعد والممنوع، وفي إيجاز فإن فكرة المقدس (الحرام) تفرض فكرة التفوق(السمو)،ولفظ القديس يتعلق بمشروع توراتي لتقديس الإنسان، ويقصد به الارتقاء بطاقة البشر.[5]

---

[1] يوسف شلحت ، مرجع سابق ،ص 90

[2] Corneille Trumelet,L'Algerie légendaire ça et la aux tombeau des principeax thaumaturge de l'Islam (tell et sahara),Augustin Challamel editeur,17 rue Jaeob,Paris-France,1892,p01.

[3] البقرة الاية 30

[4] عبد الرزاق المجبري، المزار في كتب الجغرافيين والرحالة العرب من القرن الرابع الى القرن السادس للهجرة، مجمع الأطرش، تونس ،ص42.

[5] كلوود ريفيير، مرجع سابق ص40.

اذن لم يتفق الباحثون على مفهوم واحد، فماكاريوس يعتبر البحث في المقدس إبطاله لقدسيته وانتهاك لحرمته، ويذكر دور كايم "أن المقدس لا يلتقي بالمدنس ولا يمكن جمع النقيضين معا فعندما يخضع للدراسة يصبح مدنسا".[1]

ويعقب (مرسيا إلياد) على هذا المفهوم قائلا "لا نعلم أبدا هل يوجد شيء أو حركة أو وظيفة فيزيولوجية أو كائن لم يتحول إلى قداسة ما عبر التاريخ البشري".[2]

وهناك فرق بين الطاهر والدنيوي عند العرب المسلمين، فالطاهر هو الحلال أو الطيب بينما الدنيوي هو الحرام أو الخبيث وهذا حسب القناعات الدينية، فالذبيحة إن لم تذبح وفق الشريعة الإسلامية فهي حرام، إذن المقدس هو عقيدة روحية، والشيء الحلال في شريعة ما يمكن ان يكون حراما في شريعة أخرى، وهنا يمكن إسقاط هذا القانون على الأولياء الصالحين، فما يحرم على عامة الناس يحل لأوليائهم لأنهم يعيشون في عالمهم الخاص.

ويتحدث في هذا ابن خلدون عن الصوفية فيرى أنهم معفون من الواجبات الدينية العادية كالصلاة على وقتها والوضوء، بل وَضوؤهم بفتح الواو يزداد نقاوة ببركتهم.[3]

إذن يمكن أن ترتبط القداسة بالأديان السماوية عن طريق البشر(أنبياء ورسل) ، كما يمكن أن ترتبط بالمكان، فالتاريخ اليوناني يروي أنهم أقاموا معابد لآلهتهم، فأصل قداسة الآلهة هو المعبد الرمز، والمكان هو الموطن.

لقد حظيت المقدسات المادية باعتقادات قوية على مدى مختلف العصور، وقداستها لقداسة ما فيها فـ(لوسيان جرشل) يحصر مقاييس اختيار المكان في مقياسين اثنين الأول زمني والثاني صوفي روحاني. [4]

يعرّف (روجي كايوا) المقدس "انه الركيزة الأساسية والفكرة الأم لكل ديانة، فالأساطير والمعتقدات تحلل مضامينها بطريقتها الخاصة والطقوس تستعمل خاصيتها، أما الأخلاق فإنها مشتقة منها،

---

[1] الزاهي نور الدين، مرجع سابق ص33

[2] Mircea Eliade, Traité d'histoire des religions, Paris, 1994, p24.

[3] عبد الرزاق المجبري،المرجع السابق،ص45.

[4] نفسه ، ص 47.

بينما الكهنوتية فتمنحها لحمتها، والقبور والأماكن المقدسة وكذا الآثار الدينية فترسخها وتجذرها في المكان، إن الديانة هي إدارة المقدس".

بناء على ذلك سيصبح المقدس خاصية لصيقة أو عابرة ببعض الأشياء كالأدوات المستعملة في الشعائر، الطقوس، والكائنات، كالملوك والرهبان، والأمكنة كالقبور والكنائس والأمكنة المرتفعة، والأزمنة كيوم الجمعة عند المسلمين والأحد عند النصارى ورأس السنة وعيد الفصح.[1]

ثمة إذن ثلاثة مواطن للقداسة:

1-قداسة المكان.

2-قداسة من نزل أو ما نزل بالمكان.

3-قداسة منبعثة من ذات الإنسان.[2]

وبعد إلمامنا بمفهوم الدين ومركباته وجب علينا التعريف المفاهيم المركبة لموضوع دراستنا.

إحياء: مصدر الفعل أحيا أحياه الله أي جعله حيا ومنه إحياء الأموات عند الفقهاء وهو تعمير السباخ بالغرس أو السقي،وعند الصوفية حصول التجلي للنفس وتنورها بالأنوار الإلهية.[3]

6-المواسم :

أ-لغة: موسِم على وزن مفعِل من الفعل وسم تعني زمان ومحل الموسم ونجد ذلك في لسان العرب لابن منظور الحقل الدلالي الذي فيه المصطلح "وسم"، وهو اثر الكي، واتسم الرجل أي جعل لنفسه سمة، والجمع فيه مواسم ومواسي ، وسمي موسم الحج لأنه معلم يجتمع فيه الناس، ونقول وسموا أي شهدوا وحضروا ذلك الأمر.[4]

تعتبر الباحثة (ف.رويسو) "الموسم ظاهرة اجتماعية شمولية تستند لإيضاح ذلك على ثلاث ركائز، إذا كان القصد به الاحتفالات الدورية التي تقام حول ضريح ولي صالح، فإن هاته الاحتفالات تظل نتيجة لامتزاج تاريخي بين نوعين من الاحتفال، من جهة مرتبط بطقوس فلاحية

[1] نور الدين الزاهي، مرجع سابق ص 43

[2] عبد الرزاق المجبري، مرجع السابق،ص47.

[3] بطرس البستاني ، المرجع السابق،ص 212.

[4] ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد 12،دار،بيروت لبنان، ط3 ، 1414 هـ، ص635.

لتجديد العلاقة مع الطبيعة وإخصاب عطاءاتها وجني ثمار البركة، فتقام هاته المواسم حول الضريح أو الولي وتعقد حولها حفلات زفاف وختان، ومن جهة أخرى إحياء ذكرى وفاة ولي صالح أو عيد ميلاده، كما يحتضن ذلك الموسم طقوس ومعتقدات تختلف من منطقة إلى أخرى ، وهو بمثابة حج للفقراء طلبا للبركة".

ويرى نور الدين الزاهي "أن الموسم يشغل موقعه ضمن الممارسات والوظائف التي ظل الصلحاء والزوايا يقيمونها لأتباعهم"، وهي تحمل مسميات أخرى منها:[1]

ويسمى في بعض مناطق الجزائر بـ:

أ- **الركْب:** بالسكون على الكاف وجمعه أركاب، كركب خالد بن سنان بصحراء بسكرة وركب قسنطينة لقبر ابن عبد الرحمان بالجزائر، وركب البليدة لقبر الشيخ آبي مدين بتلمسان.[2]

ب-الزيارة: جاء في رسالة الشرك بفتح الزاي انه أعلى الصدر، فنقول زور الطائر تزويرا أي ارتفع زوره، وزيارتك الشيء أي قصدك إياه كأنك قصدت زوره آو تلقيته بزورك ،تقول زار الرجل غيره زورا، والزيارة بالكسر ومزارا بالفتح فهو زائر وهم زوار وزائرون، وأزاره حمله الزيارة، وإستزاره أي سأله إياها والمزار كما يكون مصدرا بمعنى الزيارة يكون اسما لمكانها.

قال في المصباح "والزيارة في العرف قصد المزور إكراما له واستئناسا به"[3]، وجاء في سلوة الأنفاس لمحمد الكتاني: أنها تنقسم إلى خمسة أقسام بين قريب وصديق ومسلم وكافر، بين الحل والحرام[4]، وفي "شرح الشفاء" للخفاجي :الزيارة تخص بعض الأحياء للمودة، وهذا الأصل فيها واستعمالها للأموات في القبور لإعطائهم حكم الأحياء وصار حقيقة وواقعا عرفيا لشيوعه فيها.[5]

---

[1] نور الدين الزاهي،المقدس والمجتمع،إفريقيا الشرق،المغرب،2011،ص84.

[2] اثار الامام البشير الابراهيمي،ج1،ط1، 1997،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان، ص333.

[3] مبارك الميلي،رسالة الشرك ومظاهره ،تحقيق ابي عبد الرحمان محمود، دار الراية،السعودية،ط1، 2001، ص337.

[4] الشريف ابي عبد الله محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج1،تحقيق عبد الله الكامل الكتاني – حمزة بن محمد الطيب الكتاني- محمد حمزة بن الطيب الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص16.

[5] مبارك الميلي،رسالة الشرك ومظاهره ،مصدر نفسه، ص337.

وترجع الزيارة لغويا إلى الفعل زار يزور بمعنى حج يحج، فمن زار المكان بمعنى حج إليه ،وهو المصطلح الذي يعتمده الباحثون الغربيون (الحج: Pèlerinage) ، وتكون أما زيارة صغيرة التي هي جماعية أو فردية، أما الكبيرة فهي ما يصطلح عليها بالموسم وهو موضوع دراستنا،لأنه يكون كالحج في جماعات كبيرة ومن مختلف جهات الوطن، ويدوم لأيام أو لأسابيع مع الإقامة هناك بجواره، تبدأ بتهيئة الضريح وتزيينه. كما تعني الزْيارة (حرف الزاي عليه سكون) الهدية الممنوحة للولي أو الشيخ باختلاف ماهيتها (ذبيحة،أموال ،طعام...)،[1] كما انها الهدايا والعطايا من مواد غذائية وملابس يعطيها التابع للزاوية او المقدم قصد التبرك[2]، وهي الحج الديني الى غير مكة أي الى شخصيات دينية مقدسة مصحوبة دائما بقرابين وبالتالي الزيارة هي مرادفة لقرابين[3]، وهناك من يفرق بين الزيارة والهدية والوعدة ولو انها تشترك في انها قرابين ومداخيل للضريح، فيرون ان الهدية هي غرامة اجبارية تفرض على كل منتسب الى طريقة معينة قد أذنب ذنبا فيكفر بها عن ذنبه.[4]

وتنظم هذه الزيارات في مواسم معينة مرتبطة بجني المحاصيل حتى يحصل الناس على مداخيل تسمح لهم بالغدق على مقدمي طريقتهم وهذه هدايا يمنحها الاتباع من تلقاء أنفسهم، ومنها ما يدخل في اطار ضرائب السنوية التي يجمعها المريدون والشواش وتكون اجبارية، وكذا اذا عاد المقدم من الحج او مرض او لمناسبة معينة.[5]

كما أنها ظاهرة تشترك فيها كل الطرق الصوفية، ويقصد بها التجمع في مكان مقدس او لدى شخص مقدس، واغلبها تكون امام الاضرحة، وهي فرض على الاخوان والمريدين والاتباع كعربون

---

[1] نور الدين الزاهي، المرجع السابق، ص86

[2] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، ط1 ، 1998، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ص 285.

[3] Octave Depont et Xavier Coppolani,les confrère religieuse musulmanes,typographie et lithographie jourdan, 4 place du gouvernement 4 ,1897,Alger ,p239

[4] L'abbé Rouquette,sociétés secrètes chez les musulmans ,J.Briguet éditeur, Rennes-Paris,1899,p 124

[5] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، نفس المرجع، ص 285.

اخلاص ودليل اتباع مربوطة بدراهم معدودات، ويصل الامر أحيانا بالمقدم بارسال شاوش لجمع هذه الدريهمات على من تخلف عن دفعها وهذا حاصل عند الطرقيين بالخصوص.[1]

أما (درمنغهم) فلا يفرق بين الزيارة والوعدة والموسم ويعتبرها تعابير لمفهوم واحد ،فهي من تقاليد الشعوب السامية (نسبة إلى سام بن نوح)، وشعوب البحر الأبيض المتوسط والشعوب الإفريقية، ويشترط فيها الأضحية لأنه يعتبر الأضحية بغض النظر عن نوع الأضحية (أبقار.دجاج.أغنام) هي المميز بين تلك الشعوب والبوذية التي تتقرب بالفواكه والأزهار.[2]

ويضيف الميلي "المزارات عندنا قررت العادة زيارتها للتبرك بمن جلس فيها من الصلحاء ،أو دفن عندها،أو سميت باسمه وان لم يرها،أو أشار معتقد فيه بظهور روحاني بها.

وللزيارة سبعة ميزات وهي : زيارة الإحياء زيارة الأموات،حياة الأرواح،عطايا الزوار،اتخاذ المزارات، السفر إليها والغرض من الزيارة كما سيأتي التفصيل فيه.[3]

ومصطلح الزيارة يقابله لدى الإدارة الفرنسية بالحج الأصغر(le petit pèlerinage) في مواسم معينة من السنة، لتقديم تبرعات في طقوس معينة.[4]

ج-**الوعدة:** أصل الكلمة مشتق من الفعل وعد، جاء في لسان العرب "وعده الأمر وبه عدة ووعدا وموعدا وتوعدة وتوعودا وموعودة وهو من المصادر التي جاءت على وزن مفعول ومفعولة ،والوعد هو العهد، والوعدة بهذا "وقت الوعد وميقاته ".[5]

أما المعنى الاصطلاحي فيقول نور االدين طوالبي"إنها عبارة عن نذر، أي ينذر الرجل بذبح شاة إذا تحقق له شيء ما ،وأن يأخذ المؤمن على نفسه أمام الخالق تنفيذ وعده ونذره،فقد يتعهد إطعام محتاجين مثلا إذا وضعت زوجته ولدا،فيصبح عليه بذلك ككفارة وجب تنفيذها"[6]، والوعدة يمكن ان

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4 ، المرجع السابق، ص 20.

[2] نفسه ،ص87

[3] مبارك الميلي، المصدر السابق،ص 338

[4] H.Lavion,l'Algérie musulmane dans la passé,le présent et l'avenir,Augustin Challame,rue Jacob 17,Paris,1914,p242

[5]ابن منظور،لسان العرب،ج4،المطبعة الميرية،مصر،ط1 ، 1300هـ،ص477.

[6]نور الدين طوالبي، الدين والطقوس والتغيرات، ترجمة وجيه البعيني ، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1 ، 1988،ص 123.

ان تكون عبارة عن زيارة لضريح شيخ والتضحية عنده بشاة او عجل او حتى دجاجة، او اجتماع عائلة في مكان مقدس شهريا او سنويا، وليس بالضرورة ان يكون ضريحا.[1]

و**النذر** مصدر نذر الشيء ينذره، بمعنى إيجاب الشيء مطلقا، وقيل بشرط، وهناك نذر المجازاة، ويسميه الفقهاء النذر المعلق وهو المرتبط بتحقق أمر ما، وتسميه عامتنا الوعدة وهو مربط الفرس، وكان هذا الأمر منتشرا في الجاهلية "فربما كان الرجل ينذر نذرا إن رأى ما يحب، يذبح كذا وكذا من غنمه، فإذا وجب، يستبدل الغنم بالضباء".[2]

ويعقب الميلي قائلا " وأما النذور المعروفة في هذه الأزمنة على القبور والمشاهد والأموات، وصارت تعقد اللواءات لقابضي النذور على الأموات وهم المكلفون بجمع النذور، ويجعل للقادمين إلى محل الميت الضيافات، وينحر في بابه النحائر من الأغنام"،ويضيف "وأصبح الناس في جاهليتهم الحاضرة (ويقصد إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر) ينذرون لمن يعتقدون فيه من الأحياء والأموات والمزارات فيقدمون الأموال والحيوانات والثياب والشموع والبخور والأطعمة وسائر المأكولات، معتقدين في ذلك أن نذورهم جسر يقربهم من رضا المنذور له لأن له سبب في تحقيق غرضهم، فإن حصل مطلوبهم ازدادوا تعلقا به، واشتدت خشيتهم منه، وبذلوا أقصى جهدهم في الاحتفال للوفاء له،فهم بفعلهم هذا أشد شركا من عرب الجاهلية، ففي وقتنا لا ينكر على تارك الزكاة أو الصلاة،كما يفعل بتارك زيارة شيخ طريقة أو إقامة زردة أو وعدة".[3]

د–الزردة: في لسان العرب من زَرَد اللقمة نقول زرد اللقمة أي ابتلعها، وهي في عرفنا طعام يتخذ على الذبائح من بهيمة الأنعام عند مزارات من يعتقد صلاحهم ولها وقتان،أحدهما في فصل الخريف عند الاستعداد للحرث والأخر في فصل الربيع عند رجاء الغلة، والهدف منها التقرب من ذلك الصالح كي يغيثهم بالأمطار تسهيلا للحرث أو حفظا للغلة، فهي تشبه عتائر الجاهلية على

[1] قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 23.

[2] مبارك الميلي، المصدر السابق،ص 393

[3] نفسه ،ص 398.

قبور أجاويدهم[1]، وتكون تحت مسمى الطَّعم في المناطق الصحراوية وفي بني ميزاب تصنع من المال المجموع عند قبر ذلك المرابط.[2]

7-الأضرحة:

من الفعل ضرح ويحمل معنيين الأول لون من الألوان،والثاني بمعنى رمى وهو أصل المصطلح، فنقول ضرحت الشيء أي رميت به، والشيء المضطرح هو المرمي، نقول فرس نضوح شديد الدفع برجله، والقوس الضروح شديد الدفع للسهم، والضريح القبر يحفر من غير لحد، كأن الميت رمي فيه.[3]

وجاء في مختار الصحاح أن الضريح هو البعيد، ويمكن أن يكون فعل ضرح بمعنى حفر[4]، وجاء في لسان العرب بمعنى التنحية، قال الأزهري وجائز أن يكون اطّرحوه افتعالا من الطرح، قلبت التاء طاء ثم أدغمت الضاد فيها فقيل اطرح، وقد تكون بمعنى الفساد.

والضريح الشق في وسط القبر، واللحد في الجانب ،وقال الأزهري والضريح والضريحة ما كان في وسطه، وقيل الضريح القبر كله.وفي حديث دفن النبي صلى الله عليه وسلم،"ترسل للضارح واللاحد فأيهما سبق تركناه"، والضُراح بالضم هو البيت المعمور في السماء، كما جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما ،وقد تكون المضارحة هي المقابلة .[5]

والضريح هو ما يبنى على القبر، أو قبر مبني بالحجارة أو ما شابهها، وفيما يؤرخ الأستاذ أحمد عطية في القاموس الإسلامي أن القبة سمة من سمات الأضرحة في البلاد الإسلامية عامة.[6]

---

[1] [1] مبارك الميلي، المصدر السابق، ص 379.

[2] Octave Depont et Xavier Coppolani, Op.cit,p114

[3] احمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة ،تحقيق عبد السلام محمد هارون،ج3،دار الفكر ،بيروت،1979،ص400.

[4] محمد ابن ابي بكر الرازي،مختار الصحاح،تحقيق يوسف الشيخ محمد،مكتبة لبنان،بيروت،1986،ص159.

[5] ابن منظور،ج3،ص ص 525-526 (اخرج الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "البيت المعمور في السماء يقال له الضراح على مثل البيت الحرام بحياله،لو سقط لسقط عليه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لم يردوه قط،وان له في السماء حرمة على قدر حرمة مكة".انظر جلال الدين عبد الرحمان بن ابير بكر السيوطي،الدر المنثور في القول المأثور،ج6،تحقيق طارق فتحي السيد،دار الكتب العلمية بيروت،لبنان،2015،ص144.

[6] عبد الرزاق المجبري، المرجع السابق ،ص54.

جاء في قاموس الانتروبولوجيا مصطلح موسولوس Mosolos وهو يعني الضريح نسبة إلى الملك "موسولوس" ملك كاريا في أسيا الصغرى، ويقصد به بناء يشيد ليضم جثمان ميت،وكانت آنذاك الأضرحة تشيد للملوك ورجال الدين خاصة[1]، وكانت هاته الأخيرة تبنى عند أبواب المدن ظنّا من أهلها أنها تحمي مدينتهم وتطرد الغزاة كما هو الحال لضريح السلطان أبو تشفين الأول على باب تلمسان.[2]

كما جاء الضريح (القبة) على انه بناية تضم قبر الولي او المرابط وأحيانا الى جانبه افرادا من أسرته، ويكون قبر الولي مرتفعا عن البقية مغطى بتابوت خشبي مغطا بأقمشة مذهبة ومزركشة، على حوافه اعلام الطريقة التي ينتمي اليها صاحب الضريح، تحذوه غرفة الوكيل جامع الزيارات والتبرعات والموكلة له خدمة الضريح.[3]

اما عن الأماكن التي كانت تختار لبناء اضرحة الصلحاء فبعضها بأمرٍ من الصالح فيحدد المكان والبعض الاخر من اختيار اهله وطلبته، فهذا سيد عبيد أمر اهله ان يحملوه ميتا على جمل وهو من سيحدد مكان قبره عند توقفه كما حدث في بناء مسجد رسول الله حيث بركت الناقة[4]، وتعددت وتعددت مرادفات الضريح ومواقع الدفن والتبرك فمنها:

أ-المزار:

وسبق وشرحناه لغويا اما اصطلاحا فهو موضع الزيارة[5] فيقول الميلي "انها مواضع قررت العادة زيارتها للتبرك بمن جلس فيها من الصلحاء،أو دفن عندها،أو سميت به، وان لم يرها".[6]

وجاء في كتاب البستان لابن مريم أن هاته المزارات كانت مقصدا للتبرك، وكانوا مجابي الدعوة، مقضيي الحوائج وهم أموات، في قولهم "مازاره ذو عاهة إلا برئ ولا حاجة إلا قضيت". [7]

---

[1] شاكر مصطفى سليم، قاموس الانتثروبولوجيا- انجليزي عربي،جامعة الكويت،ط1 ،1981،ص612.

[2] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني،ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2002 ، ص 151.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص 111.

[4] Corneille Trumelet,Op.cit ,p 243

[5] ابن منظور، لسان العرب،ج5، المطبعة الميرية،مصر،ط1 ، 1300هـ ، ص424.

[6] مبارك الميلي،المصدر السابق،338.

[7] ابن مريم أبو عبد الله ابن محمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،مطبعة الثعالبية،الجزائر،1908،ص ص70-282

ب-الحويطة:

جدار صغير ومنخفض او كومة من الحجارة مرتبة في شكل دائرة او هلال في شكل حذوة حصان مزينة بخرقة قماش تنصب على مقابر المرابطين[1]، وهي تصغير حوطة وهي معلم من معالم الدفن يرتفع عن الأرض بحوالي متر كما يصطلح عليها "مجدة" أي المكان المميز للمميت،كما انه المكان الذي كان يجتمع فيه الصالح مع اتباعه وعند انقضاء الاجتماع للتذاكر يضع كل واحد منهم حجارة في مكان جلوس شيخهم الصالح ليتحول ذاك المكان الى معلم مقدس يقصده الاتباع والمحبون وغالبا ما يرتبط المكان بنبات السدرة او مايطلق عليه العوسج [2].

ج-المقام:

بناء تذكاري أقيم على المكان الذي توقف فيه المرابط او أقام فيه أياما، في شكل حجارة على شكل دائرة او هرم[3]، تجمعت نظير زيارة المتعاطفين والتابعين للصالح وغالبا يكون بمحاذاة شجرة تظلل تحتها الوالي.[4]

د-الاضرحة المجهولة:

مرابط أقيمت عليه حويطة أو مقام مجهولة حياته ونسبه[5]، ويطلق عليه ضريح سيدي المخفي يجهل صلحاؤها ولا يعلم شيء عن حياتهم إلا انهم مروا على تلك البقعة وتركوا وراءهم اثرا طيبا، فتقام على أماكنهم إما حويطة او مقام او مصلى ويطلق عليها اسم سيدي المخفي وهي منتشرة في كل الجزائر[6]، وتفوق قداستها أحيانا تلك المعلومة منها، مثل تلك التي في الطريق نحو ضريح سيدي بومدين على اليمين حيث تحج النسوة الى سيدي بومدين ولا يتم حجهم إلا بزيارة هذا القبر

---

[1] Corneille Trumelet,Blida récit selon légende-la traduction et l'histoire,tome 1,Adolphe Jordan éditeur4place de gouvernement,Alger ,1887,p473

[2] رريب الله الحاج احمد، شلف الأسفل ابان العصر الوسيط المتاخر والعصر الحديث (بنو زروال بين المغربين الأقصى والاوسط انموذج القبيلة المرابطية)، دار خيال، برج بوعريريج، الجزائر،2021، ص230-231.

[3]Corneille Trumelet ,Blida récit selon légende-la traduction et l'histoire,Op.cit,p473

[4] Corneille Trumelet ,Les saints de l'islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell),Didier et Cie libraire editeur,35 Quai des Augustins ,Paris-France,1881,p158

[5] Corneille Trumelet ,Blida récit selon légende-la traduction et l'histoire,op.cit ,p474

[6] Corneille Trumelet ,Les saints de l'islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell),op.cit,p160

ويطلق على هذه المقابر التي على قارعة الطريق نحو اضرحة كبرى ب"صحاب الطريق"[1] وبعضها يأخذ اسم سيدي المجهول او سيدي المخفي كما هو الحال في تلمسان بجانب ضريح سيدي الحاج معمر[2] وربما يأخذ الولي المجهول اسم المكان الموجود فيه كما هو حاصل للوالي بمحاذاة سيدي بومدين اسمه سيدي بوزبوجة نسبة الى شجرة الزبوج او الزيتون البري بجانبه وهناك ضريح سيدي بوزيتونة نسبة الى شجرة الزيتون[3]، سيدي بوقدور وسيدي بطاقة وسيدي ولد داد حماة العاصمة من الغزو الاسباني شارل الخامس 1541م[4].

معظم القبب المبنية التي لا يعرف أهلها وليست من شيوخ القبائل اكثرها ينسب لسيدي عبد القادر الجيلاني وقد دهنت بالأبيض وفتحت لها الطرق، بناها المعمرون الأوروبيون على اطراف أراضيهم لحماية مزارعهم وممتلاكاتهم من السرقة والغصب بعدما عرفوا لما لهذه القباب من مكانة مقدسة في نفوس الجزائريين، اعتقد الجزائريون ان أرواح صاليحهم تتحول الى افاع وثعابين اين تتخذ ركام الحجارة مسكنا ومرتعا للزواحف فتبيض وسرعان ما تتخذ مزارات تصبح قبلة للبلهاء.[5]

هـ-القبة:

بنيان مربع على قبر الولي تعلوه قبة معلقة بها حلقة لتعليق الثريا على القبر تابوت طوله اكبر من عرضه على التابون تعلو رأس الولي قبة من خشب وقد زين التابوت بالاقمشة الجميلة المطرز بالذهب والفضة والمنسوج من الحرير، على اركان التابوت تعلق السناجق وهي رايات تحمل يوم الزيارة، للقبة على الاغلب بابان ومرات باب واحد باللون الأخضر، وغالبا ما تجانب شجرة الزبوج هذه القباب.[6]

---

[1] Edmond Doutté ,Notes sur l'islam maghribin-Les mirabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions,tome40-41,1900,paris,Ernest Leroux 28,rue Bounaparte, p53

[2] Ibid, p54

[3] Ibid,p55

[4] Ibid, p63

[5] محمد البشير الابراهيمي، اعراس الشيطان ، جريدة البصائر، السنة الثالثة، السلسلة الثانية ، العدد 95 ، 14 نوفمبر 1949 ، ص 1.

[6] المدرس جوزيف ديسبارمي ،الفوايد في العوايد والقواعد العقايد،مطبعة موقان، البليدة،1905،ص 191

ويتزايد عدد القباب كلما توجهنا من الشرق الى الغرب من العالم العربي ونفس الامر، بالنسبة للجزائر ففي رحلة نقل الحديد من العاصمة الى وهران يتزايد عدد الاضرحة وربما يعود ذلك الى تركز العرق البربري من ذلك قبيلة بني زروال[1]، كانت القباب مستطيلة الشكل ترتفع حوالي خمسين سنتميترا عن الأرض والتابوت من الخشب المطلي باللون الأخضر تدعمه اقواس رشيقة يلفه قماش من حرير الأخضر والأحمر وفوقها قبة صغيرة في شكل مظلة[2]، وبعض الاضرحة والقباب قيل انها بنيت من فوق سبع سموات وفي زخرفتها اقرب لمساجد قرطبة بل تفوقها جمالا[3].

و-القبيبة:

أي قبة صغيرة توضع على رأس القبر وهي بنيان مربع بعلو نحو متر وبنفس العرض والطول به نافذة صغيرة لوضع البخور والشموع.[4]

ز-الوالي او الولي:

كما يمكن أن يقصد بالولي البناية التي تقام على قبر احد الرجال الصالحين تكريما له على خدماته الروحية التي كان يؤديها لزائريه في حياته وكان يعالج بها حالات مرضية،وبقي التبجيل بعد الوفاة فيقيمون مشهدا[5] أو ضريحا على قبره،أو بزاويته[6].

[1] Edmond Doutté op.cit, p8

[2] Corneille trumelet,op.cit , p 110

[3] Ibid, p170

[4] المدرس جوزيف ديسبارمي ،المصدر السابق،ص 191.

[5] ذكر ابن جبير مصطلح مشهد كمرادف للضريح ناعتا إياه بالبنيان العجيب انظر ابن جبير،رحلة ابن جبير،دار صادر. بيروت،1980،ص 20.

[6] عبد الرزاق المجبري،المرجع السابق ،ص33.

المبحث الثاني: تاريخية الاضرحة وحضورها في الديانات:

1-الأضرحة عند غير المسلمين:

يقول آدم ميتز **(Adam Mez)** أن الأعياد عند المسلمين ما هي إلا أعياد وثنية نصرانية، جاءت في صورة جديدة نظرا لصعوبة التخلي عنها من المسلمين، كما هو الحال في العراق ولكن مع التخلي عن الأساطير[1]،بل يحتفلون بأعياد النصارى في أديرة أكثر من أعيادهم لما وجدوه من فسحة وحرية لم يجدوها في الإسلام.[2]

ويذكر فراس السواح أن الطقوس تركزت حول الأماكن المقدسة كالغابة والبحيرة أو نبع،أو موضوعات مقدسة كشجرة ما أو صخرة، ولكن دور العبادة المكرسة لم توجد لها أثار إلا في نهايات العصور الحجرية، ومطلع الفترات التاريخية، بحيث تؤكد ذلك نتائج التنقيب الأثري في مواقع العصر الحجري الحديث (النيوليتي) ، بحيث غابت رموز التقديس في الدفن[3]،في حين هناك من يؤكد عكس ذلك بحيث شرع الإنسان المغاربي الشمال الإفريقي بإعداد مقابر يدفن فيها الموتى من عائلته، ثم توسعت لتشمل أبناء عشيرته كافة، فكانت تنحت قبور موتاهم في الصخور فيما يعرف بالحوانيت، والتي هي عبارة عن فجوات في الصخور وربما نقلوا ذلك عن الإغريق، وراحوا يقيمون عليها مجموعة من الصخور المتراكمة فوق بعضها، ثم أصبحوا يضعون فوق القبر صفائح كبيرة تمنع كل اعتداء على القبر.[4]

وتعتبر الحوانيت نوع من أنواع المدافن المنتشرة في شمال إفريقيا وأقيمت التيلموس المقببة والبازينة مثل ضريح قبر الرومية بتيبازة وغرضها القيام بطقوس العبادة.[5]

---

[1] ادم ميتز، الخضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي محمد أبو ريدة، ج2، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة،2008، ص 246.

[2] الشابشتي، الديارات ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط2 ، 1966 ، ص14.

[3] فراس السواح، المرجع السابق،ص 41.

[4] بوزياني الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية،مؤسسة بوزياني،الجزائر،2013،ص222.

[5] عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم ،ديوان المطبوعات الجامعية ،2008،بن عكنون،الجزائر ،ص 253.

كما عبد الإفريقيون القدامى آلهة مقرها المغارات كالإله "باكاكس" في جبل طاية بالجزائر، وكان البعض يذهب ومعه قربان وينقش نص إهدائي إلى ذلك الإله، لتتحول هاته المغارات إلى مزارات فيما بعد ظنّا منهم أن الأرواح تعبر من هناك،أو الأرواح الحارسة.[1]

كان الإنسان القديم يدفن موتاه في الكهوف والمغاوير ثم استبدلها بأخرى من صنعه، تتكون من أربعة أحجار ضخمة يعلوها حجر كبير وهذا ما يسميه الإفرنج بالمصطبة، وكثيرا ما تعلوا هذه القبور أو المصاطب حجارة وأتربة على أشكال مختلفة، من مربعة ومستطيلة وبيضاوية ومستديرة، وقد جعل البوذيون الأتربة المستديرة مقرا لعبادتهم ، ليتسع ويصبح القبر داخل هاته المصاطب، واشتهر كذلك عند الهندوس والفيجيين في شرق آسيا، إذ يشيد المعبد حول القبر، ولعل القبر هو بمثابة المنزل في الدنيا، ولقد أثرت المنزلة الاجتماعية والثروة في تشييد أضرحة أصحابها، فقبور الأبطال والعظماء لها تعظيم وإجلال خاص، فتصبح مزارا للأبناء وقبلة للأقرباء والأنسباء، بل ورفعتهم إلى مقام أعلى من المقام البشري فشيدت على قبورهم الهياكل[2].

والذي كان سائدا عند سائر الأمم مهما ارتقت في الحضارة أن الميت له حياتان واحدة في الدنيا والأخرى في القبر، فالمصريون القدماء كانوا ينسبون أن للإنسان جسدا شبيها يسمى (كا)، إلا أّنه مركب من مادة أدق وألطف، ويرقى إلى مصاف الآلهة[3]، ونفس الأمر بالنسبة للكلدانيين القدماء.[4]

ويذكر شلحت "أن الذبيحة أو القربان على اختلاف طرق وقوعها وفي مختلف الديانات من أرقاها الإسلام والمسيحية إلى أشدها تأخرا كالطوطمية البدائية لا تعدو أن تكون ضحية يقدمها الناس لقوى خفية لإرضائها والتأثير عليها وبضرورة إراقة الدماء".[5]

---

[1] عقون محمد العربي، مرجع سابق ، ص ص 237-238.

[2] يوسف شلحت ،المرجع السابق، ص 60

[3] A. Moret., Le Nil et la Civilisation Egyptienne , L’évolution de l’humanité, Paris, 1926.p 414

[4] G. Maspero - Histoire ancienne des peuples de l'Orient (11e édition revue). librairie HACHETTE ET Cie .Paris.1912 p162 .

[5] يوسف شلحت،المرجع السابق، ص ص 80-81

إن قبورية قوم نوح هم أصل عباد الأوثان في العالم من شرقها إلى غربها ،عربها ،عجمها، بربرها، هندها،بربرها وتركها سواء على ملة الإسلام آم على غيره[1]، فالناس كانوا على الحنفية والتوحيد منذ عهد أبينا ادم إلى نوح عليها السلام مصداقا لقوله عز وجل "وما كان الناس إلا امة واحدة فاختلفوا" (يونس/الآية 19).وبعدها جاءت عبادة الأوثان ويصدق ذلك قوله تعالى"وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا"(نوح /23).[2]

يفسرها ابن عباس رضي الله عنهما أنهم رجال صالحون من قوم نوح، فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن اتخذوا في مجالسهم تماثيل ،فلما طال عليهم الأمد عبدوها، ثم تفشى الأمر في الأمم التي بعدهم إلى أن جاءت نوبة اليهود والنصارى مصداقا لقول صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي الله عنها قال"لعن الله اليهود والنصارى،اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".[3]

وقال صلى الله عليه وسلم "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك"،قالها قبل أن يموت بخمس.[4]

ثم آل الأمر إلى شبه الجزيرة العربية فعبدوا اللات وقيل انه رجل كان يلِتّ السويق للحجاج فلا يشرب منه أحد إلا سمن، فلما مات عبدوه[5]، وأما الذين جاؤوا بعدهم فعبدوا الصنم الذي بني عليه واستعانوا به عند الشدائد، وفي بداية الإسلام نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور" نهيتكم عن زيارة القبور،فزوروها"، والظاهر هو خوفه على المسلمين،لان القبور مبدأ لعبادة الأصنام.[6]

---

[1] شمس الدين السلفي الأفغاني، جهود علماء الحنفية في أبطال عقائد القبورية،ج1 ، دار الصميعي ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1 ، 1996 ، ص407.

[2] نفسه ، ص401.

[3] محي الدين محمد البركوي ،زيارة القبور الشركية والشرعية ،الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء،السعودية، ط6 ، 2012، ص ص 9-10.

[4] مسلم بن حجاج ، صحيح مسلم، ج1، تحقيق محمد الفريابي،دار طيبة ، ط1، 2006، ص 240.

[5] محمود الألوسي، روح المعاني، ج27 ، دار إحياء التراث العربي،بيروت لبنان ، ص55

[6] شمس الدين السلفي الأفغاني،مرجع سابق، ص 413

أما عن سكان شمال إفريقيا فيقول دوتيه (**Doutté**) أنهم اضطروا للتحايل على الإسلام قصد المحافظة على معتقداتهم القديمة، وذلك بتكييف معتقداتهم الوثنية القديمة مع مقتضيات الدين الجديد عن طريق مزجها بطقوس وممارسات دينية إسلامية، فالكراكير المقدسة (نوع من الحجارة يوضع بعضها فوق بعض) للتعوذ من الطريق في الإسلام ما هي إلا طقس بيدائي قديم لرمي الأحجار، لتصبح في نهاية الأمر أضرحة تحمل أسماء أولياء حقيقيين أو وهميين[1]، والمثال نفسه بالنسبة للعبادة البربرية الوثنية اليهودية " لالة تاكروكوزت" التي هي القوة المقدسة للمنبع المائي بجنوب مراكش،تمت أسلمتها لتصبح مزارا لليهود والمسلمين على حد سواء.[2]

ويعقب عبد الغني منديب على ذلك قائلا "أن الطرح الذي جاء به (دوتيه) باعتبار أن عبادة الأضرحة بقايا وثنية عند المسلمين منهم المغاربة هي في الأصل مقولة أنجلوساكسونية تطورية بالأساس"[3]، في حين يرى جولدزيهر **Goldziher** أن ظاهرة تقديس الصلحاء ما هي إلا موروث قديم للبربر ناتج عن تقديس السحرة والرهبان لما لهم من خوارق[4].

2-الأضرحة عند المسلمين:

في القرن السادس والسابع والثامن بلغت الصوفية مبلغها، بحيث ظهرت المجاذيب وبنيت القباب على القبور، ويعود ذلك للفاطميين، وتشجيعهم للمزارات والقبور كقبر الحسين رضي الله عنه والسيدة زينب، وتأليههم للحكام بأمر من أمر الله الفاطمي، وجند الطرق الصوفية لنشر الفكر الباطني[5]، كما أن الشيعة بجميع فرقهم يقدسون الأضرحة والمزارات، وشجعوا على زيارة المشاهد، المشاهد، وعمروها أكثر مما عمروا المساجد، حتى وصل بهم الأمر إلى تأليف كتب حول طقوس الزيارات إلى المشاهد كما هو الحال لابن النعمان الذي ألف كتابا "مناسك حج المشاهد"[6]،

---

[1] عبد الغني منديب ،الدين والمجتمع –دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب،افريقيا الشرق،المغرب،2006، ص 30.

[2] Edmond Doutté : En Tribu .Mission au Maroc. Paul Gauthner Editeur.Paris.1914.p222.

[3] عبد الغني منديب ،المرجع السابق ،ص32.

[4] ادموند دوتي، الصلحاء (مدونات عن الإسلام المغاربي خلال ق 19)، ترجمة محمد ناجي بن عمر، 2014، افريقيا الشرق، المغرب، ص25

[5] عبد الرحمان عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، ط2 ، 1984 ، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ص 35.

[6] شمس الدين السلفي الأفغاني،مرجع سابق، ص 419.

وهنا يقول ابن تيمية" لم يكن في العصور المفضلة مشاهد، وانما ظهرت في عهد بني بويه لما ظهر القرامطة بأرض المشرق والمغرب وكان بها زنادقة كفار"[1]، ويوافق جولدزيهر هذا الرأي فيقول أن سبب انتشار ظاهرة الصلحاء في المغرب العربي هو تجذر ظاهرة التقديس لديهم واشتراكهم مع السلالة العلوية والفاطمية في ذلك، واستدل الكاتب على ذلك بذكاء ابن تومرت لمعرفته المسبقة بتقديس البربر للأشخاص فادعى انه المهدي[2]، وهو ما أشار اليه الشيخ مبارك الميلي رحمه الله بتأثر الصوفية بالشيعة.[3]

وكان رجال الدين من المتصوفة هم الذين سنوا هذه العادة قصد التبرك بهم وقضاء حوائجهم ، فيقول المقري وهو أمام ضريح أبو العباس احمد ابن جعفر السبتي" وقبره مشهور مقصود بإجابة الدعاء،وقد زرته مرارا ،فرأيت عليه من ازدحام الناس مالا يوصف،وهو ترياق مجرب" ثم ينقل عن ابن الخطيب والذي تأثر بعلماء الصوفية متحدثا عن نفس الضريح قائلا " كان سيدي رضي الله عنه مقصودا في حياته، مستغاثا به في الأزمات، وحاله من أعظم الآيات الخارقة للعادة وكونه حكمة في تأثير الوجود، ولما توفي ظهر هذا الأثر في تربته، وتشبث بلحده"[4]، وفي ذلك يذكر سيمون بيفايفر **(Pfeiffer Simon)** في أواخر العهد العثماني بالجزائر قبيل الحملة الفرنسية على الجزائر قائلا" أمر الداي حسين وزراءه بزيارة قبور الأولياء والذبح لها، وبعث للأئمة كذلك قصد التوجه للأولياء والعامة من الناس والتذكير بما للأولياء من فضل على المدينة في رد الأعداء خاصة المرابطين الثلاثة سيدي عبد القادر، وسيدي عبد الرحمان، وسيدي ولد دادة هذا الأخير الذي أنقذ المدينة أكثر من مرة، وعلى حسب رواية بيفايفر فان الاعتقاد في نفع الأولياء وضرهم كان راسخا لدى الحكام وعامتهم في تلك الفترة رسوخا كبيرا وتقليدا متجذرا قد توارثوه أبا عن جد[5].

---

[1] ابن تيمية، مجموع الفتاوي،ج27، المصدر السابق، ص167.

[2] ادموند دوتي، الصلحاء ، المصدر السابق، ص20.

[3] المبارك الميلي،رسالة الشرك، مرجع سابق، ص 201.

[4] احمد بن محمد المقري التلمساني،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس،مج 7،دار صادر، بيروت،لبنان،1968، ص267.

[5] سيمون بيفايفر، مذكرات آو لمحة تاريخية عن الجزائر، (تحقيق أبو العيد دودو)،1974، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 75.

بقي المغرب بمنأى عن الانتشار الصوفي قرابة ثلاثة قرون الى غاية القرن الخامس للهجرة في عهد المرابطين، دخل التصوف بصبغته الزهدية الخالصة النقية بعيدا عن المكاشفات والحقائق[1]، على يد أبو عبد الله محمد بن سعدون القيرواني مرفوقا بكتب التصوف من مكة المكرمة ومن جملة هاته الكتب "إحياء علوم الدين" للغزالي، فأفتوا بإحراقها لما فيها من خروج عما ألفوه، والذي أفتى بحرقه هو قاضي قرطبة عبد الله بن حمدين مدفوعا من يوسف بن تاشفين، وتبعه الكثير من الفقهاء، هذا الحادث كان سببا في سقوط الدولة المرابطية وقيام الدولة الموحدية.[2]

على العكس من صوفية المشرق يقول يحي هويدي"ان صوفية المغرب في القرن السابع والثامن والتاسع، كانوا منشغلين بعلم الحديث والدراسات الفقهية، وهو تصوف محمود نقي[3]، ليتحول إلى تصوف عملي قوامه الأذكار والأوراد وتقديس المشايخ وإنزالهم منزلة النبوة أحيانا، والاندفاع لزيارة القبور والأضرحة، وانقسم المغرب إلى طرق وشيع كل له محبوبه وقبلته من الأولياء إلى إن انتهى بهم الآمر إلى صنع آلهة تضارع المولى عز وجل"[4].

وظهرت الأضرحة والمزارات نتيجة ذلك التقديس المفرط للمشايخ والأولياء وهم أحياء فلما قضوا نحبهم أحاطهم الأتباع والمريدون بالتقديس وبنيت عليهم القباب والموالد والمشاهد، وبل وأصبح لكل أصحاب حرفة مولاهم وشيخهم فهذا سيدي يعقوب الدباغ لحرفة الدباغة ولا يأتيه إلا الدباغون، وسيدي ميمون الفخار للفخارين..وهكذا.[5]

تركت النظريات الاستشراقية بصمتها في ذاكرة متصوفة شمال إفريقيا وربطتها، بالعقائد الوثنية والمؤثرات البيئية السائدة قبل الفتح الإسلامي[6]، ففي ذلك يعتبر الانثروبولوجي الفريد بيل (**Alfred**

---

[1] عبد الله بن عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، ط4، 2003، الرباط، المغرب الأقصى، ص 39.

[2] نفسه ، ص 40.

[3] يحي هويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الافريقية،ج1 ، 1965، ، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ص 297.

[4] نفسه، ص 343.

[5] نفسه ، ص 356.

[6] جمال علال البختي، الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري،ط1، 2005، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، مصر، ص 07.

(Alfred Bel) أن التصوف هو امتداد للديانات الوثنية القديمة ويتحجج بذلك إلى سرعة القبول بمبادئه لدى القبائل،بحيث تم إدماج شيوخ التصوف داخل شبكة المعتقدات السابقة ونسب إليهم القدرة على منح البركة،واستمرت تلك المعتقدات منذ القديم إلى القرن العشرين [1].

ويقول جورج دراك **(George Drake)** أن عملية نشر الإسلام في المغرب ظلت ناقصة ومعاقة، فالإسلام الأرثوذوكسي[2] الذي وفد من الشرق لم يستوعبه سكان المغرب إلا لأسباب منها تعصبهم لعقائدهم المختلفة عن قيم الدين الجديد آو بسبب الصراع مع الايبيرين الأعداء بغرض الانتقام آو الحصول على الغنائم وهذا متعلق بسكان الشمال المغربي، أما الجنوب فظلوا متمسكين بالعقيدة اليهودية والمسيحية بل ويشنون هجومات على قبائل الشمال التي اعتنقت الإسلام[3].

في حين يرى دوتيه أن سبب انتشار ظاهرة عبادة الأولياء والصلحاء الأحياء منهم والأموات إلى التوحيد الإسلامي الحاد والمفرط الذي باعد العبد عن معبوده، مما دفع البعض إلى الاستعانة بالفقهاء تحت رداء الشفاعة[4] ،وبهذا فدوتيه لا يعتمد فقط على الرأي القائل أنها بقايا وثنية قديمة كما سبق وأشرنا[5]، ويضيف أنهم اضطروا مع مجيء الإسلام إلى التحايل من اجل الحفاظ على معتقداتهم الأصلية ،وذلك بتكييف معتقداتهم الوثنية مع مقتضيات الدين الجديد عن طريق مزجها بطقوس وممارسات دينية إسلامية ذلك أن الإسلام وبالرغم من قدرته الكبيرة على التأثير والتسوية لم يكن بوسعه القضاء كليا على الطقوس الوثنية القديمة،وبالتالي فقد تمت أسلمتها[6]، ويقول في هذا الصدد:"فإذا ما بحثنا على سبيل المثال عن الكيفية التي استقر بها طقس رمي الأحجار البدائي،الذي نشأت عنه الكراكير المقدسة داخل الديانة الإسلامية فإننا سنجد أنفسنا أمام النسق العام لأسلمة المعتقدات والممارسات الوثنية"[7]، ويحذو هنري باصي **(Henri Basset)** حذوه في

---

[1] عبد الغني منديب، المرجع السابق،ص 40.

[2] وهو يقصد بذلك الإسلام السني السلفي وربما الحركة الاصلاحية الوهابية.

[3] عبد الغني منديب،المرجع السابق، ص44.

[4] Edmond Doutté ,Notes sur L'Islam Maghrébin .les Marabouts ,extrait de l'histoire des Religions.op.cit .p03

[5] Edmond Douté ,Magie et religion en Afrique du nord.Op.cit.p :598

[6] Ibid.pp15-16

[7] عبد الغني منديب ،المرجع السابق،ص32

ذلك القول بأن ظاهرة تقديس الأولياء في شمال إفريقيا هي من بقايا الوثنية في بحثه" عبادة المغارات في المغرب" مشيرا إلى الصراع بين السكان والفاتحين العرب ، ويضيف أنهم استعانوا بالجن والشياطين ولكن قوة اكبر منهم هزمتهم"[1]،وما يتحجج به هو وجود نقوش قديمة داخل هاته المغارات، ولكن نرى أن هذا الأخير لم يعط الإسلام حقه فقد اختصره في كلمة فقط بالنسبة لعديد المناطق في المغرب.[2]

في حين درمنغهام **(Dermenghem)** يؤكد أن الأماكن المقدسة ومنها الأضرحة في شمال إفريقيا كانت عبارة عن معابد وثنية قديمة أصبحت أماكن يؤمها اليهود عند انتشار ديانتهم، ونفس الآمر بالنسبة للمسلمين، والملاحظ انه ينحو منحى سابقيه في القول بأنها بقايا وثنية[3]، ويحذو حذوه كل من كابولاني وديبون **(Depont et Coppolani)** وينسبانها الى الهندوسية ربطا بالإطعام الحاصل وحرق العطور، اما الاضرحة ينسبونها الى الرومان من خلال المهرجانات التي تكرم الجن والآلهة من خلال ذبح الحيوانات.[4]

كما أشار ادوارد دمونتي **(Édouard Delmont)** الى ان ظاهرة تقديس الأولياء والصلحاء والزوايا الدينية خاصية مميزة للإسلام بالشمال الإفريقي ،وان سبب انتشارها يعود أساسا إلى الظروف السياسية والتاريخية التي سادت خلال القرن السادس عشر، والمتمثلة في الانتصارات التي حققها الصليبيون في المنطقة وظهور زعامات متحمسة دافعت عن الثغور الإسلامية، ليتحولوا فيما بعد إلى أولياء في نظر الناس، وهذا القول جاء بعد دراسة سير مجموعة من الصلحاء، وهو يعارض فكرة (دوتيه) في أن حدة التوحيد الإسلامي هي إحدى عوامل انتشار الظاهرة، في حين يوافقه في مسألة أن الظاهرة هي ارث وثني بربري[5].

---

[1] Henri Basset , Le culte du grotte au Maroc. Alger. Ancien maison- Bastide. Jourdan. Jules Carbonale.1920.p 99.

[2] عبد الغني منديب،المرجع السابق، ص 37.

[3] نفسه ،ص46

[4] Octave Depont et Xavier Coppolani,op.cit ,p113

[5] عبد الغني منديب ،المرجع السابق ،ص 34-35

كما يذكر دوتيه ان عبادة الصلحاء في شمال افريقيا جاءت نتيجة تأثر البربر بعقيدة التثليث الكاثوليكية عند احساسهم بوجود قطيعة بينهم وبين ربهم، فاتخذوا أشخاصا كواسطة للوصول الى صلة مع الاله[1]، فاتخذوا السحرة والعرافين كوسائط بينهم وبين الاله[2]، وقد لاحظ العديد من المهتمين بدراسة الحياة في شمال افريقيا ان سكانها يقدسون الأشخاص ويحرصون كل الحرص على طاعتهم عكس ساكنة الشرق من المسلمين في شبه الجزيرة العربية حسب دي فوكو[3]، وأن الناس كانوا بحاجة الى وسيط بين العبد وربه خاصة مع انتشار الخوارق والكرامات التي نسبت الى القديسين والصلحاء وكذا مع التوظيف السياسي والإديولوجي لعديد الدول في تثبيت شرعية الدولة[4]، بل ويرى البعض ان ارتباط المرأة اكثر من الرجل بالصلحاء نظير اقصائها من زيارة المساجد عكس الرجال[5]، وينفي دوتي فكرة أسلمة عادات ومعتقدات الأهالي القديمة لغياب الشواهد الشواهد الملموسة من نقوش وكتب وتراجم تبرر ذلك، فكل ذلك مجرد استنتاج او نقل عن الأهالي من خرافاتهم[6].

استنتاج:

وعليه فالملاحظ ان هناك تضاربا واضحا في التأصيل للأضرحة بين من ينسبها الى الشعوب القديمة والشرائع التي تلتها الخارجة عن نطاق الإسلام وهؤلاء لهم أغراضهم وأهدافهم في ذلك في محاولة لفصل شعوب شمال افريقيا عن امتدادها الديني والإثنوغرافي ، ومنهم من يربطها ربطا مباشرا بالإسلام والحضارات المتعاقبة عليه.

---

[1] Edmond Doutté, Notes sur l'islam maghribin-Les mirabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions,op.cit, p2

[2] ادموند دوتي، الصلحاء ، المصدر السابق، ص25

[3] Edmond Doutté, Notes sur l'islam maghribin-Les mirabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions,op.cit p6

[4] ادموند دوتيه،الصلحاء المصدر السابق،ص 09.

[5] نفسه، ص 25.

[6] نفسه، ص 34.

المبحث الثالث: أصول الولاية وارتباطها بالصلحاء

وتسمية الضريح باسم الوالي لارتباط الولاية بذات الشخص المضروح او المدفون بذات المكان وعليه فما هي الولاية وكيف ترتبط بالمضروح؟

1-الولي والولاية:

أ-الولي:

وهو الناصر في أسماء الله الحسنى المتولي لأمر الخلائق، كما تأتي الكفيل بالشخص، والوالي وهو مالك الأشياء المتصرف فيها [1]، ويربطها الناصري فيقول عنها"انه المؤمن المتقي المخلص المفرد لوحدانية الله تعالى الملتزم بسنته، مهما اختلف شأن هذا الولي بعلو منزلته أو دونيته عن الغير"[2]، وقد حصرها المولى عز وجل في المؤمنين التقاة مصداقا لقوله " إن أولياؤه إلا المتقون".[3]

جاء في الرسالة القشيرية التعريف على معنيين الأول: فعيل بمعنى مفعول وهو من يتوله الله سبحانه وتعالى أمره لقوله تعالى"وهو يتولى الصالحين" أي يتولى الله رعايته، والثاني:فعيل وهو مبالغة من الفاعل وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته فلا يتخللها عصيان، وكلاهما واجب حتى يكون وليا وبالتالي الشرط هنا الحفظ كما العصمة في النبوة.[4]

ب- الولاية:

في حين ابن عربي يميز بين نبوة العامة نبوة الإلهام والعرفان وهي الولاية، ونبوة التشريع وهي الرسالة، وهاته الأخيرة التي انقطعت بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم[5] ،وبالتالي أراد بن

---

[1] ابن منظور، لسان العرب،مج 15 ، دار صادر بيروت،د س ، ص 406-407.

[2] محمد بن اليمني الناصري، ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكسار، المطبعة الأهلية، الرباط، ص 56.

[3] نفسه، ص 57.

[4] ابو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، مطابع مؤسسة دار الشعب،القاهرة، مصر،1989، ص436

[5] محي الدين ابن عربي،الفتوحات المكية،ج3،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان ط 1 ،1999،ص102

عربي أن يؤسس لقاعدة أن الأولياء ورثة الأنبياء في علمهم ويؤخذ علمهم بالكشف ،وأنهم يأخذون مباشرة من جبريل ،فهم بالتالي ليسوا بحاجة إلى تصحيح حديث أو إسناد [1].

وأول من طبق اصطلاح الولاية على أصول التصوف هو الحكيم الترمذي في أثاره التي تركها من ورائه (حكم الأولياء،سيرة الأولياء،عمل الأولياء)، وسرعان ما غدت الولاية بعده قاعدة وأساس طريقة التصوف والمعرفة جملة[2]، ويرى الهجويري وهو من متصوفة السنة أن الولاية ضرورية لبقاء هذه الأمة وهي في منظوره تعني الكرامة أيضا وهي بمثابة المعجزة في النبوة، وبما أن المعجزة هي علامة لصدق النبي فكذلك الولاية والكرامة بالنسبة للولي، أمّا الصوفية المغالية فيرون ان نهاية الولاية هي بداية للنبوة[3].

ولا تُنال الولاية إلا بالخلوات والجوع وترك الأهل والولد والخروج إلى البوادي، فلابد من السفر وهجر البيوت فالولي سيدي قادة بالغرب الجزائري وبالضبط بمدينة معسكر نشأ بجبل بعيدا عن العامة الناس، مختليا بنفسه حسب كتاب القول الاعم انه نشأ بجبل بعيدا عن ملذات الدنيا.[4]

ب-أنواع الاولياء :

1-الولي العالم: يعرف بالعلم ويخلف وراءه دواوين وكتبا ويكون صاحب طريقة.

2-الولي الخامل:وهو العارف زاهد تارك للدنيا مفارق للامراء مجالس للفقراء .

3-الولي شيخ القبيلة: يميل للسلطة والتسيير .

4-الولي الفقيه:قد يمتهن القضاء او المشيخة والافتاء[5]

---

[1] محمد عابد الجابري،بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية،ج2،ط9، 2009،مركز دراسات الوحدة العربية،لبيروت لبنان ، ص362.363

[2] محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص347.

[3] أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري، كشف المحجوب،تر اسعاد عبد الهادي قنديل،ج1،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2007،ص 474.

[4] الطيب بن المختار الغريسي المختاري، القول الأعم في بيان انساب قبائل الحشم، المطبعة الخلدونية التلمسانية، ص 338.

[5] رريب الله الحاج احمد، المرجع السابق، ص173.

والأولياء مراتب وطبقات وقامات منهم الغوث الأعظم، القطب، الأوتاد، الأخيار،الأبدال، النجباء،النقباء[1]، فنقل في سيرة الخميس عن ابي بكر الكناني قدس الله سره (النقباء ثلاث مائة يسكنون المغرب ،النجباء سبعون يسكنون مصر، والأبدال أربعون بالشام،الأخيار سبعة سياحون بالارض، والعمداء أربعة في زوايا الارض والغوث واحد بمكة.[2] أمّا الهجويري فيضيف أربعة سماهم المكتومون [3].

ج-اركان الولاية:

-الشيخ المرشد:

أو السيد الموجه في الحياة الروحية لهم شطر من السلطة، وهو مرتبة عظيمة روحيا وزمنيا واجتماعيا، وفي السلطة العثمانية يسمى شيخ الإسلام، وعمم ذلك على خطباء المساجد، ثم ارتبط الاسم في الجزائر بالمعينين من طرف الإدارة الفرنسية في المساجد وعلى رأس الدواوير ومعلمي القرآن[4].

ويستمد الشيخ نفوذه من علمه ومعرفته بالله والبركة التي أصبح مالكا لها والتي أهلته للاستمداد منه (الاستمداد ان يكون منحدرا من نسل النبي صلى الله عليه وسلم أو آل البيت)، فاعتقد فيهم الناس الصلاح فحاكوا حولهم الأساطير ونسجوا القصص فغدت ضربا من الخوارق ومنه من يستمدها من تهديد الناس في صحة أبدانهم وعائلاتهم ومحاصيلهم ومنهم من ادّعى البركة والإحياء والشفاء.[5]

---

[1] Louis Rinn,Marabouts et khouan-étude sur L'Islam en Algérie,Adolphe Jordan éditeur,Alger,1884,p55-56

[2] محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والاخبار ،تحقيق علي الزواريي ومحمد محفوظ ،المجلد 2،دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1988 ، بيروت، لبنان ص 242

[3] الهجويري، المرجع السابق ،ص447 .

[4] Octave Depont et Xavier Coppolani,.op.cit ,p193

[5] التليلي العجيلي،الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية1881-1939،المجلد 2،كلية الآداب بمنوبة جامعة تونس،1992،ص31

-المقدم:

ممثل شيخ الطريقة في إحدى زواياه طبعا بعد حصوله على إجازة (تفويض من الشيخ)[1]،ومنفذ تعليمات الشيخ الشفهية او عبر الرسائل.[2]

-طاعة المريد:

أهم ركن في العلاقة بين المريد والشيخ وتقوم على إجلال الشيخ وتقديسه والمبالغة في محبته والتسليم بذلك.[3]

ومن هذا جُبِل الاتباع على أحادية المتلقي والتسليم المطلق بصحة ما يصدر عن شيخهم المصيب دائما، لهذا تمكن المشايخ من الاستحواذ على شخصية المريد فجعلته كالميت بين يد مغسله.[4]

2- من الرباط الى القداسة:

كل بلاد ولها حراسها وقادتها يصطلح عليهم موالين البلاد كسيدي بومدين في تلمسان وسيدي عبد الرحمان الثعالبي في العاصمة يعود تاريخه الى ق 16[5] ، وارتبط مصطلح الولي بالشرق الجزائر، في حين الغرب يغلب عندهم مصطلح المرابط[6]، ويتناقص الارتباط بالاولياء كلما كلما توجهنا من الغرب الى الشرق باعتبار ان مركز الغرب هو المركز الديني فتجد القباب في الغرب فرادا ومجموعات [7].

ويذكر المقدسي ان الصوفية كانت لهم بيوت صغيرة سميت رباطات بمسمى حربي ويلبسون لباس من صوف وفوطة، اغانيهم روحانية عاطفية،يحبون الدعوة للطعام[8]، كما انهم يقضون حياتهم بين الناس يلقنونهم اورادهم واذكارهم ومبادئ الدين، حتى اذا اشتهر احدهم أسس له مركزا

---

[1] التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص38

[2] Octave Depont et Xavier Coppolani,op.cit ,p195

[3] عبد الوهاب الشعراني،الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ،تحقيق طه عبد الباقي والسيد محمد الشافعي،ج1،مكتبة المعارف،بيروت لبنان،1988،ص168.

[4] نفسه، ص189.

[5] Edmond Doutté ,op.cit, p64

[6] Octave Depont et Xavier Coppolani, op.cit ,p143

[7] CorneilleTtrumelet,L'Algerie légendaire ça et la aux tombeau des principeax thaumaturge de l'Islam (tell et sahara), op.cit, p07

[8] المقدسي ،احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،ط3،1991،مكتبة مدبولي القاهرة،مصر ،ص 415.

يستقبل فيه اتباعه من الزوار والمريدين ويعلم فيه الطلبة ويتبرع له الناس ويصبح اسمه مرابطا فيحمل ذلك المكان اسمه أي زاوية سيدي فلان او رباط سيدي فلان حتى اذا مات بني له ضريح بالزاوية ويتوارث المكان والاسم أولاده واحفاده ومن يليهم[1]، وهناك من لديه مفهوم خاطئ حول الاضرحة فيعتبرها مجرد مراقد وقبور لاصحابها ، بل في الحقيقة ان اغلبها في الأصل مراكز دينية واجتماعية وليست قبر صالح فقط فهي تضم كذلك مساكن لموظفيها ومسجدا ومقبرة للمسلمين بل حتى فرنسا استخدمتها لأغراض أخرى، وعليه فان الضريح والزاوية مفهومان مرتبطان.[2]

وانطلاقا من هذا كان من الواجب علينا إعطاء مفهوم لمصطلح الرباط وكل المفردات المرتبطة به:

أ-الرباط:

وهي منشات استطلاعية تبنى عادة على مشارف السواحل في شكل أبراج مراقبة او حصون لصد الحملات الخارجية كانت تقام على الثغور لرد الأعداء، هاته الرباطات التي تحولت الى زوايا ومراكز للتعليم بعد خلق أجهزة عسكرية خاصة للدفاع عن الامة والبلاد[3] واطلق على المواقع التي كانوا بنشرون منها رسالتهم رباطا ثم زاوية[4].

ب -**الزاوية:**

هي مكان للانزواء والتعبد وتحفيظ القران وإيواء طلبة العلم ولما مات مؤسسوها دفنوا بها وأقيمت قباب على قبورهم التي أصبحت محل تقديس واعتقاد وزيارات من قبل السكان وصارت محل لطلب البركة واقامة الحضرات مما يصاحبه اعمال شعوذة وخوارق[5]،وتكاد تكون هذه الزوايا حكر على العائلات المرابطية وبعضها تكون في شكل اكواخ صغيرة لعقد اجتماعات في حين

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ،مرجع سابق، ص 263.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5،مرجع سابق، ص 111.

[3] رريب الله الحاج احمد،المرجع السابق، ص346.

[4] Octave Depont et Xavier Coppolani,op.cit ,p131

[5] التليلي العجيلي،مرجع سابق، ص35

تلقى الدروس في الهواء الطلق[1]،لتبتعد فيما بعد عن الدور الديني الى الدور السياسي الدنيوي جراء نفوذها الاجتماعي[2].

ج –المرابط :

في الأصل يعني المجاهد انطلاقا من الرباطات والمسبل المدافع عن وطنه حتى الموت[3]، والمرابطية هي العلاقة الأخلاقية اتجاه الضمير الذي يربط الانسان بالألوهية متبعا في ذلك ما جاء في الكتاب من حلال وحرام، فالمرابط هو الحارس الحريص على تطبيق شرع الله في الأرض فهو الواسطة بين الرب والعباد[4]، كما انه الرجل الصالح الحامل لرسالة رسول الله ونظير صدقهم في حياتهم واخلاصهم وشهرتهم ارتقوا الى مرتبة القديسين لتصبح كلمة مرابط مرادفة لقديس او والي او صالح[5].

د–**الصالح:**

وللكلمة حصر في منطقة المغرب العربي ومتداولة على الالسن اكثر من الكتابة، أصبحت الكلمة تضم البلهاء والاغبياء والحمقى والصرعى واكوام الحجارة والاضرحة والطيور الأشجار وغيرها[6] وكل ما يحج اليه الناس ويتبركون به[7] .

هناك نوعين من الصلحاء، "الشعبيون" وهم يظهرون بمظهر فلكلوري وفي قصص اسطورية محلية لهم كرامات لا يقبلها العقل أحيانا اغلب اوقاتهم يقضونها في التحليق يتحكمون في مظاهر الطبيعة، وهناك الصلحاء "الجادون" عكس الصنف الأول تماما[8].

---

[1] Louis Rinn,Marabouts et khouan-étude sur L’Islam en Algérie,Adolphe Jordan éditeur,Alger,1884,p14

[2] محمد مكحلي، الاولياء والصلحاء في الجزائر الظاهرة والجذور، دار القدس العربي، وهران، 2020، ص77.

[3] Edmond Doutté,note sur l’islàm maghribine-les marabouts, op.cit ,p28

[4] Corneille Trumelet,L’Algerie légendaire ça et la aux tombeau des principeax thaumaturge de l’Islam (tell et sahara),opcit,p03.

[5] Octave Depont et Xavier Coppolani, op.cit ,p131

[6] ادموند دوتي، الصلحاء ، المصدر السابق، ص 54

[7] Edmond Doutté,note sur l’Islàm maghribine-les marabouts, op.cit ,p33

[8] Emile Dermengham,le culte des saint dans l’islam maghrébin, op.cit ,p11.

ويقصد بهم في منطقة زواوة الرجال الصلحاء الاشراف الزهاد الآخذون بالعربية والإسلام[1]، والذين في اغلب الأحيان تكون لهم سلطة دينية قوية وتاثير كبير على السكان قد يفوق تاثير السلطة السياسية للدايات والبايات[2]، وهم رجال الدين الاحرار أي غير رسميون لا يرتبطون بالإدارة بالإدارة الفرنسية[3]، وبحكم التبجيل الذي يحظون به كأشخاص ، تلجأ اليهم عديد القوافل التجارية طلبا للحماية من قطاع الطرق، بل تحتوي بعض الزوايا على مستودعات للمواد التجارية بحكم ان حياة بعض المرابطين عبارة عن تجارة[4]، بالإضافة الى دورهم في فض النزاعات بين العائلات والقبائل وحل المشاكل الحدودية لاقطاعات العائلات الكبرى[5].

-عند رجال الإصلاح:

فهو كل شخص اقترن اسمه بادعاء الكشف والولاية والبركة والزيارة والنصب والاحتيال[6]، بحجة انهم كانوا معفيين من الضرائب ومن حمل السلاح وتختارهم الإدارة الفرنسية كقضاة ومحكمين[7]، ولا يوجه لهم السباب، ويستشارون في كل كبيرة وصغيرة[8]، ويحصلون على ثلث الزرع او الغلة من الفلاحين[9]، وفي هذا الصدد يذكر "دي فوكو De Faucauld" انه في عديد عديد المناطق من الجزائر يمنح الاحترام للمرابط فقط، بل اكثر من ذلك بعض المرابطين يجهلون أمور الدين تماما، بل حتى في المدن المعروفة بعلومها ومساجدها [10]، خاصة اذا كانت صفة المرابطية فيهم موروثة أبا عن جد[11].

---

[1] أبو يعلى الزواوي ، كلمة مرابطين في الزواوة ، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 41 ، 30 اكتوبر 1936، ص 7.

[2] Louis Rinn,Marabouts et khouan-étude sur L'Islam en Algérie,Adolphe Jordan éditeur, Alger, 1884, p15

[3] Ibid ,p14

[4] Edmond Doutté,note sur l'islàm maghribine-les marabouts, op.cit ,p110

[5] Ibid,p104

[6] أبو يعلى الزواوي ، كلمة مرابطين في الزواوة ، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 41 ، 30 اكتوبر 1936، ص 7.

[7] Edmond Doutté ,Notes sur l'Islam maghribin-Les mirabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions, op.cit , p73

[8] Ibid,p73

[9] المدرس جوزيف ديسبارمي ،المصدر السابق،ص 182

[10] Edmond Doutté,note sur l'Islàm maghribine-les marabouts, op.cit ,p 07

[11] Adolphe Hanoteau, Aristide Letourneux, La Kabylie et les coutumes Kabyles, tome2, challamel Aîné librairie,paris,1873,p83

ولكن في الحقيقة ان لفظة مرابط قد حرفت عن معناها التاريخي وعمم معناها السياسي فأصبحت تطلق على المشعوذين والصوفية والدراويش، وهذا امر خطير فيصبح معنى مرابط كل رجل دين متخلف، وإنما الصقت بهم هذه النعوت للتقليل من شأنهم والحط من مكانتهم وسط اتباعهم وطلبتهم بغرض افراغ المقاومات من محتواها الجهادي[1].

د-أصول المرابطية:

لقد بلغ عدد العائلات الشريفة سنة 1880 في عموم الجزائر 115 عائلة مرابطية[2]،وتدّعي الفئة المرابطية النبل بانحدارها الخالص من نسل الشيخ فيصبح بذلك المعيار عرقي وليس روحي او ما يعرف باولاد الصلب واولاد القلب[3] كما انه لا علاقة لها بالعلم، وليس بالضرورة مرتبطون بمساجد[4] بمساجد[4] اذن نحن امام ثلاثة أنواع :

- **المرابط نسبا:**

لا يكون كذلك الا مولدا مهما كان الشخص فاضلا[5] فتأخذ مجموعة من السكان اسم الشرفة الشرفة من مرابطهم الشريف المنحدر من قريش، او مباشرة الى النبي صلى الله عليه وسلم،[6] فمرابطو القبائل في عمومهم من اصل عربي[7] ، فالبربر لم يرتكزوا على الشعور الديني في المكانة المكانة الشريفة بل الى الأصل العربي فركزوا على الانتساب الى قبائل اليمن العربية ليثبتوا نسبهم الشريف والضارب في القدم[8] وحال الشرفاء انهم لا يتزوجون الا الشريفات خاصة في منطقة القبائل فمن النادر ان يختلط الدم المرابطي بغيره الا نادرا [9] للأسف الشديد معظم المرابطين نسبهم

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4 ، ص 13-15.

[2] Louis Rinn,Op.cit,p20

[3] رريب الله الله الحاج احمد،المرجع السابق، ص 163.

[4] Edmond Doutté,note sur l'Islàm maghribine-les marabouts, Op.cit,p72

[5] Louis Rinn, Op.cit,p15

[6]Edmond Doutté , Notes sur l'Islam maghribin-Les marabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions, Op.cit, p48

[7] Charles Devaux,les kebailes du Djerdjera-etudes nouvelles sur les pays vulgairment appelés- la grande kabylie,camoin frère libraire editeur,challamele,rue du boulangers 30,Paris-France,1859 ,p 09.

[8] Edmond Doutté ,Notes sur l'Islam maghribin-Les marabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions, Op.cit , p56

[9] Ibid, p73

نسبهم ملفق وليس بشريف فمنهم الاتراك ومنهم الزنوج وأثبتت الدراسات زيف هذا وان معظم الصلحاء والمرابطين دراويش ولا علاقة لهم بالنسب الشريف[1].

- **المرابط علما:**

وأما من لم يجد مرابطا من اصل شريف فيرتبط بمرابط له ماض نبيل خاصة البربر منهم في منطقة القبائل، ويمتلك صفة المرابط من امتاز بحسن الخلق والعدالة ولكن بعد وفاته[2].

- **المرابط المجذوب:**

ويمتلكها المجنون والساذج المرتبط بالولاية[3]والابله اذا به كرامة وخوارق فيعتقد الناس ان ان الله وضع به قداسة فيسمى بهلول او مجذوب (البهالي)، ويكاد يصير كلامه وحيا من شدة اعتقاد الناس فيه ولو كان يتعدى على حرمات الله[4]، وشملت كلمة مرابط حتى الحيوانات والمرضى والمرضى والطيور والاحجار والأشجار ومن امثلة ذلك اسود سيدي امحمد بن عودة بزمورة حتى اصبحوا مقدسين ومذعورين بمجرد التقرب اليهم[5].

ويجمع دوتيه تلك الأنواع فيقول ان اردت ان تصبح مرابطا عليك ان تكون عالما وذو سمعة طيبة وزاهدا وصوفيا مع بعض البلاهة والسخافة وبهذا يمكن ان تورث المرابطية لأولادك[6].

استنتاج:

مفهوم الولاية أوسع من أن يوجز في صفحات لارتباطه بتخصصات شتى، فنجد تضاربا في بين الدارسين له، ولكن المتفق عليه انه قبس ولبنة أساسية في صناعة ظاهرة الصلاح والقداسة.

[1]Edmond Doutté ,Notes sur l'Islam maghribin-Les marabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions, Op.cit, p50
[2] Ibid,p75
[3] Ibid, p35
[4] Ibid, p75
[5] Ibid, p.33
[6] Ibid, p73

الفصل الثاني:
مواسم الاضرحة
طقسا وممارسة

المبحث الأول: ظاهرة الصلاح وارتباطها بأضرحة الجزائر

1- انتشار الصلحاء وحضورهم في مجتمعات الجزائر

2- مكانة الصلحاء في المجتمع الجزائري

4 - مركبات الضريح و سيميولوجياتها

المبحث الثاني: احياء مواسم الاضرحة خلال الفترة الاستعمارية

1- - جينيالوجيا المواسم

2- شهود مواسم الاضرحة

3- سيرورة المواسم وطقوسها

المبحث الثالث: زيارة سيدي عابد انموذجا

1 – سيدي عابد الأصول والانتماء

2- تنظيم زيارة سيدي عابد

المبحث الأول: ظاهرة الصلاح وارتباطها بالاضرحة

1-انتشار الصلحاء وحضورهم في مجتمعات الجزائر:

-جغرافية الاضرحة:

كل مدينة كبيرة وصغيرة كانت لها ولي يحرسها من العين من الغارات ونكبات الطبيعة، وهو حال تلمسان والجزائر وبجاية[1]،ففي بعض المناطق تنتشر بقوة دون مناطق أخرى كسهل الشلف الذي تنتشر القباب وبكثرة فرادى وفي تجمعات ونفسر ذلك بانتشار العنصر البربري باتجاه المغرب الاقصى[2]، وبعيدا عن المواسم المعهودة في الجزائر المرتبطة بالسواد الأعظم من السكان وحتى نضبط بحثنا جيدا وجب الإشارة الى ان المواسم مست الصلحاء والصالحات، كما ان هناك فئات ومناطق لها طقوسها الخاصة في حين هناك شرائح لا ترى بوجوب هذه المواسم أصلا وفي هذا السياق نذكر :

أ- النساء الصالحات: يحظين بنفس التقديس مثلهن مثل الرجال وانتشار اضرحة النسوة المرابطات بكثرة او قلة حسب مكانة المرأة في تلك المنطقة فتكثر اضرحتهن في منطقة القبائل باعتبار المرأة هناك تشارك الرجل الاشغال وتقاسمه الحياة[3] فنجدهم يطلقون اسم لالة او يما-إيما، ستي التي تعني السيدة على الصالحات من النساء كما هو الحال لالة ستي في تلمسان او ايما او يما قوراية في بجاية وجامع ستي مريم بالعاصمة [4] وللعلم فإن النساء المرابطات لا ينقلن صفة المرابطية الى اولادهن[5]

ب-الميزابيون: وعند الاباضيين كلمة عمي تساوي المرابط والوالي[6]، فالاباضيون نسبيا لا يقدسون الصلحاء وهم منتشرون في ميزاب وورقلة ومذهبهم يشبه مذاهب وهابيي نجد في رفض

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ، مرجع سابق، ص 263.

[2] Edmond Doutté,note sur l'islàm maghribine-les marabouts, Op.cit,p08

[3] Corneille Trumelet,Blida récit selon légende-la traduction et l'histoire, Op.cit,p250

[4] Edmond Doutté ,Notes sur l'islam maghribin-Les mirabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions, Op.cit, p42-41

[5] Ibid,p73.

[6] Edmond Doutté ,Notes sur l'islam maghribin-Les mirabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions, Op.cit, p39

عبادة الاولياء[1] يقدسون ذكرى وفاة صالحيهم ولكن لا يتخذونهم أولياء لانهم يرون فعالية شفاعة الاولياء والمرابطين انكار لحكمة الله فيتهمون الدراويش والفقراء بالزندقة [2]، ولكن هناك من يذكر بعض القباب المقدسة لصلحائهم يقصدونها في اعراسهم بحيث يأتون بالعريس مرفوقا باصحابه بغرض تقديم وجبة العرس هناك المشكلة من التمر والخبز ويطوف بالتابوت سبعا[3] دون طلب أي معروف او خدمة ولا تقديس ومن ذلك لا تجد لديهم زاوية، ولم يرد ان بني ضريح لامرأة بالرغم من دور المراة الرسمي في مجتمع الميزابيين[4]،وفي المولد النبوي يوزع التمر والخبز نهارا والكسكس والكسكس ليلا وما يميز الزيارة عند الميزابيين خلوها من التجاوزات[5]

ج- الطوارق: ليس للصلحاء والاولياء تاثير يذكر نظير جهلهم بهذه العقائد والطقوس الا بعض الصلحاء الذين مهمتهم حماية القوافل في الفيافي[6].

د- الزنوج: ليس لديهم مرابطين ولكن كبارهم بنفس مرتبة المرابطين الذين ينسب اليهم القدرة على علاج بعض الامراض ودرء الأرواح الشريرة[7] يحتفلون بموسم الفول في 25 مارس من كل سنة عندما يتوجهون في العاصمة الجزائر الى مسجد سيدي عبد القادر الذي يضم ضريح سيدي بلال المطل على الحامة، ويسمى بموسم سيدي بلال نسبة الى سيدينا بلال رضي الله عنه مؤذن النبي الذي يجتمعون معه في لون البشرة [8]، وكانت مواسمهم يحضرها ممثلين عن الإدارة الفرنسية فهذه لافتة كتب عليها " شرف للفرنسيين الذين الغوا العبودية"[9]

---

[1] Edmond Doutté ,Notes sur l'Islam maghribin-Les marabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions, Op.cit, p9

[2] Louis Rinn, Op.cit,p154-155

[3] Amélie Marie Goichon, Op.cit,1927,p 94

[4] Ibid,p245

[5] Ibid,p161

[6] Edmond Doutté, Notes sur l'islam maghribin-Les marabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions, Op.cit, p.25

[7] A. GAEL, Op.cit, P68

[8] Ibid, P 67-68.

[9] Ibid, P76.

هـ-**الصلحاء يهود:** نجد بعضها بتلمسان مثل موسم سيدي يعقوب بتلمسان حيث تزرنه النسوة اليهوديات وتقدمن له القرابين طمعا في الذرية، يذهبن اليه سيرا على الاقدام[1].

2-مكانة الصلحاء في المجتمع الجزائري:

كل مدينة كبيرة وصغيرة كانت لها ولي يحرسها من العين من الغارات ونكبات الطبيعة، وهو حال تلمسان والجزائر وبجاية[2]،كما ان رؤساء القبائل في حاجة الى الصلحاء والقديسين حتى وفاتهم فيضعون لهم دلالات كاكوام الحجارة، وبعض المناطق يتحتم عليها استقدام صالح من الصلحاء وقتله لتبقى بركته التي بها تنافس المناطق المجاورة خوفا من سفره وترك القرية لتتحول تلك الكومة او القبة الى ضريح ثم الى مزار للحج، بل يصل الامر أحيانا الى سرقة جسد ذلك الصالح وذاك سبب تعدد أسماء الصلحاء في عدة مناطق كما هو الحال لسيدي بوقبرين في العاصمة ومنطقة القبائل.[3]، ويتم تخليد اسم الولي باطلاق اسمه على المواليد للتبرك والانتساب واحياء مواسمه والتشهير بها[4]، وللاضرحة دور كبير في المجتمع الجزائري ومن ذلك:

أ -التعزير (العقاب)

القسم:

يساق الجاني الى الضريح للقسم لاثبات براءته فيقسم على الحجر عند القبر لإثبات الزور[5]،فيصعد المذنب على الصخرة فان اهتزت فهو مذنب واذا سكنت فهو بريء[6]، او يوضع بين بين شجرتين تلفاني عنقه فان ثبت جرمه خنقته وضيقت عليه، او يقسم ويخلى سبيله وينتظر ما يحدث من مرض او فساد زرع[7] ويمكن ان يدفع المسروق مبلغ من المال لاستعادة اغراضه المغصوبة وذلك ما يعرف بـ:

---

[1] Edmond Doutté, Notes sur l'islam maghribin-Les marabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions, Op.cit, p69

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ،مرجع سابق، ص 263.

[3] Emile Dermengham, Op.cit,p17

[4] رريب الله الله الحاج احمد،المرجع السابق، ص 163.

[5] Jean Servier , Op.cit,p24

[6] Ibid,p25

[7] Ibid,p26

البشارة: وهي المبلغ المدفوع للشخص الذي يجلب لك اغراضك المفقودة او يخبرك بمرتكب الجريمة من سرقة او غصب للاشياء او اعتداءات، واغلب الأحيان تكون في حال سرقة الأغنام[1]فكانت بذلك تحل محل المحاكم الفرنسية الرسمية بل اكثر نجاعة، ومن قصص ذلك سرق احدهم مسبحة عمه ففرض عليه القسم عند ذلك الصالح المرابط حيث توفي هناك واقفا اثناء أداء القسم فكان عبرة للصوص وزاد ارتباط اتباعه به وقلت نسبة اللصوصية خوفا من نفس المصير او الجنون[2]،ولكن أحيانا يحدث تواطؤ مع السارق من احدهم، أو فبركة عملية السرقة لاثبات قداستهم، مما دفع الإدارة الفرنسية الى ضرورة الحد من هذه الممارسات حيث ناقشت قانون فيما يخص هذا الفعل في البرلمان في 11 ديسمبر 1907 على انها جريمة احتيال[3]، وحتى المستوطنين كانوا يستنجدون بهم في استرجاع اغناهم وأغراضهم المسروقة[4]، ويقول دوتيه كيف لفكر الله والهامه ان يسكن هدا العقل الفارغ[5].

ب-الاستشفاء:

كل الصلحاء يشتركون في صفة الشفاء ولكن يختلفون في تخصص الاستشفاء فلكل صالح قدرة على علاج مرض معين، ويتم ذلك باخذ شيء من التراب او الغبار واستنشاقه او خلطه بالماء، ويصلح حتى لعلاج الحيوانات، من آلام الأذن والاسهال والجذام والأطفال العصبيين والتقرحات، ومن الصلحاء من يشفي حتى الجنون، كما يستشفى بما جاور الضريح من أشجار وحشائش وينابيع[6]، يشفي الكساح وآلام اليد والذراع والمفاصل، والاستشفاء أحيانا يكون بمقابل طهي الخبز من دون ملح، أو وضع قصبة على مكان الألم وتوضع بجانب الضريح فكلما يبست وجفت تماثل المريض للشفاء، فمثل الصلحاء في مسألة الاستشفاء كالأطباء الاختصاصيين الآن فما تكفل بالحيوان فهو بيطري وبالانسان وهكذا كل على حسب قدرته في العلاج [7].

[1] Adolphe Hanoteau, Aristide *Letourneux*, Op.cit,1873,p514
[2] H.Lavion, Op.cit,p135
[3] Ibid,p139
[4] Edmond Doutté,note sur l'islàm maghribine-les marabouts, Op.cit,p107
[5] H.Lavion, Jean servier , Op.cit,p141
[6] Jean servier , Op.cit,p85
[7] Ibid, p86

وتعتبر بعض الينابيع القريبة من الاضرحة مصادر للاستشفاء كما هو الحال لسيدي بن يوسف بمليانة الذي يعتبر مصدر شفاء لمرضى العيون من الأطفال[1]، ويحضر بعض الزوار معهم أباريق لاخذ المياه الى بيوتهم لعلاج آلام أسنانهم[2]، وبعض الأودية والأنهار لها صفات علاجية لعلاج الإبل، ويمكن للصالح ان يطلقها للجريان او يحبسها[3]، كما نجد أحيانا أسلحة المضروح عند القبر بحيث يقوم الزائر بضرب القبر به ثلاثا لتحقيق مرغوبه من شفاء وطلبا للمطر، او فضًّا للنزاعات[4].

والمراة التي يمرض ولدها تقص خصلة من شعره وتربطها بالقرب من قبر الوالي وتشعل سراجا وتتضرع للقديس فإن نجا من الهلاك بعد ثلاث سنوات تذبح ماعزا مع الكسكس اذا كان المولود ذكرا أما فتاة فخروف، وهذه حياة الطفل مقابل حياة الحيوان المذبوح[5]، وهذا ما يعرف بالنشرة[6] والتي تقوم عادة على ذبح الطيور ونشرها على ضفاف الوادي لجلب منفعة او دفع مضرة [7].

كما هناك استشفاء لاخراج الجن او العين والحسد وهي نوع من السحر يطلبه الجن للخروج من ذاك الموضع فإن كان في رأسه طلب رأس حيوان وان كان في جسد طلب جسدا وهكذا، واحيانا يطلب عضوا من حيوان مفترس كذئب او ضبع[8]، وحتى من يخاف الابتعاد عن المضروح والهجرة والهجرة الى الخارج كفرنسا، يأخذ من بقايا ذلك الضريح من غبار وشموع وقطع سجادات للاستشفاء والتبرك بها[9].

كما يؤخذ من تراب الأضرحة لصناعة الحروز لحماية انفسهم والتداوي بها بل حتى لحيواناتهم حتى يكاد تراب ذلك الولي ينفذ كما هو الحال في ضريح سيدي الشيخ[10]، فبعد الحج اليها الكثير

---

[1] Jean servier , Op.cit,p41

[2] Ibid,p42

[3] Ibid,p142.

[4] Ibid, Op.cit,p56

[5] Ibid,p104

[6] **النشرة:** فهي ذبيحة غالبا ما تكون من الدجاج القصد منها استشفاء مريض به مسٌّ من الجن ولا يذكر اسم الله عليها عند الذبح تقربا إلى الجن، الميلي، رسالة الشرك ومظاهره،مصدر سابق، ص 6).

[7] رريب الله الله الحاج احمد،المرجع السابق، ص 166.

[8] Jean Servier , Jean servier , Op.cit,p106

[9] Ibid,p114

[10] Corneille Trumelet,L'Algerie légendaire ça et la aux tombeau des principeax thaumaturge de l'Islam (tell et sahara), Op.cit, p172

من المشلولين استعادوا أطرافهم والعقيم اصبح مخصبا ومن أضاع إبلا وجدها[1]، يأتيه العاجزون الشيوخ والمقعدون طمعا في الشفاء هناك عجوز تطوف حول الضريح " ياسيدي احمد ارحمني... اشفني" أحيانا يكون لها ذلك فتنهض بسهولة، وهناك امراة وضعت ابنها على قبر القديس، وأخرى بصوت خافت تطلب الولد فهي عقيم تعد الصالح بذبح بقرة أو خروف او عنزة إن تحقق مرغوبها[2]، وكان العامة يتبركون اثار المرابط من خيل ولباس بل ويتوسلون للشيوخ لاكل لقمة من طعامهم والبصق فيه مظنة البركة والشفاء[3].

ج- معرفة المستقبل- الغيب:

يزور بعضهم الضريح بغرض تفسير حلم او انتظار بشرى فيبيت تلك الليلة بجواره وينتظر الرؤيا الليلية او الإشارات والتنبيهات، مع بعض الطقوس النسوية المرتبطة بالسحر والتنجيم وبعض الحركات الجسدية لاستحضار الارواح[4] مرفوقا بضرب الدف لينتهي بطلب ذبح قربان دجاجة أو ديك وتحديد لونها بعناية خاصة في علاج من أصيب بمس، بل ويوضع المريض وسط الحضور مع ضرب الدف وتمتمة النسوة ثم يقترب منها الشيخ ويضربها بعنف على ظهرها وان لم ينجح العلاج يشير أحدهم الى نوع القربان لطرد الروح الشريرة[5].

بل وصل ببعض الصلحاء بإعطاء وصف دقيق للغازي المسيحي أنّه يضع شاشية حمراء وسروالا أحمرا وسيتبدل الأتراك بالمسيحيين[6].

د-الاستمطار:

وهو طقس مقدس جدا فلا تحضره إلا الشرائح النقية من نساء مسنّات تقيّات تقودهن عجوز من العائلة المرابطية، والأطفال الذين لم يبلغوا بعد وخاصة من الفتيات ويستثنى منهم

[1]Corneille Trumelet,L'Algerie légendaire ça et la aux tombeau des principeax thaumaturge de l'Islam (tell et sahara), Op.cit, p174

[2] Corneille trumelet,Les saints de l'Islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p265

[3] Edmond Doutté, Notes sur l'islam maghribin-Les mirabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions, Op.cit, p.17

[4] Jean Servier , Op.cit,p 87

[5] Ibid,p.88

[6] ادموند دوتي، الصلحاء ، المصدر السابق، ص 80.

اليتامى والمرضى المعرضين لانتقام الجن حسب معتقدهم[1]، ويحملون فزاعة في شكل انسان[2] ويتم رشها بالماء من المنازل ويردّدن ناشدات "ياربي النو ، بوغنجا بوغنجا يا ربي ضارو راسو يا ربي شمخ راسو، بوغنجا بغى الرفيس، يا ربي قاوي النسيس، بوغنجة بغا يزوج حرقاتو الشمس انحوج".

وفي مناطق أخرى يرددن "السبولة العطشانة رويها يا مولانا، وليدي في قربي، يا النو العطشانة، يا لطيف يا لطيف يا ربي تلطف بينا علينا وعلى الفلاح نتعنا، يا ربي ترزقنا وترزق عبادك، يا نو جلجيلة باش تعيش الحجلة الأرض العطشانة غيثها يا مولانا".

وتختلف الأناشيد محافظة على "بوغنجة او اوغنجة وفي منطقة القبائل انزار رب الماء[3]، واغنجاي عند القبائل هي الملعقة[4]، وهناك مناطق أخرى يمكن للرجال المشاركة، ويتشاركون عند الضريح الروينة وهي شعير محمص ودقيق القمح وقليل من الزيت[5]، كما أنّهن يحملن علما مصنوعا من قماش أسود ويجمعن التبرعات من سميد وزيت وبيض كما انّهن يرمين الماء على الأطفال والماشية والبيوت[6] الى غاية الوصول الى الوالي أو الضريح وهناك تعلو الزغاريد[7].

هـ-الخصوبة:

في العرف الشعبي العقم يرتبط بالمرأة فقط والعكس تماما فالخصوبة فيها فقط، خاصة في الريف والرجل ليس إلا زارع بذور فقط وتمام الحمل لا يكون إلا بفعل القديسين الأموات بل أنّهم يتحكمون في الذكورة والأنوثة، ومسألة التحكم في الخصوبة منطلقها الأرض والمطر وصولا الى البشر والحيوان، وطقس الخصوبة هو الأكثر شيوعا عند الاضرحة[8] .

و-دفع الضرر:

تكون عن طريق طلاسم وتمائم في شكل حروز وهي تلك الوريقات الخالية من التشكيل بها اشكال غامضة من مربعات ومثلثات وصور تتوسطها ارقام وأسماء واحرف كابالية (قبالا أو

---

[1] Jean Servier , Op.cit, ,p 273

[2] جوزيف ديسبارمي ،مرجع سابق،ص 17

[3] Jean Servier , Op.cit,p275

[4] جوزيف ديسبارمي ،مرجع سابق،ص 17

[5] Jean Servier , Op.cit,p273

[6] Ibid,p 274

[7] Ibid,p282

[8] Ibid,p89

كابالا اليهودية)، تتخذ لدفع الجان عن الكنوز المدفونة، أو العين الشريرة، وحماية المحاصيل من البرد والسيروكو والأوبئة، وازدهار التجارة، ومن اشهر أنواع التمائم "الأنداروزا" التي يظهر أنها مشتقة من الأندلس باعتبار أن هذا النوع من التمائم مصدره الاندلس[1]، وكذا "المرجانة" يسهل الولادة ويفك العقد ويشفي الظهر والمفاصل[2]، وحتى الدفن بجانب قبر الولي يدفع عنه عذاب القبر القبر حسب ظنهم.[3]

ز-طلب الشريك:

ويستخدم الرجال للزواج اناء فخاري جديد يوضع فيه ماء الوضوء ويبيته ليلة قرب التابوت في حين النسوة تستخدمن اناء مستعمل فيه سواد النار التي تعتبر نذير شؤم او تكسر اناء بغرض التخلص من الحظ السيء بغرض الزواج أو التخلص من العقم[4]، وتقصد النسوة تلك الرموز المقدسة في منطقة القبائل يومي الخميس والجمعة لطلب الزوج فيربطن شريطا ملفوفا على خصرهن بمكنسة قائلات"يا فقير نعطوك الحظ السيء للعزوبية والعقم وامنحنا الحظ الطيب"، ويتم طلي الحجارة الموجودة هناك بدم الذبائح من الدجاج والغنم[5].

4- مركبات الضريح وسيميولوجياتها:

كل ما يحيط بالضريح فهو مقدس من أسوار وأشجار وقبور الخدام والتبع، فالصالح يعطي الحياة لكل ما يحيط به من جماد واحياء[6]، ونجد فيه:

أ-مقدم الضريح أو الوكيل:

أو ما يعرف في بعض المناطق بالخديم وهو المسؤول المباشر عن شؤون الضريح من صيانة ونظافة ورفع للاعلام في الأركان الأربعة للضريحة بالأحمر والأخضر، يجمع القرابين ويكون من ذكر مرافق للرجال وأنثى (الخديمة) تستقبل النسوة مقابل مبلغ مالي محترم[7] ، إيمانهم

---

[1] Octave Depont et Xavier Coppolani, Op.cit,p134

[2] Ibid,p139

[3] جوزيف ديسبارمي ،مرجع سابق،ص 265

[4] Jean Servier , Op.cit,p22

[5] Ibid,p16

[6] Octave Depont et Xavier Coppolani, Op.cit,p144

[7] Corneille trumelet,Les Aints de l'islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p264

إيمانهم خال من عبادة الأوثان فهم يؤمنون بتقديس المرابطين الذين هم مجرد رجال فضلاء وعدول، قد اعتزلوا الناس وذلك دليل صدقهم[1]، في حين هناك انتهازيون وكانت فرنسا تدعوا الى ضرورة مداراتهم وقضاء حوائجهم، يبيعون أوشحة للسكان على أنها مباركة[2]، فمقدم الضريح والقائم بشؤونه والذي يصبح حارس القبر بعد وفاته، ويتوارث أبناؤه المنصب الذي هو منصب مربح نظرا للقرابين والصدقات الممنوحة له، بحيث قامت السلطات الاستعمارية بتحويل وظيفة المقدمين الى وظيفة إدارية يتم تعيينهم حسب الحاجةّ وقدراتهم فيجب أن يتقنوا اللغة الفرنسية للتعريف بالضريح للسياح [3].

ب-الاتباع:

وتظهر العلاقة بين الصالح والتابع من خلال الخرق والتمائم والشموع والمصابيح والأعلام في الكهوف والأشجار، والتبخير والصلوات والادعية والقرابين والالتجاء اليه والتداوي به.[4]

ج- الحجر والشجر:

ترمز الشجرة إلى الأنثى في ظلالها وثمارها التي تمنحها وهي رمز الخصوبة والإنجاب، فيما يرمز الحجر الى الذكورة من خلال المياه المتدفقة منها ومثال ذلك شجر الزيتون الذي ينوب عن القبور المخفية اذا اختفت خاصة شجر الزبوج والبلوط[5]، وتلك الأشجار تعلق فيها خرق وبقايا وبقايا مناديل وقصاصات قطن،[6]وليس بالضرورة الطواف حول الضريح فيمكن الطواف حول ما ينوب عنه من أشجار وصخور وأوتاد[7]، وكل من تسول له نفسه قطع الأشجار المجاورة لهذه الأضرحة والقباب فتشل يده ومنهم من يلقى حتفه هناك[8]، وأما إنارة السراج بالمقام الذي يكون

[1] H.Lavion, Op.cit,p95

[2] Ibid,p130

[3] Edmond Doutté, Notes sur l'Islam maghribin-Les marabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions, Op.cit, p23

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4 ،مرجع سابق، ص 11.

[5] Jean Servier , Op.cit,p15.

[6] Corneille trumelet,Les Aints de l'Islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p 158.

[7] Jean servier , Op.cit,p16

[8] Corneille trumelet,Les Aints de l'Islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p179

مضروحه من العائلة هو نوع من بعث للحياة خاصة للمرأة المتزوجة حديثا وكذا عند وضع المواليد، فاللهب فيه رمزية للحياة والروح[1] .

د- الحيوان:

ومست القداسة حتى الحيوانات من طيور ولقالق وسباع، فبجانب أضرحة منطقة الشلف حيث بعض الأضرحة بجوار بعض مجاري الوادي حيث نجد السلاحف لها من القداسة ما للصالح وتسمى بمسعود للذكر ومسعودة للأنثى في إشارة لحسن السعد أي حسن الحظ، حيث يتبرك بها الزوار وتربى في البيوت دفعا للعين والحسد وحتى رؤيتها في الأحلام فيها فأل خير[2].

و-رمزية الماء:

والاستحمام بالأودية خاصة المياه المعدنية طلبا للإستشفاء البدني والروحي كما هو الحاصل في ضريح سيدي بوعبد الله بوادي الشلف التابع إقليميا لمدينة انكرمان(وادي ارهيو) وهي أشبه بالطقوس التي تقام على نهر الغانج بالهند[3].

استنتاج:

ظاهرة التبرك بالأضرحة ليست حكرا على شريحتي العرب والبربر فقد وجدنا نفس المظاهر لدى الزنوج واليهود، فالجزائريون يرتبطون بها ارتباطا وثيقا خاصة خلال فترة الغزو الفرنسي 1962/1830، بحيث وجدوا فيها ضالتهم من استشفاء وتكثير محصول، ودفعا للضرر عن أجسامهم وعوائلهم، بل امتدت بركة وتأثير الصالح الى لوازمه ومحيطه.

[1] Jean Servier , Op.cit,p46

[2] رريب الله الله الحاج احمد،المرجع السابق، ص 165.

[3] نفسه، ص 167.

المبحث الثاني: احياء مواسم الاضرحة خلال الفترة الاستعمارية 1962/1830

1- جينيالوجيا المواسم (اصل الوعدة ، الطّعم، الزيارة) :

الأصل فيها هو اجتماع فتية العرب للصيد ثم ينتشرون في غياهب تلك منطقة وقد اتفقوا وتواعدوا على زمان ومكان يعودون اليه بعد صيدهم، وتسبقهم عشيرتهم وأهلهم الى ذلك المكان نساء ورجالا وصبية وقد نصبوا الخيام وجهزوا النار لطهي ذلك الصيد، ثم ما ان يلبثوا حتى يتنافسوا بجيادهم وفرسانهم ابرازا للشهامة وتعليما لصبيتهم ركوب الخيل وترويضا لبعضها، حتى اذا قضوا أياما هناك بلياليها عادوا الى ديارهم، ومع مرور الزمن زالت الفروسية والصيد وبقي ما هو عليه الحال الآن، وأما إقامة الوعدات على ولي صالح او قبر فما هو إلا قبر احد الصيادين الذين يقضون نحبهم اثناء صيدهم فلعله ليس بصالح ولا ولي ولكنه اصبح مزارا تسمى الوعدة باسمه.[1]

ثم اتسع مجال الوعدات فاصبح لكل قبيلة وعدة ولكل عشيرة وفي كل ربوة وواد ولكل طريقة وضريح ومشيخة وعدة خاصة بها ، وهذه الوعدات مقدسة جدا فتجد الرجل تارك لصلاته غير مؤد لزكاته ولكنه لا يكاد يتخلف عن وعدة كأنّها ركن من اركان الدين.[2]

2- الابعاد الدينية والاجتماعية والسياسية لشهود مواسم الاضرحة:

إنّ زيارة الاولياء والصلحاء تكاد تكون مقدسة مثل الحج الى مكة ، وليس الضريح هو المكان المقدس فقط، بل حتى المكان الذي صلى فيه وحيث استراح وأينما وجدت آثاره، وتنتقل القداسة الى أسلافه[3]، وثبت أنّه من يؤدي زيارة سيدي احمد الكبير أربعين سبتا[4] قبل طلوع الشمس صاعدا الجبل إليه حافيا كأنما أدى فريضة الحج الى الكعبة المشرفة [5]، زيادة على ذلك التقارب والتغافر والاشتراك في العادات والتقاليد، واطعام الفقراء والمحتاجين.[6]

---

[1] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 6، 23 اكتوبر 1933، ص 8.

[2] نفسه، ص 8.

[3] Octave Depont et Xavier Coppolani, , Op.cit,p144

[4] ربط الأربعين يوم بشهود أربعين إقامة صلاة وطلوع الشمس بشروقها بعد الفجر فيحصل المسلم على عمرة وحجة تامة تامة كما ورد في الحديث

[5] Corneille trumelet,Les Saints de l'Islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p263

[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4 ،مرجع سابق، ص 11.

وفي مواسم الأضرحة كانت تحاك المخططات لطرد الاستعمار كما حدث بزاوية سيدي عبد الرحمان في زيارة ضريح بوقبرين في قرية ايت سماعين بالقبائل التي تلتها مقاومة المقراني سنة 1871[1]، والأمر نفسه بالنسبة لمقاومة الأمير عبد القادر غرب الجزائر التي انطلقت من الزاوية في القيطنة، كما كان يعتبر الضريح مجلسا للصلح بين المتخاصمين قبائل وعشائر وأشخاص، وإيواء الفارين فهو بذلك كان مكان آمنا لهم.

3- سيرورة المواسم وطقوسها

-الحج الى الضريح:

ولهذا سميت الأضرحة بقبلة الحجاج لكثرة زوارها[2] والسواد الأعظم من هذه المواسم تقام بالعمالة الوهرانية ايام الجذوب ونقص القطر، يتقربون الى الصالح للإستسقاء، فاصبحت عبادة مضبوطة لها وقتها ، وكانت هذه الزرد ينادى لها في الأسواق[3]، فكان يطوف المنادي داعيا لهذه المواسم والزردات بقوله" ياناس ان زردة فلان يوم كذا".[4]

-أ-مواقيت الزيارة:

وتكون الزيارة على رأس كل سنة في فصل الصيف كما هو الحال الى ضريح سيدي عبد الرحمان الاخضري[5]، وكذا الى ضريح سيدي علي بن ازويت بمدينة القل بسكيكدة وهو احتفال عظيم يقام يوم 26 افريل بحيث يبعد الضريح بحوالي خمسة اميال شرق مدينة القل[6]، وهذا وهذا سيدي احمد بلكبير الذي يقام حجه وزيارته في اليوم الثالث من عيد الفطر[7]، فيفتتح الحفل بالبارود في المدينة في يوميه المخصصين للرجال، وفي اليوم الخامس من عيد الفطر يأتي الدور

[1] Corneille Trumelet,L'Algerie légendaire ça et la aux tombeau des principeaux thaumaturge de l'Islam (tell et sahara) , Op.cit,p346

[2] Ibid, p172

[3] محمد البشير الابراهيمي، اعراس الشيطان ، جريدة البصائر، السنة الثالثة، السلسلة الثانية ، العدد 95 ، 14 نوفمبر 1949 ، ص1.

[4] مصطفى زمرلي ، تحت سماء تبسة – الحق والباطل يتصارعان ، جريدة البصائر، السنة الثالثة ، العدد 119، 24 جوان 1938 ، ص4.

[5] علي بن عمارة ، قطع بدعة شنيعة بقرى الزاب ، مجلة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 97، 20 ماي 1927، ص 10.

[6] مغلاوي سعد، بدعة شنيعة وفعل قبيح، مجلة الشهاب ،السنة الرابعة ، العدد 166 ، 4 اكتوبر 1928، ص 15.

[7] Corneille Trumelet,Les saints de l'Islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p267

على النسوة مع اطفالهن[1]، الكل له مرغوبه من هذه الزيارة، هذه الابتهالات والحاجات الظاهر أنّها تحققت لأنه لم يشتك احد من عدم تحقيق مراده، هناك شريحة أخرى هي الزنوج يأتي دورهم في اليوم الثاني عشر من العيد وزيارتهم اكثر صخبا من سابقيهم ويعرفون برايتهم الحمراء واحذيتهم الخشبية والقراقب[2].

وفي بعض الزيارات تكون في موسمين أي مرتين في السنة في الخريف زمن الحرث وفي الربيع زمن الإنبات وأحيانا يكون زمن الحصاد عند تأخر الحراثة بسبب الجفاف، وتكون الزيارة كل يوم باستثناء السبت والثلاثاء في ليال في بداية القمر أو عندما يكون بدرا[3]، وتجمع هذه الشروط في الموسم واليوم والليلة، ويمكن تقديمها أو تأخيرها عندما تتقاطع مع أحد الأعياد او الأيام المقدسة في الإسلام[4]، وعلى المشهور يقدس يوم الأربعاء وكذا يوم 27 من رمضان اعتقادا منهم أن سبب الزيارة لا يحققه إلا الجان (يطلق عليهم اسم ذوك الناس) الذي يطلق سراحه في ذلك اليوم أي يوم السابع والعشرين من رمضان[5].

وبعض الزيارات كانت تعقد بعد العيدين ومنها ما كان بيوم السبت الذي يعقب العيد كما هو الحال في ضريح سيدي يعقوب الشريف بالتيطري نواحي المدية[6]، وفي شهر نيسان افريل من كل عام عندما يتحول ساق النبتة الى سواد[7]، وبعضها يكون أسبوعيا خاصة يوم الجمعة يأتي الزوار من أهل المنطقة الى الضريح لحرق البخور والجاوي[8]،والشموع ومزيج من الأعشاب [9]، وتذبح عنده عنده الأضاحي من دجاج وأغنام وثيران بغرض الاستشفاء من الجان[10]، فهاته النسوة الموريسكيات الاندلسيات متوشحات للابيض تذهبن الى ضريح سيدي محمد بن عبد الرحمان بوقبرين بمنطقة

[1]Corneille Trumelet,Les saints de l’Islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p274
[2] Ibid,p276
[3] Jean Servier , Op.cit,p 92
[4] Ibid,p93
[5] جوزيف ديسبارمي ،مرجع سابق، ص 164.
[6] Corneille trumelet,Les saints de l’Islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p12-13
[7] Corneille trumelet,L’Algerie légendaire ça et la aux tombeau des principeax thaumaturge de l’islam (tell et sahara), Op.cit,p361
[8] Ibid, p111.
[9] Ibid,p358
[10] Ibid,p360

القبائل، وياتيه من خارج المنطقة مرتين في السنة فياتيه الزوار من كل من حدب وصوب حتى من المغرب والمنتسبون للطريقة الرحمانية طمعا في المغفرة[1]، وهذا طعم الديوان سيدنا بلال وهي مناسبة يحييها سكان جبل عمور في الخريف بمقربة من قبة سيدي الجيلالي، مابعد الظهر امام الزاوية[2] .

-ب-طبيعة الزوار

وتستهدف سلم الولي وأتباعه وخدامه ثم الأجانب القادمون من بعيد على الترتيب ويزيد وينقص عدد المحبين والزوار حسب قداسة الوالي وشهرته بل يتعدى أحيانا زواره حدود الوطن[3]، وأكثر الزوار هم من النسوة اكثرهن حافيات مرفوقات بالأطفال والرجال يحملون العجزة ممن صعب عليهم الزيارة بأنفسهم، تضاء الشموع والعطور يجتمع الحشد حول قبر الضريح[4] وفي هذه المواسم لا حرج ان يختلط الرجال بالنساء غير المسنات[5]، ولا يمكنهن حجب وجوههن بدعوى أنهن امام خدام الطريقة الذين لاتزيغ ابصارهم[6]، الكل يضع حذاءه في الخارج ومن يخاف سرقتها يحملها في في يديه[7]، الا ان النسوة الحائضات لا تقتربن من الضريح ولكن يجلسن عند الباب[8].

الضريح والصالح قبلة حتى المسيحين وهم اكثر سخاء والقرابين تتعدى الأموال الى الاعلام والسناجق وتجمع الأموال والقرابين وتقدم لعائلة القديس[9]، ولا يسمح للنصارى بالاقتراب من القبر ويجلس الوكيل على الحصير مراقبا وحارسا[10]، فهذا موكب سيدي احمد الكبير يسير يتقدمه

---

[1]Corneille trumelet,L'Algerie légendaire ça et la aux tombeau des principeax thaumaturge de l'islam (tell et sahara), Op.cit,p 345

[2] Mathéa Gaudry ,la societe feminine au djebel Amour et au Ksel,etude de sosiologue rurale nord-Africaine ,socite Algerienne d impressions diverses ,Alger ,1961 , P395.

[3] Jean Servier , Op.cit,p90

[4] Corneille Trumelet,Les saints de l'Islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p264

[5] Corneille Trumelet,Blida récit selon légende-la traduction et l'histoire, Op.cit,p29

[6] مصطفى بن شعبان، في سبيل الحياة– مجلة الإصلاح الديني، جريدة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 69، 18 نوفمبر 1926، ص 06 .

[7]Corneille Trumelet,Les saints de l'islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p17

[8] Corneille Trumelet,Blida récit selon légende-la traduction et l'histoire, Op.cit,p28

[9] Corneille Trumelet,Les saints de l'islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p266

[10] Ibid,p12-13

المفتي والقاضي والاعيان على الخيول والعامة حفاة وراءهم، ولكن هذا لا يعني شيئا امام ما سيكسبونه من حسنات فبكل خطوة خيل ستون حسنة[1]، وقافلة من النساء راجلات او على البغال على ان يكون المبيت في الخيام او عند عائلات الولي الصالح[2].

اما الترتيب الزمني للوصول الى الضريح لإحياء الموسم فالأول بالأول بوصول المقربين وأهل الولي وخاصته ثم اهل البلدة ثم المحبون من بعيد والفارق الزمني بينهم لا يتعدى 24 ساعة، وقبلهم قد وضع التجار والباعة وأصحاب المقاهي خيمهم وهناك ملاجئ للحجيج والزوار[3]، كما يأتي التجار بحبوبهم لبيعها امام الضريح فيشتريها المزارعون ويخلطونها ببذورها لتزيد البركة فيها وتزرع في حقولهم[4].

-ج-التبرك والتداوي:

هناك حيث تجد الكل يتسابق لأجل الصلاة بالقرب من القبر، النساء هن الأكثرية بين الحجيج، الأمهات تحمل رضعا بقصد الاستشفاء، احداهن تحمل رضيعة قزمة تريد لها الصحة والآخر يدعو الله الخلاص من المستعمر ينتظر ان يخبروه اليوم الذي ستتخلص فيه الجزائر، كل مرة يأتي الرجل فيقول له قريب ولكن النبوءة لم تتحقق وسيدي يعقوب البليدي لم يعطهم الخبر اليقين[5]،عند مغادرة المكان يضع الزائر بعض العملات النقدية للـ"مقدمة" التي تكون عادة زوجة المضروح او احد من اهله، يطلب العجائز التوسط للمغفرة عند الله وعودة الشباب[6]، لابد للزائر في في بعض المواسم المجاورة للبحر ان يغتسل بمائه وإلا فلن تنفعه زيارته[7]، بل وأكل الحشرات وسمومها وأحيانا الحيونات الميتة والتمرغ على التراب والاشواك، وضرب الدفوف والمزامير[8]،وأغلب والمزامير[8]،وأغلب الزوار غايتهم من الزيارة هو طلب الشفاء فيسعون الى شراء التمائم والحروز، وهي وريقات كتبت بشيء من القرآن وأسماء الله الحسنى يقول البعض أنّها تكتب بالسريانية

[1] Corneille Trumelet,Les saints de l'Islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p268
[2] Ibid,p267
[3] Jean Servier , Op.cit,p91
[4] Ibid,p113
[5]Corneille trumelet,Les saints de l'Islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell) Op.cit,p14
[6] Ibid,p15

[7] مغلاوي سعد، نفس المرجع، ص 16.

[8]مصطفى بن شعبان،نفس المرجع، ص 06

وأسماء الجان، وأرقام هندية والجداول لمباركة التجارة أو الحفظ من العين او ربح القضايا في المحاكم والنساء مخافة تعدد الزوجات عليها، ويصطلح عليه كذلك الحرز ويكتب الحرز باسم الشخص واسم امه[1]، يكتبها القائمون على شؤون الضريح قصد التشفي بها من الاسقام والامراض او تكون حرزا من العين والتابعة، وجلب القبول وتسريع قضاء الحوائج وهو أنواع وأسماء فهناك حرز مرجانة وهو ارخصهم ثمنا بفرنك واحد وحرز السواقي وهو حرز عام ومنه ما يصل الى مائة فرنك وإن لم يدفع ثمنه فلا يحجب شيئا ولا يقضي حاجة، وهاته إحدى النسوة الزوارات لمقام سيدي عابد تقول عن الحروز " حرز بلا أجرة كما تعلق حجرة"، وكتابة الحرز لها اعراف فيطلب من صاحب الحرز اسمه واسم والدته، وكانت تكتب هذه الحروز بالوذح واليراع وهو عبارة عن قصبة في شكل شوكة واما الان فهي تكتب بالمداد والشوكة على ورق عصري وهي حروز عصرية يحوي ايات وأرقام.[2]

توضع هذه الحروز في أكياس جلدية وتعلق في الرقبة ويتقصد من ورائها الشفاء من الأمراض وتحرق أحيانا مع الجاوي ووتبلل بالماء او الزيت تكتب بالاحمر والاصفر ، من أراد رضى الناس يضعها في نعله برموز ورسوم غريبة[3].

قوة وبركة التمائم تختلف من تميمة الى أخرى فافضلها التي تباع في المزاد وهي مباركة من شيخ الطريقة[4]، وتقل التمائم عند الميزابيين عكس اليهود والعرب[5].

كما ويتم كذلك علاج المريض بنقله الى شخص اخر بتلاوة كلام غريب في قدر به ريش ودم دجاجة ذبحت لهذا الغرض، ومن خاف انتقال العدوى إليه يبصق في الارض[6].

د- الخصوبة وطلب الولد :

في العرف الشعبي يرتبط العقم بالمراة فقط والعكس تماما فالخصوبة فيها فقط، خاصة في الريف والرجل ليس الا زارع بذور فقط وتمام الحمل لا يكون إلا بفعل القديسين الأموات بل

[1] ديسبارمي جوزيف، نفس المصدر ،ص 166

[2] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 16 ، 01 جانفي 1934، ص1.

[3] H.Lavion, Op.cit,p168

[4] Louis Rinn, Op.cit,p85

[5] Amélie Marie Goichon,la vie fiminine au Mzab-étude de sociologie musulmane,librairie orientaliste Paul Geuthner,13 rue Jacob,Paris,1927,p192

[6] H.Lavion, Op.cit,p169

يتحكمون في الذكورة والانوثة، ومسألة التحكم في الخصوبة منطلقها الأرض والمطر وصولا الى البشر والحيوان، وطقس الخصوبة هو الأكثر شيوعا عند الاضرحة[1].

-هـ-السناجق والبخور والشموع:

من الضروري التمسح بأطراف السناجق والضرب على التوابيت لقضاء الحوائج، ففي ليلة الزيارة تفتح القبة وتشعل النافوخ وعود القماري والجاوي بحجة ان الصالح او القديس يريد ذلك ليتقبل قربانهم وصلواتهم[2]، تكثر المصابيح والشموع بمختلف الاحجام، والتابوت مغطى بالقماش الأخضر الشرائط الزرقاء والاعلام المزركشة بالورود بداخلها هلال، في العموم يكون عدد الاعلام أربعة يسمى السنجاق بالأحمر والأزرق والأصفر والأخضر[3] .

-و-تقديم القرابين :

طقس ضروري للابتهال والتقرب الى الجد او الصالح وجذب الأرواح، منها القربان الجماعية وهي ذبائح الاحتفال والتقرب، وذبائح فردية للاستشفاء والعلاج، وتقسم كذلك الى قربان نباتية غير دموية مثل الرمان تكون في موسم الخريف، وقربان حيوانية دموية كالأغنام والثيران تكون زمن الربيع[4]، فالقربان غير الدموي يمكن ان يكون تينا مجففا او خبزا للحصول على الحماية الحماية الروحية ويمكن ان تمنح هذه الأطعمة لعابري السبيل[5]، أما اذا كان القربان ثورا يؤتى به فيطاف به على الضريح سبع مرات في اتجاه النجوم وخاصة الثيران المضطربة يؤتى بها قصد التخفيف من حدة عنفها[6]، ثم تطرح أرضا وتذبح بعد تكبيل أطرافها، فعملية الذبح لها وقع نفسي خاص لما له من رمزية في الكفارة والتطهير والحماية والحياة للأنفس[7]، وحماية الحرث من الأوبئة الأوبئة وكفارة للسكان من الذنوب وحياة لمن يريد الأطفال وشفاء للمرضى فهو عقد واتفاق مع الجن "فالدم مقابل الحماية"[8]، ففي موسم سيدي الشيخ تكون شاة وحمل أو جمل في موسم الربيع،

[1] Jean Servier , Op.cit,p89
[2] Corneille Trumelet,Les saints de l'Islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p12-13
[3] Ibid,p13.
[4] Jean Servier , Op.cit,p94
[5] Ibid,p101
[6] Ibid,p 144
[7] Ibid,p145
[8] Ibid,p146

وكيل زبد وتمر او كيل قمح او شعير، بالإضافة الى التبرعات المالية لصيانة الضريح ومقبرته التي تقدر أحيانا بـ70- الى 80.000 فرنك[1]، وقد بلغ حجم النذور عند احد الأضرحة 80 دينارا و300 خروف و72 ثورا[2]، وبجبل سيدي ارغيس وقت انحباس المطر يتقدمون بالقربان بشرط السواد فيه ولو بأقل الأثمان لاعتقادهم الحكمة كسابقيهم من الوثنيين الذين كانوا يتقربون للشماريخ وهم الشياطين بالابقار السود طمعا في دعمهم في الحروب.[3]

تذبح الذبائح المزينة بالورود والاوشحة ويطوف الأهالي حول المقبور سبع لفات وتقرع الطبول وترفع الأصوات بالاغاني[4]، ففي زردة قديشة ببريكة وهي اسم انثى يعتقد صلاحها، يجمع اهلها الأموال والنذور على ضعافهم وأثريائهم ويشترون بها الماعز والإبل فزوقوها ونمقوها والتفوا حولها بالدفوف والمزامير ذكرانا واناثا وحاجتهم في ذلك طلب الغيث وتوجهوا الى جبل موحش يدّعون فيه حصول الغيث ونزوله، فينحرون تلك النذور ويقيمون الشطحات مختلطين.[5]

وهذا موسم سيدي احمد بلكبير تجلس المداحات والمغنيات بالقرب من قبر القديس وقد انتشرت النسوة على القبور متلحفات بالابيض الأطفال قد وشموا (من الوشم) بشمع العسل، بعدها تنشر امرأة الوكيل وشاحا بغرض جمع القرابين كل حسب قدرته ومكانته في المجتمع او الغرض المراد من الوالي فتقول القائلة "يا سيدي احمد اعطيني ولدا اعطيك ثورا يا سيدي احمد دع زوجي يمنحني من فضله اعطيك عجلا" [6]

وفي طعم الديوان سيدنا بلال يخرجون في موكب يلبسون الأنيق ويحملون راية الوالي مصحوبين بالحيوانات المراد ذبحها أمام الضريح ويحرصون على جودتها ومن ذلك الثيران السوداء، والمقدم يلبس الأحمر والأخضر من أجود الاقمشة والمجوهرات من ذلك المشبك والسلسلة

---

[1]Corneille Trumelet,L'Algerie légendaire ça et la aux tombeau des principeaux thaumaturge de l'islam (tell et sahara), Op.cit, p172

[2] Octave Depont et Xavier Coppolani, Op.cit,p151

[3] مراسل ام البواقي، زردة اولاد سيدي احمد بن اونيس ، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 22 ، 05 جوان 1936، ص 7.

[4]Corneille Trumelet,L'Algerie légendaire ça et la aux tombeau des principeaux thaumaturge de l'Islam (tell et sahara), Op.cit,p361

[5] قشي محمد الدراجي، زردة قديشة، جريدة البصائر، السنة الرابعة ، العدد 166 ، 19 ماي 1939 ، ص 8.

[6] Corneille Trumelet,Les saints de l'Islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p275

والشلقة (نوع من المجوهرات)، الموكب يحمل طبلين الأول كبير يحمله مجموعة تلتف حول مقام سيدنا بلال ، ثم يأخذ المقدم السكين الكبير ويلفه حول جسمه ثم يمرره الى اتباعه الذين يمسكونه بأسنانهم[1]،ثم يتم ذبح الدجاج والماعز والثيران بعد توجيهه نحو القبلة ورش بعض الماء عليه[2]، أما النساء فمتزينات متعطرات حوالي ست مائة امراة به أيامه حارة فالظاهر أنه يكون في فصل الصيف تأتيه الراقصات من كل حدب وصوب مرفوقات بالمزامير والدفوف[3].

وهذا موسم الزنوج بالعاصمة حيث كان الموكب يضم كبار الزنوج ونسوتهن يلبسن حايك أحمر حاملات للشموع ويليهم المضحون ثم الراقصون وقد وضعوا بينهم ذلك الثور المتوج بالزهور وعلى جسمه شرائط وجنبه ملفوف بالقماش حسب الذوق الزنجي الأكثر رمزية من الشرائح الاخرى[4]، تم طعن الثور قبل تسييره الى المرابط ليسهل عليهم توجيهه والتحكم فيه والسماح للنسوة بتلمسه والتبرك بيه لقضاء بعض حوائجهن الدنيوية[5]، تم نحر الثور والتبرك بدمه واتبع بذبح اثني عشرة دجاجة[6] ويسجد الوكيل في دم الذبائح ثم يقدم مئزره للوالي ثم يسير به لجمع الصدقات بين الجموع[7]، تم سلخ الثور ونتف الدواجن وطهيها وتوزيعها على فقراء الزنوج[8]، ويقول غايال عن هذا هذا "وهذه الطقوس الهمجية ما هي إلا نتيجة التأثير المرابطي المحافظ على الخرافة المنافية للدين الإسلامي لخدمة مصالحه الكابحة للتطور الفكري".[9]

-ز-الاطعام:

وتقوم عائلة خادم الضريح بواجب الاطعام ونحر القربان، ورغم ذلك يحضر الزوار طعامهم حسب مدة الإقامة طبعا مع اشتراكهم المادي والمالي الموجه للصالح من اضحية وحبوب، وتتنافس العائلات المجاورة في إكرام الحجيج والحضور طمعا في كسب السمعة والمكانة[10]،

---

[1] Mathéa Gaudry , Op.cit, P395.

[2] Ibid P396

[3] علي بن عمارة ، المرجع السابق، ص 10.

[4] A. GAEL, Op.cit, P69

[5] Ibid, P74

[6] Ibid, P77

[7] Ibid , P78

[8] Ibid, P79

[9] Ibid , P81

[10] وهو بمثابة السدانة والرفادة في قريش عند خدمتهم حجاج مكة

ويعتبر الكسكس هو الطبق المفضل بحيث يوضع في اطباق من خشب لإطعام جماعة في حدود 12 شخصا وهذا ما يترك انطباعا حسنا لدى الأجانب من غير المسلمين[1]، ويتم تقسيم لحم القربان المذبوح خاصة ان كان ثورا، وتختلف مسمياته حسب كل منطقة، ففي القبائل تسمى:

-الوزيعة:

وهي شكل من أشكال الترابط الاجتماعي وأحد أعرافه وعاداته المنظمة بقصد حصولك على الحماية من المضروح او الصالح لك ولأسرتك ولمواشيك وأرضك وزرعك، فتوضع قطع اللحم في شكل اكوام حسب عدد العائلات في القرية[2]، على ألا تكسر عظام الثور ولا يشوى لحمه بل يطهى يطهى مسلوقا[3]، كل كومة من اللحم فيها قطعة من عضو الثور في توزيع عادل للحم، وفي حالة عدم كفاية هذه الاكوام يتم إضافة لحوم من المواشي المتبرع بها[4]، وللأرملة والغائب حق بحيث ينوب عنهما أحد افراد اسرتهما على ان لا يكون أعزبا، فالحصول على جزء من القربان دليل كذلك على الانتماء لهذا الجد المقدس كما انه دليل على قبول الصالح لأي غريب بعد الزواج من بنت من تلك القرية[5]، كما أن الطفل الحديث العهد بهذا طقس تمنح له قطعة لحم وتضاف الى كومة تلك الاسرة[6]، ويستبعد الأجانب من هذه القسمة منعا لهم من الحصول على حقوق في القرية القرية من حماية وارض[7]، وليس بالضرورة ان يكون الطعام لحما فيمكن ان يكون تينا مجففا او خبزا مخمرا ويوضع بعضه على حجارة الضريح، ويمكن أن يكون حبوبا مطحونة خشنة وتطهى في الماء هذا في فصل الخريف[8]، وتعد معه اطباق الفول والكسكس[9]، اما فصل الربيع فتعوض

[1] Jean Servier , Op.cit,p91

[2] Jean Servier , Op.cit5,p146

[3] Ibid,p155

[4] Ibid,p147

[5] Ibid,p148

[6] Ibid,p150

[7] Ibid,p151

[8] Ibid,p155

[9] Corneille Trumelet,L'Algerie légendaire ça et la aux tombeau des principeaux thaumaturge de l'Islam (tell et sahara), Op.cit,p462

بالفاصولياء والفول[1]،و في منطقة الشلف يتم مشاركة وجبة الكسكس مع اللحم في مجموعات متكونة من اثني عشرة فردا[2] وذاك ما يعرف بـ:

الغفارة[3]:

ومختلف فيها بين التأصيل البربري و العربي ، فحسب أبو يعلى الزواوي فهي كلمة قبائلية صنهاجية زواوية قبائلية تنتشر من المغرب الأقصى الى طرابلس[4]، أما الميلي فقد صادفه المصطلح لدى إقامته في مدينة الاغواط ووجد المصطلح شائعا لدى عرب الجنوب الجزائري كذلك حيث يضيفون اليها كلمة العظمية للتفريق بينها وبين غفارة المرابطين[5]، والأرجح ان الكلمة تميل للعربية لطغيان العربية على البربرية وكذا فانها جاءت على وزن من الاوزان العربية .[6]

كما ان الخفارة بالخاء في الأصل هي مقدار ضريبة كانت تقدمها قبائل ضعيفة لأخرى قوية بغرض حمايتها ورد العدوان عنه،ثم أصبحت تؤدى كحق لآل البيت تجمع من طرف الدراويش والخدام في شكل هبات عينية من الماشية والثمار، واسقطت عن الاسر الشريفة التي ترفعت عنها واعتبرتها خاصة بعامة الناس[7]، وصارت تمنح من محتاج ضعف اعتقاده في ربه إلى اخر لقضاء حاجته قولا وعملا معنى وحسا[8].

كما يمكن اعتبارها نوع من أنواع النذور، وهي التزام سنوي مالي مادي من قبيلة او عائلة او شخص نحو من يعتقد انه يجلب منفعة او دفع مضرة ويجري هذا الالتزام أبا عن جد ومع الوقت

---

[1] Jean Servier , Op.cit,p256

[2] Ibid,p156

[3] في منطقة الظهرة وضواحيها مثل مازونة غفارة تعني صدقة في شكل طعام يجتمع عليها الصبية عشية يوم الخميس تقربا وتصدقا على روح فقيد تصنع لأربعين يوما، ومنها الموسمية تصنع خريف كل سنة طمعا في نزول المطر تسمى بلالة حليمة.

[4] أبو يعلى الزواوي ، معنى غفارة في لسان القبائل الصنهاجية ، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 44 ، 20 نوفمبر 1936، ص7.

[5] مبارك الميلي ،الشرك ومظاهره ، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 42 ، 06 نوفمبر 1936، ص 6.

[6] مبارك الميلي ،لفظة الغفارة، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 48، 25 ديسمبر 1936، ص 4.

[7] رريب الله الله الحاج احمد،المرجع السابق، ص 176.

[8] مبارك الميلي ،الشرك ومظاهره ، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 43 ، 13 نوفمبر 1936، ص 6.

تصبح ضريبة لازمة لقبيلة على قبيلة أخرى[1]، كما يمكن ان تكون الغفارة التزاما دينيا من المريدين والتابعين نحو طريقتهم كما هو الشأن في الطريقة الشيخية.[2]

فعند ضريح سيدي بلكبير الكل يرفع يديه للدعاء وراء المفتي، ولا يسمح للنسوة حضور الوليمة التي يقدمها احفاد الوالي ويتوزع الحضور في مجموعات[3]،الوليمة تكون في شكل غذاء في صحون صحون من بغرير يتبع بقصاع من كسكسي ولحم وعسل.[4]

-جمع الزيارة:

مبلغ يمنح للمقدم الخادم للميت من نسل الولي الصالح وتكون في الزيارات المشهورة مقابل الدعاء لهم[5]، وكان الطوافون السعاة مكلفون بجمع النذور والزيارات على اختلاف أنواعها، فهم يحضون بمكانة خاصة ومحترمة لدى الناس، حبهم الديني جعل الأتباع يستعبدونهم ومن وراء ذلك الإدارة الفرنسية، ومع مرور الوقت كثر جامعوها ونوعوا في هذه الزيارات تحت عدة مسميات (زيارة ، ضيافة، وعدة، عشور ،زكاة وزردة)[6]، وحتى المعمرون كانوا يرمون الموكب بعملات نقدية نقدية وقد حمل الاتباع قففا لجمع العملات الواقعة على الأرض ويمكثون بالمقام سبعة أيام بلياليها.[7]

عند ضريح سيدي بلكبير وبعد الانتهاء من الوليمة تاتي الربع الساعة الأكثر أهمية في الوعدة التي توضع امام المفتي ليعطي القبول لها ويمنح مبلغا للوكيل حوالي 30 فرنك فيما يعرف بالزيارة، ويضع القرابين من مال وتبرعات لاحفاد الولي، ثم يستأنف الحفل بالبارود في المدينة في

---

[1] مبارك الميلي ،الشرك ومظاهره ، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 42 ، المرجع السابق ، ص 6.

[2] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، المرجع السابق ، ص 22.

[3] Corneille Trumelet,Les saints de l'Islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p273

[4] Ibid,p274

[5] Jean servier , Op.cit,p 101

[6] محمد السعيد الزاهري، الحكومة وأبناء الزوايا، جريدة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 63، 18 اكتوبر 1926، ص11.

[7] عبد الرحمان الهاشمي، أثر الشرك بالله وحقائق عن دعم فرنسا الصوفية ودعمها لعبادة القبور والأضرحة، https://www.youtube.com/watch?v=wPTMmLMOYQw

يوميه المخصصين للرجال، في اليوم الخامس من عيد الفطر يأتي الدور على النسوة مع اطفالهن[1].

وفي طعم الديوان سيدنا بلال ترتفع أصوات الاتباع والموسيقى والطبل، وتمسك النسوة خاصرة بعضهم وتخرج من بينهم عجوز تعكف على جمع التبرعات ويستمر ذلك الى الليل، وحتى الأجانب يمكنهم إعطاء الزيارة واضعين أيديهم وراء ظهورهم ويمسكون الزيارة (1-2 دورو) بأسنانهم فهم غرباء عن هذا المجمع المقدس حسب شهادة سنة 1933[2]، الرقص لا يتوقف مصحوب بالجذب وهو عبارة عن هز متناسق للرؤوس نساء ولا رجالا[3].

-ن-العاب الزيارة:

هي اخر فقرة من الزيارة للضريح ويغلب عليها طابع العنف، بعض الالعاب تستخدم فيها العصي، ووهذه لعبة الدامة المشابهة للشطرنج والكرة[4]، الفروسية وسباق الخيل حاضر وهو ما يعرف بالفنتازيا وهي نوع من الرقص الجنائزي تشكل فيه دائرة للمشي يكون الحصان مركزها تغنى اغنية للمتوفي ويستخدم فيها البارود في مهارات منقطعة النظير باستخدام يد واحدة فقط ورمي البندقية في الهواء او أحيانا دون امتطاء الخيول، ويكون أحيانا مصحوبا بقرع الطبول ومن الضروري انهاء البارود إيذانا بانتهاء موسم الزيارة ويكون فيها طرفين او فريقين في صورة صراع بين قوى الشر والخير وبين الجفاف والرطوبة [5]، وفي مناطق أخرى توضع اكوام حجارة كهدف ويحاول الطرفين اسقاطها بالحجارة عن بعد ونجاح او فشل إصابة يعني رضى الصالح عليهم من عدمه[6]، وفي مناطق أخرى يستبدل الحجارة بالبنادق[7].

[1] Corneille Ttrumelet,Les saints de l'Islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell), Op.cit,p274
[2]Mathéa Gaudry , Op.cit P396
[3] Ibid ,P399.
[4] Jean Servier , Op.cit,p115
[5] Ibid,p117
[6] Ibid,p159
[7] Ibid,p160

وهذه لعبة أخرى تعرف بالرجومة وتكون في نهاية الزيارة وهي لعبة تعتمد على قذف الثمار على بعضهم البعض في فريقين حتى يجرح الشخص ويسيل الدم ويكون ذلك فأل خير على المجروح وعلى العكس يمكن ان يموت المجروح اذا حضر الزيارة وهو نجس او قد ارتكب كبيرة[1].

استنتاج: ان احياء المواسم خلال فترة الغزو الفرنسي للجزائر سيمات تميزها عن غيرها من الحقب الزمنية السابقة، بالنظر لحساسية الفترة من جهة، وخصوصية المجتمع الجزائري المرتبط بعاداته وماضيه والرافض التفريط فيها من جهة أخرى، الامر الذي خلق تفاعلات وديناميكية لم نرها سابقا.

المبحث الثالث: زيارة سيدي عابد بوادي ارهيو (انكرمان)انموذجا

1 – سيدي عابد الأصول والانتماء

–أ– الأصول:

اسمه علي زين العابدين بن محمد بن يحي بن محمد بن فغول بن الحاج بوعبد الله، ابوه محمد بن يحي وجده محمد بن افغول الابن الأكبر لسيدي بوعبد الله ، هذا الأخير الذي كبر في هيبة الاسرة والذي ولد حوالي 988 هـ/1580م، حفظ القرآن على يد أبيه، وتتلمذ على يد الشيخ مولاي احمد المغربي، لقب بالعابد أي الزاهد لاخلاصه الكبير، كما لقب بخضر المرجة لما نقل عنه من كرامة تفجير الماء من الصخور الصماء او يعرف بـ"الصفاح" فاخضرت المروج هناك[2]، توفي سيدي عابد سنة 1062هـ/1652م[3] مخلفا وراءه نسلا مباركا كسيدي افغول،الحاج احمد، عبد الله، الله، وعابد الاصغر ،سيدي عدة مؤسس الزاوية الشاذلية[4].

---

[1] Ibid,p158

[2] نارون قدور، درب الوجة ونور البهجة في ذكر فروع سيدي عابد خضر المرجة،، ط1، 2023، شركة الاصالة للنشر، برج الكيفان، الجزائر، ص ص 35–40.

[3] نفسه، ص 55.

[4] LA Ziara de Sidi Abed , L'Afrique du Nord illustrée : journal hebdomadaire d'actualités nord-africaines : Algérie, Tunisie, Maroc , 1924/02/23 (A19,N147),20 octobre 1928,3 rue Pilissier Alger,p09

سمعته كرجل علم وصلاح اعطته سلطة كبيرة خاصة في قبيلة "السويد" اين كان محترما ومسموع الكلام، الكثير من المؤرخين كتبوا عنه وعن اسلافه ونسله، (ضريحه موجود على بعد 04 كم من انكرمان)،كان من القبائل الاتباع لجده لسيدي بوعبد الله قبائل "السّجد"، والتي تنحدر منها قبائل فليتة– ومجاهر وقبائل عكرمة واولاد العباس....، ولديه من تلاميذ آل لطرش، سنوسي من ليبيا، بن طيكوك ومجاجة من شلف،عائلة السايح وبوطيبة[1]، لجده سيدي بوعبد الله اقطاع كبير في ملتقى وادي شلف ومينا، ريثما تراجعت مكانته هناك، انتقل موريدوه الى الونشريس في امارة بني توجين، كما له احفاد كثر (اضرحتهم موجودة بسهل الشلف بانكرمان وغليزان)، كما استقر بعض احفاده بتيارت اين سينضمون موسم الزيارة اليهم وخاصة وانهم كانوا اغنياء ومتحمسين للتقليد مما سيضاعف من عدد الزوار ، ثم تلتحق قبائل عكرمة التي ورثت نفوذه الاجتماعي والديني منهم سيدي عمار،سيدي غلام الله، سيدي الموهوب، سيدي عابد هذا الأخير الذي ورث سمعة جده الامر الذي يفسر كثرة الزوار الى زيارته من هذه المناطق .

وبعد الغزو الفرنسي تولى حفدة سيدي بوعبد الله ومنهم الخليفة بن عبد الله لعريبي مهمة الاشراف على الزيارة لمدة سبعة أيام وجاء الاتباع من مجاجة ومازونة، ولم تقتصر الزيارة على ضريح سيدي بوعبد الله بل تعدت الى خلفه سيدي عمار، سيدي غلام الله، سيدي عابد هذا الأخير الذي سيذيع صيته أكثر فأكثر.[2]

–ب–كراماته:

أولى كراماته "انخفاض سرعة القطار عند الاقتراب من المحطة التي سينزل قربها زواره فيقولون "حتى القطار ادركته الخشية من الولي سيدي عابد، وهو يسير خاشعا له"، ومن السفاهة انهم لا يعلمون ان تخفيض سرعة القطار كانت من سائقه لان المنطقة عبارة عن مرجة تكثر بها المطبات والمنعرجات، كما ان المأثور من رواده والمتعارف بينهم ان اثناء فترة الزيارة لا تسمع نهيق حمار ولا صهيل حصان، وكل من يسرق صار المسروق بين يديه ثعبانا، ومن كراماته ذلك

[1] ANOM F80, Enquête sur les confréries Religieuses en Algerie, Ziara,Waada, Offrandes.1898-1954.

[2] ANOM Cérie F Boite I 16, Enquête sur les confréries Religieuses en Algerie, Ziara,Waada, Offrandes.1898-1954..

حسب الروايات ان النساء يزيد حسنهن وجمالهن من غير حجاب فيتقرب إليهن الرجال دون شبهة ولا حياء فلا يقع بينهم شيء من الحرام، وان تعدوا حدود الحرمة تلاصقت اجسامهم الى الأبد[1].

ومما يروى عن سيدي عابد ان قافلة الحج غادرت وتركته فعاد الى بيته فتوجه بالدعاء الى الله فناداه منادٍ أنه بعث إليه ليقوده الى المدينة المنورة حيث وجده أصحابه قبلهم عند قبر النبي ومن تلكم الحادثة اصبح مقدسا من اهل عكرمة ومينا والشلف[2].

-ج-نشأة المركز الاستيطاني انكرمان او عين كرمان (Inkermann)

تقع وادي ارهيو او انكرمان على عهد الغزو الفرنسي في الجهة الغربية لسهل الشلف بين جبال الونشريس جنوبا وجبال الظهرة شمالا وعلى الضفة الغربية للوادي الشلف النابع من هضاب تيهرت، وبذلك تحتل موقعا استراتيجيا، هي تربط بين المدن الكبرى الشلف مستغانم تيارت وغليزان، وهي مدينة قديمة من زمن العهد الروماني وذاع صيتها زمن الدولة الزيانية وتضم اعظم قبائل المنطقة كبني مغراوة اعظم قبائل زناتة، ثم استوطنت بعض العشائر الهلالية المنطقة منها أولاد العباس، ثم نزحت المرابطية من أولاد سيدي بوعبد الله المغوفل وهم من الاشراف خلال ق 14-15م ثم بني وراغ من بني توجين نازلين من سفوح الونشريس ثم نزوح بعض عائلات من صبيح ومحال واولاد خويدم.[3]

تم خلق المركز بموجب مرسوم الامبراطوري 0870/01/28 بسهل شلف بوادي ارهيو على الطريق الرئيسي رقم 04 الرابط بين العاصمة ووهران واتخذت المدينة اسم انكرمان وهي مدينة اوكرانية تقع في الجنوب الغربي تخليدا للانتصار الفرنسي الإنجليزي ضد الروس بتاريخ

[1] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 12 ، 4 ديسمبر 1933، ص4

[2] Rénis-Elie Ammar, ,la grande ziara de Sidi Abed s'est déroulée devant des milliers de pèlerins, le Progrès,jeudi 24 octobre 1935, p2

[3] جمعية العلماء المسلمين شعبة وادي ارهيو،تاريخ منطقة وادي ارهيو من العصر القديم الى الفترة الحديثة،،ط1،دار الكفاية،الجزائر، 2015، ص77.

1854/11/05 خلال حرب القرم[1]، وضمت المدينة عرش أولاد خويدم وعكرمة الشراقة واولاد العباس التي رفضت قطعا سلب اراضيها[2].

-2-سيدي عابد قبلة الزوار :

من اكثر الاولياء والصلحاء وفودا من كل نقاط القطر الجزائري فتجد السيارات والدراجات وعربات الخيول والشاحنات قد اصطفت قريبة من الضريح تنتظر دورها للركن، وأما عن المناطق البعيدة فالقطار هو وسيلة التنقل الى الزيارة لينزلوا بمحطة انكرمان- عين كرمان (مدينة وادي ارهيوا حاليا بولاية غليزان)[3]، سيدي عابد الواقع بحوالي 8 كم من بلدية انكرمان تنظم الزيارة سنويا شهري سبتمبر او أكتوبر في فصل الخريف وتدوم ثلاثة أيام فمثلا سنة 1938 دامت أسبوعا كاملا من 01/ الى 07 أكتوبر ثم تقلصت المدة سنة 1940 نظمت لايام 26/25/24 وسنة 1941 لايام 18/17/16 لربما بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية، وكان الحجاج والمحبون يأتونه حتى من الحدود التونسية والمغربية[4].

-أ-الإعلان عن الزيارة:

يبدأ الإعلان عن الزيارة باسبوعين قبل الاحتفال بحيث يرسل الرسل والدعاة الى القبائل البعيدة والقريبة[5]، يتم الإعلان عن الموسم في الجرائد ويتم التخفيض على التذاكر من 4 دورو الى 2 دورو (انظر الملحق رقم 01) ، ويجدون هناك في الموسم كل شيء بالمجان ويحضره ممثلين رسميين عن السلطة الفرنسية ورئيس البلدية والباشاغوات والقياد والاشراف[6]، يتم بعث طلب الترخيص لها من بعض المرابطين والقياد الى رئيس البلدية وإلى قائد الأمن ومنه الى الحاكم العام قبل أسبوع من موعد الزيارة فمثلا زيارة موسم 1941 طلب الترخيص لها في 08 سبتمبر لتنظيم

[1] نفسه، ص 93.

[2] نفسه، ص103.

[3] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 12 ، نفس المصدر، ص4.

[4] ANOM Cérie F Boite I 16, Enquête sur les confréries Religieuses en Algerie, Ziara,Waada, Offrandes.1898-1954..09/10/1937.n°355/2/

[5] LA Ziara de Sidi Abed , L'Afrique du Nord illustrée : journal hebdomadaire d'actualités nord-africaines : Op.cit,p09

[6] عبد الرحمان الهاشمي، الموقع السابق

الزيارة أيام 18/17/16 فيرد بالقبول مع منع كل أنواع الفنتازيا[1]، اشرف على هذه الزيارة لهذا الموسم القائد لطرش من عين القطار الذي دفع 10 الاف فرنك فرنسى للاشراف عليها فالظاهر ان هذه الزيارة كانت مربحة للغاية فيتنافس عليها القياد للاشراف عليها[2].

-ب-الزوار:

قدر عددهم سنة 1928 بـ 40.000 زائر، يقدسه قرابة نصف مليون نسمة من وهران وتيارت وشلف[3]، بلغ موسم 1935 حوالي 100 الف زائر[4] وهو انجح موسم والذي اشرف عليه اندري ريبول المستشار العام لبلدية انكرمان وعضو المجلس الأعلى للحكومة العامة للجزائر [5]، أما أما موسم 1937 فحضره حوالي 90 الف زائر، وسنة 1938 حوالي 80 الف زائر، وتقلص موسم 1940 حوالي 6000 زائر نظرا للظروف العالمية والتي انعكست على الجزائر والوفود كانت تاتي حتى من المغرب الأقصى، اغلبهن نساء فبالرغم من التزامهن إلا ان الموسم يعطيهن طابع التحرر.[6]

في حين يقدرهم الزاهري بما يزيد عن ثلاثمائة الف زائر (300.000) اكثرهم من النساء يدلين عليهن حجابهن اذا قربن الى الوالي، فالزوار أحيانا لا يجدون مكانا للإقامة فيقيمون خيهمهم وينصبونها بعين كرمان البعيدة عن الوالي حوالي ثلاثة اميال، ترى في تلك الجموع حلقا من الرجال والنساء مختلطين.[7]

-ج-المخطط الأمني:

كانت مجمل الوحدات الأمنية المجاورة لبلدية انكرمان مكلفة بالتغطية الأمنية، غليزان مستغانم وهران تيارت معسكر واحيانا حتى من العاصمة، لمنع الترويج المشروبات الكحولية وردع

[1] ANOM Cérie F Boite I 16, Enquête sur les confréries Religieuses en Algerie, Ziara,Waada, Offrandes.1898-1954. 08/09/1941 n°5279.
[2]ANOM Cérie F Boite I 16, Enquête sur les confréries Religieuses en Algerie, Ziara,Waada, Offrandes.1898-1954.. 24/10/1941 n°1270/2
[3]La Ziara de Sidi Abed , L'Afrique du Nord illustrée : Op.cit,p09
[4] ANOM Cérie F Boite I 16, Enquête sur les confréries Religieuses en Algerie, Ziara,Waada, Offrandes.1898-1954..27/09/1935.n°280/2
[5] Rénis-Elie Ammar, Op.cit, p2
[6] ANOM Cérie F Boite I 16, Enquête sur les confréries Religieuses en Algerie, Ziara,Waada, Offrandes.1898-1954..27/09/1940.N°5815
[7] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 12 ، المصدر السابق، ص4.

مظاهر الفسق التي كانت تؤرق السلطات كما هو موضح في تقرير موسم 1937 الذي كان شهر أكتوبر، والأكثر من ذلك مراقبة بيع الأسلحة والبارود خاصة وان موسم 1934 القادمة من بلدية المختطة عمي موسى وتيارت ومونتغوليفيار(الرحوية حاليا)، وبالرغم من كل الطرق الا ان الامن فشل في التعرف على المتعاملين، وقد رفعت تقارير أمنية ان هذه الأسلحة لا تشكل خطرا على السلطة، بحيث خصصت السلطات سبعين دركي لتسهيل المرور خاصة الطريق الوطني رقم 04 ومراقبة القطارات، ومن التسهيلات خصم على تذكرة القطار أيام الزيارة ،وأداء الصلوات وحماية الطلبة وتسهيل مرور العائلات الشريفة والمرابطون للوصول الى المقام وكان يحضرها حتى عمدة المدينة ومدير مقاطعة وهران غاليجي GALLIGET و يحضرها ملازم عن قيادة أركان مستغانم وهذا حسب تقرير الأمني من المفتشين بومدين ومبارك بتاريخ 1940/09/27 [1]، وكانت الوعدة وكرا للتجاوزات الأخلاقية لبعض السفهاء من المناطق المجاورة مما دفع بالسلطات الفرنسية لالغائها في عديد المرات ففي 18 سبتمبر 1941 وعلى الساعة 09.50 جاء قرار الإلغاء والتوقيف[2]، وهو ما يشهد عليه احدهم ان غرضه من هذه الزيارة انما صيد النساء والتقرب اليهن بالحرام دونما حدوث التصاق كما يظن البعض وحتى النسوة كان غرضهن من الزيارة نفسه.[3]

د- نظرة على زيارة سيدي عابد:

تبدأ زيارة سيدي عابد بدعوة عشائر الولي العشائر أخرى رجالا ونساء الى تجمع في مكان معين وفترة معينة على أن يكون ذلك المكان فسيحا فتنصب الخيام متقابلة فاسحة مجالا لتركض الخيول فيه وقد حمل الفرسان البارود وعلى قارعة الخيام ضاربو المزامير والدفوف والقلال طلبا للعطايا والهدايا والاكراميات[4].

[1] ANOM Cérie F Boite I 16, Enquête sur les confréries Religieuses en Algerie, Ziara,Waada, Offrandes.1898-1954..27/09/1940.N°5815

[2] ANOM Cérie F Boite I 16, Enquête sur les confréries Religieuses en Algerie, Ziara,Waada, Offrandes.1898-1954.. 24/10/1941 n°1270/2

[3] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 12 ، مصدر سابق، ص4.

[4] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 6، 23 اكتوبر 1933، ص7.

سيدي عابد تعددت فيه القباب والمضارب وبعد النزول مباشرة تأتيك النسوة في حسن وبهاء كلامهن فيه عذوبة ولباسهن جذاب أخاذ يردن الصحبة، ساحة الولي بها ألعاب كالأراجيح وأخشاب الجزارين(القصابة) على القبور فاتخذوا هذه المقبرة مسلخا ، وكان الرقص لزاما فهو زيارة وتقرب الى الولي ذاك هو ظنهم، وكل من تأبى الرقص وتتحجب امام الولي يشوبها العمى والجدري[1]، والمقاهي العربية وحتى الافرنجية قد غصت بالزوار ولا وجود للعصائر بها إلا عبوات الجعة "البيرة" المدرة للفرنكات على صاحب المقهى يتنافس ويتبارى الحضور عليها، ولا تكاد تجد على فاه أحدهم السجارة، وهو نفس الأمر الحاصل في الحدائق والأماكن العامة.[2]

ويروي الزاهري وهو احد رجال الإصلاح انه ادركه الظهر فأراد الصلاة وسأل بعض الحضور فلا أحد منهم يعرف للمسجد موضعا فالكل حضر بنية اللهو لا غير، بل تهكم أحدهم ان المسجد القريب تجده بوهران.[3]

وكان شيوخ هذه المقامات يتحايلون على مريديهم وزوارهم فيكتبون حروزا بقصد استخدامها والتحايل عليهم وغصب أموالهم، فهذا احد الحروز طلبته امراة قصد صون نفسها من العين والتابعة ولكن الشيخ كتب فيه" اللهم ان كانت محسنة الينا فزد في احسانها وان كانت بخيلة فيسر علينا رزقنا من مالها واجعلها لنا بقرة حلوبا"[4]

موسم سيدي عابد لا يخلو من الأوركسترا، المقاهي، الرقص، المداحين، الشعراء والمشعوذين[5]، وكانت هذه الزيارات فرصة للرسامين والمهتمين بالتجمعات والموسيقى والأقمشة والكل متجه نحو الشرق حيث قبلة الأجداد، حيث يختلط الباعة على اختلافهم لبيع القماش والبخور والبذور والمواد الغذائية ومحترفوا التمائم والثعابين، الولي الصالح هو قبلة المريض والعاقر والفلاح، كانت الأجواء ليلا كأنه معسكر عقبى بن نافع او حنبعل،الكل يقدس الزيارة فلا احد يقترب من امراة بل العقوبة

[1] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 13 ، 11 ديسمبر 1933، ص4.

[2] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 12 ، مصدر سابق، ص5.

[3] نفسه، ص 4.

[4] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 16 ، مصدر سابق، ص1.

[5] ANOM Cérie F Boite I 16, Enquête sur les confréries Religieuses en Algerie, Ziara,Waada, Offrandes.1898-1954..09/10/1937.n°355/2/

تتشدد في هذه الحالة [1]، ومن أصابه جوع هناك مطعم صغير قريب من الاحتفال لصنع الكسكي.[2]

حتى اذا ادرك الناس الليل اجتمعوا حول شعراء يقولون كلاما ملحونا يطرب مسامع الحضور، ريثما تصلهم القصاع من الكسكس[3] لسد رمقهم بما يسمى بالطعام يعلوها تمر او زبيب او حلوى متبوعا بسلال العنب واللحم وأواني بها السمن (العنب هنا دليل على ان الوعدة مرتبطة بموسم الخريف وتختلف المقبلات التي تعلو الطعام حسب كل منطقة)، هذا الطعام الذي تشترك فيه المجموعات المغاربية، ثم قبيل انصرافهم كان لزاما عليهم التبارز فيما بيهم فيما يعرف بالرحبة وهو نوع من المصارعة بالأرجل والأقدام على ان يكون الرجل متجردا من لباسه الا ما ستر عورته وعصابة تطوق بطنه[4]، والنساء لا يختلطن بالرجال ولا يرقصن امامهم إلا في بعض الوعدات كوعدة وهران ولكن مؤخرا انتشر السفور والتبرج .[5]

سيختفى خلف واتباع سيدي عابد المخلصين ليفتح المجال للعناصر الادنى منزلة في المجتمع من تجار وانتهازيين مما سيفقد الزيارة طابعها الروحي الاخلاقي.[6]

استنتاج:

مما سبق نجد ان زيارة سيدي عابد من بين اشهر المواسم في الجزائر ويأتيها الاتباع والمحبون من كل حدب وصوب، بل ومن خارج الجزائر نظير الارتباط الرهيب به وسعة القبائل المؤمنة والمنتمية لهذا الفضاء السيكولوجي والديني، الامر الذي فرض على الاستعمار الفرنسي ان يحسب

---

[1] La Ziara de Sidi Abed ,L'Afrique du Nord illustrée : journal hebdomadaire d'actualités nord-africaines : Op.cit,p10

[2] Ibid,p11.

[3] وتختلف تسميته وانواعه من منطقة الى أخرى :سكسو كسكسي او الكسكسون، اتشو ، النعمة،المعاش، البربوشة، منه الجوزي،المجبور ،المحور ،المزوت،البيسار ،المسفوف،الحموم،البرويل انظر رريب الله الحاج احمد،المرجع السابق، ص 164.

[4] في وعدات أخرى تكون المبارزة بالعصي وتختلف التسمية من وعدة الى أخرى ففي منطقة الظهرة وما جاورها تعرف بالمطرق او المصالبة

[5] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 6، مصدر سابق، ص 7.

[6] ANOM Cérie F Boite I 16, Enquête sur les confréries Religieuses en Algerie, Ziara,Waada, Offrandes.1898-1954..Note sur Sidi Abed-Saint patron de la région d'Inkermann.

لها الحسابات لما يجنيه منها من فوائد من جهة، ومن جهة أخرى الاطار التنظيمي و الأمني الذي خصه بها خوفا من الانفلات والتجمع لشق عصا الطاعة من الأهالي.

الفصل الثالث:

الطرق الصوفية والحركةالإصلاحية بين التقاطع والقطيعة

المبحث الأول: الأصول التاريخية للطرقية في الجزائر

1- مفهوم التصوف

2- ظهور التصوف في الجزائر

3- الطرقية في الجزائر النشأة والتطور

المبحث الثاني: الأصول التاريخية للإصلاح في الجزائر

1- مفهوم الإصلاح

2- ظهور الإصلاح في العالم الإسلامي

3- ظهور الفكر الإصلاحي في الجزائر

أ- عوامل ظهور الإصلاح في الجزائر

ب- النواة الأولى للفكر الإصلاحي في الجزائر

ج- ظهور الحركة الإصلاحية مطلع القرن العشرين

المبحث الثالث: العلاقة بين الطرقية والاصلاح

1 - مرحلة التوافق

2- مرحلة الخلاف

3- الجمع بينهما

4 - التهم المتبادلة بين الطرقيين ورجال الاصلاح

5- اهم المسائل الخلافية العقدية بين الطرفين

أ - البدعـة

ب- الولايـة والكرامة:

ج- الاستغاثة

د- المواسم والاضرحة

المبحث الأول: الأصول التاريخية للطرقية في الجزائر:

للوصول الى ماهية الطرقية وتفرعاتها كان حريا بنا الخوض في مفهوم التصوف باعتباره اللبنة الاولى الحاضنة للطرقية.

1- مفهوم التصوف:

أ- لغة:

نسبهم البعض الى ما قبل الاسلام ،الى رجل يقال له صوفة،واسمه الغوث بن مر فانتسبوا اليه لزهده في الحياة [1]،وهناك من ينسبهم الى قوم زمن الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا الى الله ،والظاهر ان هذا النسب اهانه للصوفية لانه نسبهم الى الجاهلية ولقبيلة لا وجود لها في الإسلام، وذلك مذمة.[2] اختلفت المصادر في اصل واشتقاق كلمة التصوف والصوفي،بحيث يتفق كل من السراج الطوسي والسهرودي وأبو النعيم الاصفهاني انها تعود الى الصوف، الصفاء(صفاء القلوب) والصفة(جماعة الزهاد الذي ركنوا الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في عهده)،في حين يرى أبو القاسم القشيري عدم وجود اشتقاق لها في اللغة العربية.[3] وهي بعيدة عما ذكر سابقا باعتبار:

-نسبه الى الصوف غير مقبول لان القوم لم يلبسوا الصوف.

-اما عن صفاء قلوبهم فهم ابع بمقتضى الله.

-نسبه الى صفة مسجد رسول الله لكن النسبة لاتجيء على النحو الصوفي.[4]

وهناك يرى فيها كلمة اغريقية من "صوفيا" والتي تعني الحكمة،ويعود هذا لتحول النظريات الصوفية الى سلوكات حملها اتباع هذا النسق من المعرفة،فمن الطبيعي ان يعد الصوفية حكماء[5]، ولكن ابن خلدون يرجح ان نسبة الصوفية للصوف اصوب،لان الصوفية آنذاك خالفوا الذين ذابوا

---

[1] ابن الجوزي،،تلبيس ابليس،ط1،2001،دارالفكر،بيروت،لبنان ، ص 146.

[2] ابن تيمية،فقه التصوف، ط1 ،1993،دار الفكر العربي، بيروت،لبنان ، ص12.

[3] الطاهر بونابي ،التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/ 12 و13 الميلاديين،دار الهدى،عين مليلة ،2004،ص35.

[4] زين الدين ابي القاسم القشيري، مرجع سابق،ص464

[5] زهير بن يوسف ،الصوفية بافريقيا ، ط1 ،دار المسيرة، تونس،2018، ص59.

في الدنيا ولبسوا الحرير ومفاخر الثياب، ونسبة التصوف للصوف اقرب لان الناس تحكم وتكني على الظاهر[1].

ويربطه الميلي بتعريب المصطلح اليوناني "ثيوصوفيا– thésophie " وهو يعني اله الحكمة، وذلك عند ترجمة كتب اليونان والهند في الطور العباسي أيام المأمون.[2]

اختلفت المصادر في اصل واشتقاق كلمة التصوف والصوفي، بحيث يتفق كل من السراج الطوسي (ق10م)، والسهروردي (12م)، وأبو النعيم الأصفهاني (ق11م) انها تعود الى الصوف، الصفاء(صفاء القلوب) والصفة (جماعة الزهاد الذي ركنوا الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في عهده)، في حين يرى أبو القاسم القشيري عدم وجود اشتقاق لها في اللغة العربية.[3]

ولكن ابن خلدون يرجح ان نسبة الصوفية للصوف أصوب لان الصوفيين آنذاك خالفوا الذين ذابوا في الدنيا ولبسوا الحرير ومفاخر الثياب، ولان الناس تحكم وتكني على الظاهر[4].

ب–اصطلاحا:

يراه المتصوفة في مجموع تعاريفهم حسب محمود ادريس" انه السير في طرق الزهد،والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها وأخذ النفس بالتقشف بأنواع من العبادة والأوراد"، وهذه التربية الروحية مستقاة من فلسفات هندوكية والبوذية او الديانات المحرفة كالمسيحية واليهودية.[5]

ويصفه الشيخ حسنين مخلوف" هو تربية علمية وعملية للنفوس، وعلاج لامراض القلوب،وغرس للفضائل واقتلاع للرذائل،وقمع للشهوات، وتدريب على الصبر والرضا والطاعات"، ويضيف "هو

---

[1] عبد الله احمد بن عجيبة، معراج التشوف الى حقيقة التصوف،تح عبد المجيد خيالي،مركز التراث الثقافي المغربي،الدار البيضاء ،المغرب، من دون تاريخ،ص 26.

[2] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ج2 ، دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان ،ص ص 341–342.

[3] الطاهر بونابي ،مرجع سابق،ص35.

[4] عبد الله احمد بن عجيبة، مرجع سابق،ص 26.

[5] ادريس محمود ادريس، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية،مج 1 ، مكتبة الرشد ، المملكة العربية السعودية ، ط2 ، 2005، ص ص 31– 32.

علم وحكمة، وتبصرة وهداية، وتربية وتهذيب، وعلاج ووقاية، وتقوى واستقامة، وصبر وجهاد، وفرار من فتنة الدنيا وزينتها وابتعاد".[1]

ويعرفه غير المتصوفة كابن خلدون بأنه علم من العلوم الشرعية الحادثة في الدين وطريقته لم تزل في التابعين والسلف، ومن بعدهم طريقة الحق والهداية ،كما انه العكوف على العبادة،والانقطاع الى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها وهذا ما كان عليه السلف الصالح[2].

ان التصوف ما هو الا رحلة بدأت بالورع والزهد،ثم تطورت الى علم ونظام جديد في العبادة وصارت اتجاها عقليا ونفسيا وسلوكا وعملا وعبادة،وهو فلسفة حياة وطريقة معينة في السلوكات يتخذها المتصوف للوصول الى كماله الأخلاقي وعرفانه وسعادته الروحية[3]،ولكن القوم بعد ذلك باعوا الدين بالدنيا،ودانوا بما لم يدن به سلفهم.[4]

وظاهرة التصوف مشتركة بين الأديان والفلسفات والحضارات المختلفة،ويخضع المتصوف الى انتمائه الحضاري والعقائدي والبيئي وسنقسم الى نوعين: الأول عملي ممارساتي وهو الزهد وهو أصل التصوف ومنبعه الإسلام، والأخر فلسفي غريب عن الواقع يتحدث عن وحدة الوجود متمثل في الشطحات والمزامير والبخور.[5]

والظاهر ان تعريف ابن خلدون متكامل شامل لكرونولوجيا التصوف زمنيا ومعرفيا ونفسيا بحيث:

-انه كان في عهد الصحابة،التابعين وتابعي التابعين طريق حق وهداية.

-اما القرن الثاني للهجرة عرف منحى جديد وفق العوامل والظروف آنذاك.

---

[1] ابي عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي البصري، رسالة المسترشدين ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، دار السلام،حلب ، سوريا،ط2، 1971 ،ص 08.

[2] عبد الرحمان بن محمد بن خلدون،مقدمة ابن خلدون،ج2،تحقيق عبد الله محمد الدرويش،دار البلخي،دمشق،ط1 ، 2004 ، ص225.

[3] عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق،ص 383.

[4] القشيري، المرجع السابق، ص 19.

[5] عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق،ص 383.

– التصوف كان علما ثم اصبح نسقا في المعرفة.

– حدد الركائز الموصلة الى المعرفة الكاملة وذلك بجهاد النفس وترويضها.[1]

كانت مقاصد الصوفية وطابعها نبيل بغرض الدعوة الى توحيد الله ولكن سرعان ما تغيرت الأمور وتحولت الى شطحات وحركات لا علاقة لها بالدين[2]، تطرفهم كان نتيجة اختلاطهم بالشيعة خاصة الإسماعيلية بحيث ذهبوا الى القول بالحلول والوحدة والوهية ائمتهم وهو مذهب لم يعرفه من سبقهم، فألف بعضهم الكتب في ذلك مثل الهروي في كتابه "المقامات"، فتأثر بعضهم ببعض واختلطت عقائدهم. [3]

2-التصوف في الجزائر:

عرفت الجزائر التصوف زمن بني عبيد ولكن العلماء انكروا عليهم وحاربوهم ولم يكن بالمغرب يومئذ شأن للصوفية إلا ان جاءت الدولة المؤمنية وانتشرت المعارف والعلوم والفلسفة فظهر علماء الصوفية، ولكن نفوذ الدولة وقوتها حال دون انتشار مذهبهم بين العامة،الى ان ظهرت بعدها النزاعات والصراعات القبلية في المنطقة فقوي عودهم وتمكنوا من السيطرة على عقول العامة.

ومن الذين كان لهم دور في توطين الصوفية في الجزائر ابي مدين شعيب الاندلسي دفين تلمسان المتوفى (بين 591-594 هـ) الذي اخذ العلم عن ابي يعزى والتقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني،واستقر ببجاية ودرس بها رسالة القشيري، ومن كلامه "بفساد العامة يظهر ولاة الجور، وبفساد الخاصة يظهر دجاجلة الدين الفتانون".والقائل كذلك"احذر محبة المبتدعين فهو ابقى على دينك، واحذر محبة النساء فهو ابقى على قلبك".[4]

وللإشارة فان بعض المناطق في الجزائر لم تعرف التصوف كما هو الحال لمنطقة الميزاب فلا دراويش لهم ولا مرابطين، وانما لهم تنظيم خاص يقوم على احترام المشايخ الذين يتقاسمون فيما

[1] زهير بن يوسف،المرجع السابق، ص 61.

[2] ابي العباس احمد بن الهاشمي، ، جريدة الإصلاح، التصوف كما اثبته التاريخ لا كما يصوره الوجدان وتزخرفه الالسنة ،17 ماي 1947،السنة20، العدد49، ،ص1.

[3] ابن خلدون ،المقدمة،ج2،المرجع السابق، ص ص 238-239.

[4] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ج2 ، دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان ،ص 347.

بينهم المسؤوليات كالعدالة والصلاة والتعليم يرأسهم الأكثر علما والظاهر هو ما يعرف بنظام العزابة.[1]

بدأ الصوفية يميزون انفسهم عن باقي المسلمين بكلمات كقولهم "علمنا ، طريقتنا، اصولنا.."، وهذا بداية للتحزب والتفرق والتمايز عن الاخرين[2]، ، ،اذن نحن هنا امام مجموعة من المصطلحات المتداخلة فيما بينها المتعلقة بالطرقية وجب رفع اللبس عنها.

3-ظهور الطرقيـة:

أ- اصـل الطـرق:

تغير حال التصوف بظهور التنظيم الصوفي، فظهرت الخانات على يد أبو سعيد الميهني ليصبح هذا التنظيم فيما بعد مركزا للصوفية وسهل انتشاره في بلاد فارس، ليتبعه في ذلك عامة رجال الصوفية في منتصف القرن الرابع للهجرة، فكان بذلك اللبنة الأولى للطرق الصوفية والتي انتشرت بسرعة البرق في كل من العراق ومصر والمغرب، وفي القرن السادس ظهرت ثلة من رجال التصوف كل يزعم انه من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم قصد استقطاب أتباع، وحقيقة فقد تمكنوا من ذلك وعلى سبيل المثال لا الحصر الرفاعي في العراق، والبدوي والشاذلي ذو الأصول المغربية في مصر[3]، ليصبح التصوف ظاهرة اجتماعية طرقية ويعرف هؤلاء "بالفقراء" وكثر الادعياء والأولياء، ونسبت اليهم الكثير من الكرامات والخوارق واختلط الامر بين الاحياء والأموات وكثرت المزارات، فاستحوذ التصوف على الحياة العقلية[4].

ان الإسلام الطرقي يرتكز على مبادئ واسس مبسطة مثيرة للجانب السلوكي والأخلاقي المرتكزة على معاني التواضع والصبر والطاعة والتوبة والاوبة، وتحييد متاع الدنيا[5]

---

[1] محمد مكحلي، سيدي بلعباس البوزيدي ولي وولاية –دراسة تاريخية انتروبولوجية،2018، دار القدس العربي، وهران، ص71.

[2] ابي نعيم الاصفهاني، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ج10، 1996، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص190.

[3] عبد الرحمان عبد الخالق، المرجع السابق، ص 34 .

[4] محمود مقديش،مصدر سابق، ص 231

[5] محمد مكحلي، سيدي بلعباس البوزيدي ولي وولاية ، المرجع السابق، ص71.

-**الطريق:** هو السلوك القاصد الى الله وحبه، وهو طريق أولياء الله والسالكين اليه[1]

-**الطريقة:** عند السادة الصوفية هي السيرة المختصة بالسالكين الى الله تعالى[2]، وهي كذلك طريق خاص بنوع من الناس يتميزون عن غيرهم برؤية معينة في المنهج اللازم اتباعه للوصول الى الحقيقة كل حسب منبعه[3]، كما يعرفها البعض أنّها اجتماع طائفة من الناس على شيخ يخصونه بالطاعة والتعظيم دون غيره من الشيوخ[4]، ومن ذلك غدت الطريقة فرضا دينيا واجبا في نظر خفاف العقول وجب التمسك بها والعمل بأوامر شيوخها، وتغنيهم عن بقية الفرائض[5].

-**الطرقي:** هو كل من اسلم وجهه لشيخ واتخذه ربا يعتقد فيه الشفاء والرزق والنصر فيعود اليه في مبتغاه دون الله وينتهي بمناهيه فيظن بذلك انه يتصرف في خير اموره وشرها[6]، وعليه فالطرقيون صنفان: غلاة أحدثوا في الدين بدعا دخيلة، وآخرون يرون في أنفسهم ورثة المالكية، وغيرهم إصلاحيون جدد ينتسبون إلى ابن تيمية أو محمد ابن عبد الوهاب[7].

وحتى الطرقيون انفسهم يشيرون الى ان فيهم الصالح وفيهم غير ذلك فهم بذلك قد قسموا الطرقية الى زائغة مبنية على تقديس الشيوخ وتقبيل الايدي والرؤوس والسجود لغير الله و طرقية حقة قويمة[8]، وجرائدهم تثبت ذلك فهي كذلك تعنى بمذهب اهل السنة والجماعة وهدفها محاربة الإلحاد وكل مظاهر السفور[9]، ويتكون الهرم الطرقي من:

---

[1] علي الجرجاني، التعريفات،ط1،شركة القدس،القاهرة،مصر ،2007، ص141.

[2] محمد مكحلي، الاولياء والصلحاء في الجزائر الظاهرة والجذور، المرجع السابق، ص52.

[3] التليلي، المرجع السابق،ص35

[4] نقلا عن أبو العباس احمد الناصري في كتابه "الاستقصا" في تاريخ المغرب الاقصا، بدعة الطريق في الإسلام ، جريدة الصراط السوي ومن اهتدى، السنة الأولى، العدد 2، 18 سبتمبر 1933، ص 4.

[5] مصطفى القاسمي ، الاستعمار والطرقية ، جريدة البصائر، السنة الرابعة ، العدد 169، 9 جوان 1936 ، ص2.

[6] محمد تقي الهلالي ، معنى الطرقي في العرف، مجلة الشهاب ،السنة الرابعة ، العدد 171 ، 8 نوفمبر 1928، ص 4.

[7] علي مراد، المرجع السابق، ص 280.

[8] قدور بن احمد المجاجي ،الى إخواننا الطرقيين، السنة الثانية،البلاغ، العدد 86، 21 سبتمبر1928، ص1-2.

[9] البلاغ وما يقال في البلاغ، السنة الثانية،البلاغ، العدد 83، 24 اوت 1928، ص1

أ- مؤسس الطريقة.

ب-شيخ الطريقة: يسمى أيضا خليفة الورد او مولى الطريقة وهو الوريث الشرعي لمؤسس الطريقة ويمكن ان يكون صالحا كعبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة او ابي مدين شعيب في تلمسان، ليتحول بعدها الى مانح البركة وموزع الاجازات والذي يعين مقدميه وهو خليفة الله في الأرض ويتخذ سكنه قريبا من الزاوية او ضريح المؤسس.[1]

ج-الخليفة (نائب شيخ الطريقة): هو الذي يمارس صلاحيات الشيخ بالوكالة[2].

د-المقدم: ممثل شيخ الطريقة في إحدى زواياه طبعا بعد حصوله على إجازة (تفويض من الشيخ)[3]،حال الحياة وبعد وفاة المرابط يصبح المقدم خادما للمرابط المضروح وتتوارث المرتبة أبا عن جد ويحصل أحيان ان يصبح اكثر نفوذا من عائلة المرابط، وتمكنت فرنسا من تدجينهم وتحويلهم لخدمتها بل فرضت على مقدمي بعض الاضرحة المشهورة اتقان اللغة الفرنسية لتسهيل التواصل مع السياح.[4]

هـ-طاعة المريد: أهم ركن في العلاقة بين المريد والشيخ وتقوم على إجلال الشيخ وتقديسه والمبالغة في محبته والتسليم بذلك، ومن هذا جُبِل الاتباع على أحادية المتلقي والتسليم المطلق بصحة ما يصدر عن شيخهم المصيب دائما، لهذا تمكن المشايخ من الاستحواذ على شخصية المريد فجعلته كالميت بين يد مغسله[5]، وان كذب المريد شيخه فيقدح في كلامه، فيقولون:

وصحبة شيخ وهي اصل طريقهم فما نبتت ارض بغير فلاحة[6]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4 ، ص 11.

[2]Octave Depont et Xavier Coppolani, Op.cit ,p 194

[3] التليلي العجيلي،مرجع سابق،ص38.

[4] Edmond Doutté,note sur l'Islàm maghribine-les marabouts, Op.cit,p23

[5]عبد الوهاب الشعراني،الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ،تحقيق طه عبد الباقي والسيد محمد الشافعي،ج1،مكتبة المعارف،بيروت لبنان،1988،ص ص 168-189

[6] محمود عبد الرؤوف القاسم، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، دار الصحابة، بيروت لبنان ، ط1 ، 1987 ، ص603- 604

وصفة الصلاح والمرابطية لا تكون في الحي الا كان شريفا او ظهرت عليه كرامات، ويحصل عليها غيرهم بعد وفاته[1]

ب-الطرق الصوفية بالجزائر:

تختلف الطرق الصوفية في الشيخ الذي تتبعه، والذكر والعدد المكرر، ونوع المسابح المستعملة،والزيارة وكيفيتها وتوقيتها.[2]

في نهاية القرن 19 حوالي 1896 كان هناك ثلاثة وعشرين طريقة في الجزائر ممثلة بالشيوخ ولمقدمين يقع مقر بعضها الرئيسي هنا بالجزائر والبعض الأخر بالمغرب او ليبيا او مصر مقسمة على 349 زاوية و205189 منتسبا منها:

الشاذلية: مقسمة الى: 4 تجمعات فرعية وبها 11 زاوية و195 طالبا و9 شيوخ و99 مقدما 13251من الاخوان ذكور و652 اناث متوزعين على العاصمة وقسنطينة.

القادرية: مقسمة الى: 6 تجمعات فرعية وبها 33 زاوية و521 طالبا و4 شيوخ و301 مقدما 21056 من الاخوان ذكور و2695 اناث.[3]

الرحمانية: مقسمة الى: 177 زاوية و521 طالبا و22 شيوخ و873 مقدما 140596من الاخوان ذكور و13186 اناث، 849 شاوش، يصل عدد منتسبيها 156214، وهو رقم اقل مما هو في الواقع.

التجانية: مقسمة الى: بها زاويتين رئيسيتين بعين ماضي وتماسين، وشيخين مدراء،و22 زاوية فرعية منتشرة في الصحراء والهضاب العليا والتل،و165 مقدما، 162 شاويش، 19821من الاخوان ذكور و5164 اناث.

[1] Edmond Doutté, Notes sur l'islam maghribin-Les mirabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions, Op.cit, p74

[2] A-G-P .Martin,Précis de sociologie nord Africaine,p1,Ernest Leroux editeur,28 rue Bonaparte,1913,paris,p116

[3] Octave Depont et Xavier Coppolani, Op.cit,p212

-**الحنصالية:** تتمركز تقريبا في التل والهضاب العليا: وبها 18 زاوية و176 طالبا بشيخ واحد و48 مقدما 3485من الاخوان ذكور و438 اناث،102 شاويش.

-**الطيبية:** مقسمة الى: وبها 08 زاوية،21 وكيل و234 مقدما 19110من الاخوان ذكور و2547 اناث، بـ22148 منتسب، يتلقون الدعم من الزاوية الام بوزان بالمغرب.

-**العيساوية:** مقسمة الى:بها شيخ واحد، وبها 10 زاوية،5 وكلاء و39مقدما،58شاويش، 3444من الاخوان ذكور و33اناث، بـ22148 منتسب، يتلقون الدعم من الزاوية الام مكناس بالمغرب.

-**العروسية (السلامية):** ليبية الانتماء مقسمة الى:بها شيخ واحد، وبها 03زاوية،5 وكلاء و03 مقدما،06 شاويش، 77 من الاخوان ذكور و05 اناث، منتشرة بالشرق الجزائري.

-**البوعليوية:** مقسمة الى: وبها 04 زاوية، و06 مقدما،10شاويش، 266 من الاخوان ذكور و82 اناث، منتشرة بالشرق الجزائري.

-**العمارية:** مقسمة الى: وبها 26 زاوية،36خليفة ،03 وكلاء، 79 من الطلبة،03 شيوخ، و46 مقدما،188شاويش،5774 من الفقراء، 284 من الاخوان ذكور و22 اناث، منتشرة بالعاصمة وقسنطينة.

-**الزروقية:** زاوية واحدة، 55 طلبة،شيخ واحد، و16مقدما،13شاويش، 2614 من الاخوان ذكور و55 اناث، منتشرة بالعاصمة وضواحيها.

-**الناصرية:** 03 زاوايا ، 55 طلبة،شيخ واحد، و03 مقدما،04 شاويش، 468 من الاخوان ذكور و165 اناث، منتشرة بخنشلة وقسنطينة.[1]

-**السنوسية:** لديهم زاوية واحدة (بن تيكوك) ، 35 طلبة،شيخ واحد، و20مقدما،10شاويش، 874 من الاخوان ذكور و135 اناث.

الدرقاوية: مقسمة الى 8 فروع تتمركز بوهران: وبها 10 زاوية،03 وكلاء، 134 من الطلبة،09 شيوخ، و72 مقدما،02 شاويش،5774 من الاخوان ذكور و1118 اناث، 9567 منتسب.

[1] Octave Depont et Xavier Coppolani, Op.cit,p213

المدنية: ليبية الانتماء: وبها 02 زاوية،11 وكلاء،03 شيوخ، و14مقدما،1شاويش،1673 من الاخوان ذكور و22 اناث، منتشرة بالعاصمة ووهران.

الزيانية: مغربية الانتماء: وبها 02 زاوية،11 وكلاء،03 شيوخ، و76مقدما،4 شاويش،2376 من الاخوان بوهران.

الكرزازية: مغربية الانتماء: وبها 78مقدما،1673 من الاخوان ذكور و263 اناث، منتشرة بالعاصمة ووهران.

المخالية: 02 مقدما،120 من الاخوان ذكور منتشرة بجنوب الصحراء.

الشابية: بـ 2500 من الخدام، منتشرة بعنابة، قسنطينة، قالمة.

الشيخية: بها 3000 منتسب: وبها 04 زاويا،11 وكلاء ، و45مقدما،10020 من الاخوان ذكور و140 اناث، منتشرة بإقليمي العاصمة ووهران، تمتد الى واحات توات وقرارة.

اليوسفية: وبها 02 زاوية،11 وكلاء،10 شيوخ، و08 مقدما،1437 من الاخوان منتشرة بمقاطعة العاصمة.[1]

استنتاج:

الظاهر ان المستجدات الطارئة على التصوف هي من اوجدت مفهوم الطريقة والطرقية في اصل واحد، لتنقسم على نفسها مع مرور الوقت وباختلاف الاذكار والأوراد والجغرافيا، لتصل الى ما وصلت عليه من ذلك العدد الرهيب زمن الغزو الفرنسي للجزائر.

[1] Octave Depont et Xavier Coppolani, Op.cit,p214

المبحث الثاني: الأصول التاريخية للإصلاح في الجزائر

1-مفهوم الإصلاح:

أ-لغة: الإصلاح نقيض الافساد وأصلح الشيء بعد فساده أي إقامته ويقال اصلح الدابة اذ احسن اليها فصلحت، وصلحت حال فلان فهو على حال صالحة[1].

ب-اصطلاحا: فجاء في تفسير ابن باديس"والإصلاح هو ارجاع الشيء الى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من فساد، والإفساد هو اخراج الشيء عن حالة اعتداله بإحداث اختلال فيه".[2]

يقول تعالى : "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين"[3] ويقول كذلك "وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون"[4]، ذلك ان الأمم لا تهلك الا اذا دب فيها الفساد وتركت المنهج الحق وضربت عليها الذلة والمسكنة، والباعث على الهلاك ليس الفساد الفردي بل الفساد الاجتماعي وخاصة اذا مس الفساد العقيدة.[5]

ومفهوم الإصلاح لطالما ارتبط بمفهوم اخر يتداخل معه في عديد النقاط الا وهو الثورة، **فالإصلاح** قائم على التروي والهدوء والغوص في أسباب وعوامل الفساد للوصول الى مكمن الضعف قصد وضع ميكانيزمات العلاج، وأما **الثورة** ففيها من العجلة وغموض الأساليب في العلاج ما يمكن ان يفسد الهدف او يأتي بفساد اعظم مما كان شائعا.[6]

وعلى النقيض من ذلك فالفكر الاجتماعي الغربي يرى ان الثورة اكثر شمولية ودقة في التغيير بعكس الإصلاح الذي يبقى سطحيا، والمصطلحان في الفكر العربي الإسلامي يتقاربان من حيث

---

[1] محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس،ج 6،تح حسين نصار، 1969، مطبعة الكويت، الكويت، ص548.

[2] عبد الحميد ابن باديس، تفسير ابن باديس او مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،ج 1، دار الرشيد، الجزائر،ط 1 ، 2009، ص 206.

[3] الأعراف الاية 56.

[4] هود الاية 117.

[5] أبو الأعلى المودودي،نحن والحضارة الغربية، دار الفكر، دمشق، سوريا،ص 198.

[6] نفسه،ص 173.

عمق التغيير وشموليته، ولطالما ارتبط مصطلح التغيير في التاريخ الإسلامي بالأفراد اكثر منه بالجماعات، وهو الامر الذي ارتبط بالرسل والأنبياء وحملهم رسالات التغيير الى أممهم ليتبعهم في ذلك مصلحون كثر كمحمد ابن عبد الوهاب[1] والأفغاني[2] وابن باديس وغيرهم.[3]

ومحمد البهي جاء بمفهوم اكثر شمولية وأكثر ارتباطا بعصر المفكر بحيث يقول" ان الإصلاح الديني هو محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية، ورفع ما اثير حولها من شبه وشكوك، كما انه محاولة السير بالمبادئ الإسلامية من نقطة الركود التي وقفت عندها حياة المسلمين الى حياة المسلم المعاصر، حتى لا يقف المسلم اليوم مترددا بين امسه وحاضره عندما يصبح في غده."[4]

فالحاصل اذن ان الإصلاح هو احياء ضمير المجتمع واعادته الى العقيدة السليمة والمنهاج الحق مع ضرورة مراعاة مستجدات العصر من نوازل وقضايا تهم حياة الناس[5].

والظاهر ان للإصلاح علاقة بالتجديد كذلك الذي يعني ارجاع الشيء جديدا أي إزالة رثاثته وتخلفه، من فساد في العقيدة والممارسات وكل شيء ليس من الدين يسبب له الوهن[6]، كما انه يعني تنقية الإسلام من كل شائبة متعلقة بالجاهلية مع ضرورة احيائه خالصا نقيا.[7]

---

[1] هو محمد ابن عبد الوهاب (1703–1792)،ولد بمنطقة العيينة ونشا فيها كان والده قاضيا وعلى يده تلقى علومه الأولية ثم سافر إلى الإحساء والحجاز والبصرة،ثم رحل إلى نجد أين قام بدعوته الإصلاحية ثم إلى الدرعية وتحالف مع الأمير محمد ابن سعود لتنتشر دعوته داخل الجزيرة العربية وخارجها. انظر احمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة، الجزائر،2012،ص:38.

[2] ولد السيد جمال الدين الأفغاني بأفغانستان سنة 1838 وتلقى تعليمه بمدينة كابل حيث اخذ الفقه والتفسير وعلم الكلام والتصوف ، وتعلم الانجليزية بالهند ودعا إلى الجامعة الإسلامية توفي سنة 1918.

[3] محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر، ،ص134.

[4] محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي،ط 4، مكتبة وهبة ، تونس ،ص 395.

[5] كمال عجالي، الفكر الإصلاحي في الجزائر الشيخ الطيب العقبي بين الاصالة والتجديد، ط1، 2005، شركة مزوار للطباعة والنشر، الوادي، الجزائر، ص34.

[6] محمد الطاهر بن عاشور، تحقيقات وانظار في القران والسنة، ط 2 ، 2008، دار سحنون، تونس ،ص 114.

[7] أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ الدين وتجديده وواقع المسلمين والنهوض بهم، دار الفكر الحديث، لبنان،ط 2 ، 1967،، ص 52.

فيبعث الله للدين من يجدده وجاء في الحديث عنه صلى الله وسلم" ان الله يبعث لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" ، الحكمة من المائة التي تكاد تتداول فيها ثلاثة أجيال فيحدث الجيل الثاني في امر الدين ويتوارثه الجيل الثالث فيبعث الله من يجدد ويصلح امر الجيل الثالث وهي سنة متوارثة ثابتة الحدوث.[1]

ولابن نبي رأي اخر فهو يرى ان التجديد امر سطحي يمس ظاهر المشكلة لا اكثر، مرتبط بطائفة رضعت من الثقافة الغربية، في حين الإصلاح اكثر عمقا في تاريخه وفي هدفه كما انه مرتبط بضمير المصلح لا بثقافته.[2]

ويظهر ان مالك ابن نبي اختلف مع ابن باديس في ماهية الإصلاح فهو يرى ان ابن باديس ركز على الإصلاح الظاهري المتعلق بالسلوك في حين كان ابن نبي يسعى للتحضير لقاعدة فكرة إسلامية متينة لتغيير لب المجتمعات.[3]

1-ظهور الإصلاح في العالم الإسلامي:

يختصر البشير الإبراهيمي ظروف ظهور الاصلاح في خمسة نقاط وهي: فساد علماء الدين وانحرافهم، تعطيل العمل بالدين الإسلامي الحجر على الاجتهاد والنزوع إلى النقل والتقليد، فساد الأخلاق ووهن العزائم، وأخيرا الاستعمار الروحي أو العقلي أو الغزو الثقافي الفكري[4]، فالمتمعن في مختلف المحاولات الإصلاحية عبر التاريخ يجد ان الدافع الأول هو فساد المجتمعات وبروز نخب همها كيفية الخروج بالمجتمع من غيبات الانحطاط والركود الاجتماعي والثقافي

[1] محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق ،ص 116.

[2] مالك ابن نبي، وجهة العالم ألإسلامي تر عبد الصبور شاهين، ط 5، 1986، دار الفكر، دمشق، سوريا، ص 48.

[3] مالك ابن نبي، مذكرات مالك بن نبي –العفن،ج1، تر نور الدين خندودي، دار الامة، ط1، 2007، ص 119.

[4] بشير فايد، قضايا العرب والمسلمين في اثار الشيخ البشير الابراهيمي والامير شكيب ارسلان، منشورة، ج1، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري بقسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، السنة الجامعية 2010/2009، ص:306.

والديني[1]، اما اذا ما بحثنا في وجودية العملية الإصلاحية فقد ارتبطت باسم ابن تيمية كشخص والذي لم يكن لا صوفيا ولا اشعريا بل مجاهدا يدعو الى الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي فهو بذلك كان الرجل الدولة، وكذا ارتبطت باسم المهدي ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين في شمال افريقيا، وباسم محمد ابن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية في المشرق العربي ويمثلها جمال الدين الافغاني زمن الاستعمار الأوروبي للعالم الإسلامي، ليكمل الشيخ محمد عبده [2]المهمة[3].

ويعتبر الاستعمار الاوروربي في البلاد العربية والإسلامية المحفز والدافع الأساسي لظهور الحركة الإصلاحية منتصف القرن التاسع عشر مع بروز ثلة من المصلحين على شاكلة جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ومحمد اقبال وابن باديس وابن نبي وغيرهم كثير[4]، اما على المستوى الداخلي فان الانحراف العقدي وتسرب الأفكار الشركية الى ذهنيات المجتمع وتعطل الفكر الحضاري نتيجة التخلف والجمود الفكري كانا كافيين لبروز نخب وتنظيمات للعودة بالأمم الى سابق عهدها[5].

3-ظهور الفكر الإصلاحي في الجزائر :

أ -عوامل ظهور الإصلاح في الجزائر:

لم تكن النهضة في الجزائر وليدة عشية أو ضحاها، بقدر ما كان عملية تحول بطيئة في المجتمع، نتيجة لتفاعل عوامل داخلية وأخرى خارجية زعزعت الجمود وأحيت النفوس ودفعتها لتجاوز حالة التخلف والانحطاط والرقي بالمجتمع.

---

[1] علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر -بحث في التاريخ الديني والاجتماعي 1925-1940، تر محمد يحياتن،ط 2، 1999،دار الحكمة، الجزائر، ص35.

[2] ولد الشيخ عبده بمصر سنة 1849 ، حيث تعلم القراءة والكتابة ثم التحق بجامع الازهر واهتم بالتربية والتعليم وأسس مع أستاذه الأفغاني العروة الوثقى بباريس يعد من زعماء الإصلاح الإسلامي، توفي سنة 1905.

[3] مالك ابن نبي، وجهة العالم ألإسلامي ،مرجع سابق، ص 49.

[4] كمال عجالي، مرجع سابق،، ص 37.

[5] اثار ابن باديس، مج1، اعداد وتصنيف عمار طالبي، الشركة الجزائرية، ط3، 1997، الجزائر، ص 71.

فالجزائر لم تكن في هذه الحقبة بمنأى عما كان يعيشه العالم العربي الإسلامي من تدهور وانحطاط في شتى المجالات، فقد كانت ظروفها الاجتماعية الثقافية والدينية على المستوى **الداخلي** قد أصابها الوهن والانحطاط الموروث عن فترة بني عثمان الذين تحالفوا مع الطرقيين لاستمالة الشعوب وحذر الصوفيون السنيون من البدع، خاصة حلقات الذكر بآلات الطرب ومنع بناء القباب على قبورهم حتى لاتجعل منه العامة وليا[1]، وهي الفترة التي يعبر عنها ابن نبي قائلا" ولقد تكلفت النزعة المرابطية بمده بتلك التعلاّت(علل وامراض) مقابل ثمن منخفض او مرتفع لتصرفه عن ماضيه وحاضره ومستقبله" ويضيف" اما قبيل الاحتلال فالجزائري كان يعيش حياة الخمول، ووضعت له قوالب صوفية ليكتفي بها دون الالتفات الى الحقيقة وينفض عن نفسه الغبار وهذا امر ممنهج فالفرد كان يولد متشائما لفقده بواعث الحياة والوجود "[2]، واما عن فترة الغزو الفرنسي فالمؤسسات التعليمية والدينية كانت خاضعة في مناهجها وبرامجها للاستعمار، لهذا كان من الضرورة إصلاح هذه الأوضاع وإعادتها إلى ما كانت عليه سابقا[3].

اما **خارجيا** فان الحركة الإصلاحية في الجزائر لم تكن بمنأى عن ما يحدث في العالم العربي والإسلامي، فمن عوامل بروز الظاهرة الاصلاحية:

-نشاط الجامعة الإسلامية:

بمفكريها وديناميكية صحافتها وتأثيرها على الامصار الإسلامية[4] ، منها حركة جمال الدين الافغاني الذي يعتبر المؤثر الكبير على الإصلاح في الجزائر بحيث يقول عنه مالك بن نبي" وكان من اثار هذه الكلمة ان بعثت الحركة في كل مكان وكشفت عن الشعوب الإسلامية غطاءها ودفعتها الى نبذ ما كانت عليه من أوضاع ومناظر، فأنكرت من امرها ما كانت تستحسن،

[1] محمود مقديش،مصدر سابق، ص 231

[2] مالك ابن نبي، القضايا الكبرى- مشكلات الحضارة، دار الفكر،ط2، 2000، دمشق، سوريا، ص33

[3] ضيف الله محمد الأخضر، محاضرات في النهضة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980، ص 45.

[4] جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، دار المعرفة،2009،الجزائر العاصمة، ص 37.

واتخذت مظاهر جديدة لا تتلاءم حتى مع ثيابها التي كانت تلبسها، فنبذت النرجيلة والطربوش والزردة، ولقد بلغ تأثير تلك القوة الفعالة الجزائر فأخذت منها بنصيب".[1]

- **صدى الحركة السلفية الوهابية والسنوسية** :

المقصود بالسلفية هي العودة بالدين إلى صفائه الأول كما كان أيام صدر الإسلام، وذلك بتنقية العقيدة من الشوائب من بدع وخرافات والاعتماد كلية على الكتاب والسنة، ومن الحركات السلفية الحركة الوهابية نسبة إلى صاحبها محمد بن عبد الوهاب، والسنوسية[2] المتأثرة بالوهابية والتي دعت إلى إقامة نظام حكم إسلامي، لكن كلتا الحركتين رفضتا استعارة أي نظام حكم أوروبي، وظهرت هاته الحركتين نتيجة للانحلال الاجتماعي وانتشار البدع والضلالات في الدين الإسلامي والابتعاد عن أصول العقيدة الإسلامية أي كرد فعل على واقع اجتماعي وديني متخلف استوجب الأمر معالجته وإصلاحه.[3]

ولقد تأثر الجزائريون بالحركة الوهابية المنتشرة في الحجاز بالشرق عن طريق وفود الحجيج الذين حقنتهم بمصل جديد للكفاح وعزم أقوى على الجهاد ومقارعة الأوروبيين الغزاة.[4]

-زيارة محمد عبده للجزائر سنة 1903:

يشير سعد الله أن محمد عبده كانت له لقاءات كثيرة مع الأمير عبد القادر حسب ما تشير إليه كتابات تلميذه رشيد رضا، كما جمعته لقاءات عديدة مع أبناء الأمير، وبعدها مباشرة وفي سنة 1884 زار تونس وغطت جريدة "الحاضرة" التونسية زيارته، هاته الجريدة الذائعة الصيت في الجزائر مما كان لهذه الزيارة أثر خاص على الجزائريين[5]،وكان للشيخ أثر كبير على الكثير من

---

[1] بن نبي، شروط النهضة،تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر،دمشق، سوريا،1986، ص 22.

[2] تنسب الحركة إلى مؤسسها محمد بن علي السنوسي،المولود بإحدى القرى بالجزائر 1787 الذي أسس أول زاوية في شمال إفريقيا بليبيا وهي الزاوية البيضاء بالجبل الأخضر عام 1843 وهي لا تختلف عن الحركة الوهابية ، وتوفي السنوسي 1859.

[3] بشير فايد، ، المرجع السابق، ص:393.

[4] زكريا سليمان بيومي، العرب بين القومية والاسلام قراءة إسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر، ط1، دار القاهرة، مصر، 2002 ، ص:54-59.

[5] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، دار البصائر، ط6 ، 2009، الجزائر ، ص: 567.

الشخصيات الجزائرية مثل عبد القادر المجاوي، الشيخ عبد الحميد بن سماية، ويعود هذا التأثير لزيارة محمد عبده للجزائر سنة 1903 التي تدخل في إطار رغبة محمد عبده في الاطلاع على أحوال المسلمين بشمال إفريقيا، خاصة مسلمي تونس والجزائر، والظاهر أنها لم تكن الزيارة الأولى للشيخ محمد عبده إلى المنطقة،[1] ولقد استغرقت هذه الزيارة بين ثلاثة إلى عشرة أيام التقى فيها محمد عبده بعلماء الجزائر منهم الشيخ عبد القادر بن سماية (1866-1933) والشيخ محمد بن زكور مفتي المالكية، ومحمد بوقندورة مفتي الحنفية والشيخ محمد بن مصطفى الخوجة (1865-1915)،[2] ولقد تبنى العديد من هؤلاء أفكار الشيخ[3]، وقد عبر عن ذلك السيد رشيد رضا بقوله: "... وقد وجد له في الجزائر حزبا دينيا ينتمي إليه من حيث لم يكن يعلم، وإنما الصلة بينهم وبينه مجلة المنار[4]...". ولو ان البعض يرى ان هذه الزيارة خيبت امال فئة من المثقفين لعدم اتصال الشيخ بالطبقة الشعبية، بالإضافة الى شيوع ان الشيخ كان ميالا لفرنسا مقاطعا للسياسة الامر الذي كان يتنفسه الجزائريون[5].

وبالرغم من ذلك يمكننا القول أن هذه الزيارة كانت تعكس بصدق حلقة من حلقات التواصل الحضاري والتاريخي بين الجزائر والمشرق العربي، والذي سوف يثمر بإنشاء مولود جديد هو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على النهج العبدوي مع استقلالية في الفكر لا على درجة التابع والمتبوع[6].

---

[1] أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، 1965، ص 82.

[2] محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الأمام الشيخ محمد عبده، الجزء 1، ط1، مطبعة المنار، مصر، 1931، ص 870 – 874.

[3] سيأتي الإشارة الى هؤولاء في الفصل الثالث بالتفصيل

[4] المنار: جريدة أسبوعية تعتبر من طليعة الصحف العربية أسسها محمد رشيد رضا سنة 1897، تتميز بطابعها الإصلاحي الديني والاجتماعي والأدبي ثم حولت إلى مجلة شهرية. ينظر محمد بن سمينة، صفحات من اسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الحديثة، دار مدني ، ص 38

[5] عبد الرحمان ابن ابراهيم ابن عقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الاولى 1920-1936،ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 57.

[6] محمد البرج، الجزائر في كتابات محمد عبده، مجلة الأصالة، العدد 52، 1987، ص 23.

- تأثير الصحافة المشرقية:

لقد كانت للصحافة المشرقية دور كبير في بروز الوعي داخل المجتمع الجزائري، كما ساهمت في دفع عجلة النهضة الجزائرية، وذلك من خلال الاهتمام ببعض القضايا التي تخص المجتمع الجزائري، كما حاربت الاستعمار الفرنسي وأساليبه التعسفية في الجزائر، وساهمت هذه الصحف في تعريف الجزائريين بهذه الوسيلة للدفاع عن مصالحهم والوقوف أمام تسلط وتعسف الاستعمار، وساهمت هذه الصحف أيضا في حث الجزائريين على مواصلة النضال الوطني وعملت على إيقاظهم من غفلتهم.[1]

فالصحافة المشرقية وجدت لها جمهورا كبيرا وسط المجتمع الجزائري، وخاصة سياسة التضييق والقمع التي طبقتهما الإدارة الفرنسية على الصحف الوطنية الجزائرية، الأمر الذي دفع بجمهور كبير من الجزائريين إلى اقتناء الدوريات العربية المطبوعة في اسطمبول والقاهرة وتونس رغم المراقبة الشديدة التي فرضتها الإدارة الفرنسية على هذه الصحف .

وإلى جانب مساهمتها في توعية الجزائريين كانت الصحف العربية قد فتحت صفحاتها لصرخات الجزائر ولقضاياها ومعاناة شعبها، فلجأ إليها الجزائريون لإيصال صوتهم عن طريقها، فراسلوا بعض الصحف العربية في المشرق خاصة المصرية[2]، كما نجد أن جريدة المؤيد[3] هي الأخرى أثارت وعالجت قضايا جزائرية حيث شنت حملة عنيفة (1907-1908) ضد الإدارة الفرنسية في الجزائر عندما نشرت رسائل تلقتها من الجزائر وقد كانت الصحف المصرية تحمل دعاية لصالح الجامعة الإسلامية فهاجمت فرنسا ودعت الجزائريين من خلال مقالاتها الى رفض التغريب والانسلاخ والاحتفاظ بالشخصية الإسلامية، فقد وجد الجزائريون من خلال هذه الصحف

[1] عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847 – 1918، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 238.

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص 115.

[3] جريدة مصرية أسسها احمد ماضي وعلي يوسف سنة 1889، ويقول عنها سعد الدين بن أبي شنب أنها ابتداء من سنة 1889 أخذت تدعوا إلى اليقظة وإصلاح المفاسد المتفشية بين العرب وتحبيب الحرية والثورة على الاستبداد الاستعماري.

لسانا صادقا مدافعا عن الإسلام والعربية وإفشال وفضح مزاعم ومخططات الاستعمار الهادفة إلى سلخ الجزائر عن العالم الإسلامي.[1]

ولقد كتب كل من عمر راسم، وعمر بن قدور في الصحف التونسية في الفترة الممتدة بين (1907-1911) مساهمة باهرة في التعريف بالأحداث الداخلية للجزائر، ومن بين الصحف التي تبنت أفكارهم الحاضرة والحضارة والمؤيد.[2]

- الهجرة والبعثات العلمية إلى الخارج:

ونقصد هنا الذين خرجوا في طلب العلم بالعربية في المعاهد الإسلامية ،فمنهم من توجه إلى القرويين بفاس والزيتونة بتونس والأزهر بمصر، ومنهم من استقر بالحرمين الشريفين أو بالمسجد الأقصى أو الجامع الأموي وبعضهم رجع رغم انه كان يعرف مسبقا أن الإدارة الفرنسية لن توظف علمهم خوفا من العدوى الفكرية، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر الصالح بن مهنة الذي أصبح خطيبا للمسجد الكبير، وعبد القادر المجاوي خريج القرويين، كما لا ننسى الشيخ محمد بن يوسف اطفيش الذي سافر إلى تونس، مصر والحجاز ونفع بها "بني يزقن".[3]

كما شكلت عودة فئة من أبناء الجزائر البررة المخلصين من الحجاز مهد الإسلام الأول ومنبت الدعوة إلى الحق ومبعث الإصلاح الإسلامي العام ، بعد أن تلقوا العلم هناك بفكرة إصلاحية ناضجة متخمرة. [4]

ب- النواة الأولى للفكر الإصلاحي :

ولفظ حركة لا يطلق إلا على مبدأ تعتنقه الجماعة وتدافع عنه وتجعل له نظاما يسيره وهدفا تصل اليه، وبهذا الاطلاق والمفهوم فان الحركة الإصلاحية في الجزائر لم تظهر الا بعد الحرب

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق، ص 116.

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، مرجع سابق، ص 577.

[3] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1،المرجع السابق، ص:556-558.

[4] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، ص:36-38.

العالمية الثانية في الربع الأول من القرن العشرين[1]، وفي هذا الصدد يعبر مالك بن نبي عن بروز الفكر الإصلاحي في الجزائر قائلا " اما في الماضي فقد كانت البطولات تتمثل في جرأة فرد، لا في ثورة شعب، وفي قوة رجل لا في تكاتف مجتمع الا ان الهدف كان واحدا وهو إعادة بعث المجتمع الجزائري وتطهيره من دنس الأفكار الرجعية الخرافية التي ارتبطت بالزوايا آنذاك "[2]، وهو يقصد بهذا ان العمل الإصلاحي في الجزائر لم يكن منظما ومؤطرا بل كان محاولات فردية رافقتها إرادة قوية للنهوض بالمجتمع، وعليه فالإصلاح غير مقتصر على الافراد فيمكن ان يتعداه الى جماعة او حركة تأخذ على عاتقها مسؤولية اصلاح المجتمعات والأمم.[3]

وتجدر الإشارة هنا اننا لسنا بصدد ذكر كل من له دور في الإصلاح او ما يعرف بأعلام النهضة، وإنما ركزنا على المصلحين الذين كتبوا في باب الإصلاح المتعلق بالفكر وإصلاح العقيدة والعودة بالدين الى سواء السبيل.

وانطلاقا من هذا يعتبر **الأمير عبد القادر وحسن بن بريهمات**[4] من الأوائل الذين نوهوا الى ضرورة اصلاح كل ما من شأنه اصلاح المجتمع الجزائري متأثرين بكتاب "أقوم المسالك" لصاحبه خير الدين التونسي الذي ظهر في حدود 1867م، ولو ان كتاباتهم ارتبطت بالفلسفة وعلم الكلام اكثر من العقيدة، واعقبها مباشرة ظهور رسائل وكتب تدعو لاصلاح حال التعليم والزوايا وتقليد الغربيين ونبذ ابدع والخرافات التي القت بظلالها على عقيدة الجزائريين [5].

---

[1] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق ، ص37.

[2] مالك بن نبي، شروط النهضة،مرجع سابق، ص 23-25.

[3] كمال عجالي، مرجع سابق، ص 36.

[4] حسن بن إبراهيم من مدينة الجزائر،باشر التدريس والإصلاح خلف وراءه ذرية وتلاميذ تولوا مناصب هامة باشروا الإصلاح من خلالها توفي سنة 1881م.انظر أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص: 446، ص116.

[5] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ط1 ، 1998، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ص 158.

ولعل ابرز من حمل لواء الاصلاح في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر هما **ابن مهنا**[1] يقول عنه مالك ابن نبي "ومن هؤلاء صالح بن مهنة الذي كان رجلا بألف، فوقف امام الخرافيين الدراويش والذي صادرت فرنسا مكتبته نظير الخوف على ايقاظ المجتمع من سباته" [2]، ليخلفه فيما بعد ابن موهوب[3].

وتلميذه **عبد القادر المجاوي**[4]،ويعتبرهما ابن نبي صدمة فكرية للمجتمع الجزائري ضد اللاوعي الاستعماري، وهما اول من اعلن مواجهة الطرقيين والمرابطين[5].

وهذا الشيخ المجاوي الذي بدأت دعوته منذ 1877 حيث اصدر رسالة ارشاد المتعلمين، ثم ألف كتاب "اللمع في نظم البدع" التي جاء فيها شرح لقصيدة " المنصفة" لتلميذه ابن الموهوب[6]، حولته فرنسا من مدرسة قسنطينة الى العاصمة[7]، كان يبغض اليهود ويقاوم العنصر الصهيوني الذي كان يشكل خطرا على المسلمين.[8]

أما فيما يخص نشاطه الإصلاحي، فنجد جهوده العلمية والإصلاحية قد تبلورت في عدة ميادين وهي التربية والتعليم والصحافة والتأليف، أما بعد عودته إلى الجزائر واستقراره بقسنطينة في حدود

---

[1] صالح بن محمد بن مهنا ولد بقسنطينة سنة 1840، تعلم بالزيتونة ثم بالازهر توفي سنة 1910م.

[2] مالك بن نبي، شروط النهضة،مرجع سابق، ص 23

[3] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مرجع سابق، ص 66.

[4] هو عبد القادر ابن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان المجاوي نسبة إلى قبيلة مجاوة، ولد بتلمسان سنة عام 1266هـ/1848م،وتلقى دروسه الأولى حيث حفظ القران الكريم،بعد دراسة في مسقط رأسه، انتقل لمتابعتها في كل من تطوان، وطنجة بالمغرب الأقصى، وقد تركزت دراسة فيها حول: العلوم الشرعية وآداب اللغة العربية وغيرهما.. ثم التحق بالقرويين لمتابعة دراسته، ودرس فيها الفقه وأصوله، والفرائض والتفسير، الحديث الشريف، واصطلاحه المنطق وعلوم البلاغة والتصوف علم المنطق والحساب والفلك والتاريخ والأدب، توفي الأستاذ عبد القادر المجاوي بقسنطينة في 06 أكتوبر 1914 تاركا وراءه اثر طيبا.انظر أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ص: 446.

[5] مالك بن نبي، مشكلات الحضارة– الصراع الفكري في البلاد المستعمرة،ط10، 2011، دار الفكر، دمشق، سوريا،ص14.

[6] ابو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، مرجع سابق،ص 173.

[7] مالك بن نبي، شروط النهضة،مرجع سابق، ص 23

[8] اثار ابن باديس، مج1،ج1، مرجع سابق، ص 25.

سنة 1869 سيقوم بنشاط ثقافي بارز، حيث باشر بالتعليم في مساجدها وزواياها واستطاع أن يساهم بحركته هذه في إحياء نهضة علمية في المنطقة "... أحيت النفوس وأنعشت الروح...".[1]

وكانت العاصمة في هذه الفترة تعاني من الجهل وآثاره والفساد المنتشر بها بدرجة كبيرة، فكان عليه مضاعفة جهوده الإصلاحية واهتم بالتربية الدينية والخلقية، وغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس تلاميذه، كما أثر على الحياة الثقافية في العاصمة عن طريق المؤسسات والنوادي والجمعيات، ولقد خلف المجاوي مصلحين وعلماء واصلوا عمله الإصلاحي مثل: السعيد بن زكري، ومحمد المولود بن الموهوب.[2]

أما عن المواضيع التي عالجها في مقالاته، فلقد تنوعت مواضيعها الإصلاحية، فنجد له مقالات جاءت تنادي بالإصلاح في مجال العقيدة والعبادات، فدعا إلى محاربة البدع وحمل العلماء مسؤوليتهم في محاربة البدع عن طريق الإرشاد ونجده قد تحمل مسؤوليته كعالم في هذا الجانب.[3] ونفس الامر ينطبق على **ابن خوجة** الذي يلقبه عمر راسم بأب النهضة الجزائرية، وكانت كتاباته كلها تصب في اطار الإصلاح وضرورة التخلص من الدجل والخرافة والنهوض بالمجتمعات[4]، هذا الأخير الذي درس في الجزائر على يد الشيخ محمد بن السعيد بن زكري، وهو الآخر يعتبر أحد الدعاة إلى التجديد في ميدان التعليم، وواحد من النخبة المحافظة، ولقد كان بن الخوجة شديدا على أهل البدع وكان يرى أن العودة والتمسك بالدين الإسلامي كفيل بإنقاذ الجزائريين من الغرق في المدنية الغربية، ولكن هذا لا يعني أن بن الخوجة قد انغلق على نفسه ولم يقبل الحضارة بل كانت نظرته عقلانية لمسائل العصر، وكرس حياته لخدمة الإسلام والوطن.[5]

---

[1] سليم أوفة سليم أوفة، الشيخ عبد القادر المجاوي وإسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة (1848-1914)، مجلة قضايا تاريخية، تيدكلت، الجزائر، العدد01، 2016، ، ص69.

[2] سليم أوفة، المرجع السابق، ص:70-71.

[3] عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر(1913-1940)، ط1، دار الشهاب، بيروت، 1999 ، ص 76-77.

[4] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ط1 ، 1998، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ص 87.

[5] عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق، ص: 59.

لقد كان بن الخوجة منفتحا على الافكار الإصلاحية المشرقية والتي يمكن عن طريقها إصلاح المجتمع، ولقد كان بن الخوجة احد تلامذة الشيخ محمد عبده،[1] ألف بن الخوجة كتابه "إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام"، ركز من خلاله على ضرورة التخلي عن العقلية المتحجرة والجمود الذي ساد الشعب ودعا المصلحين إلى تولي دورهم في المجتمع والذي يتمثل في الإصلاح والدعوة إلى النهوض به وذلك من خلال العودة إلى القيم والتعاليم الإسلامية وحذف ما هو زائد ومبتدع لا علاقة له بالأصل[2]، وألف كتاب "اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب" حارب من خلاله البدع والخرافات والمعتقدات الباطلة والشائعة بين الشعب، وبين أثارها السلبية على المجتمع وتعرض أيضا في كتابه إلى قضية المرأة مرة أخرى.[3]

- **محمد المولود بن الموهوب[4]:** هو من رواد النهضة الفكرية والثقافية ومن ألمع الشخصيات الجزائرية التي لعبت دورا متميزا خلال الربع الأول من القرن العشرين، وهو من أبرز من مهد لظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر بداية من العشرينات، ويعتبر أبو القاسم سعد الله أن ليس هناك مثقف جزائري آخر قد فهم وأثر على تاريخ بلاده كما فعل ابن الموهوب، وذلك أن ابن الموهوب كان بمثابة مقدمة لحركة بن باديس الإصلاحية فيما بعد.[5]

كان بن الموهوب من دعاة الأخذ بالحضارة الغربية والتجديد ومحاربة الجمود والتحجر، حيث كان يرى أن التخلف الذي وصلت إليه الأمة جاء نتيجة حتمية لانحصار دائرة العلم، وامتداد دائرة الجهل، فقد استبد البسطاء بالأمر، وتحكموا في سير دواليب الحياة الاجتماعية وصاروا يحكمون

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7،مرجع سابق ، ص :184.

[2] نفسه ،ص 162.

[3] نفسه، ص ص184- 186.

[4] ولد سنة 1865 بقسنطينة، من ابرز أعماله تأسيس نادي صالح باي حيث يلقي المحاضرات الثقافية وكان في الوقت نفسه يلقي دروس الوعظ والإرشاد في الجامع الأخضر، عينته الإدارة الفرنسية سنة 1895 أستاذ الدراسات الإسلامية بسيدي الكتاني بقسنطينة كما عينته سنة 1908 مفتي للمذهب المالكي بنفس المدينة، ولابن الموهوب شعر جيد في محاربة البدع بالإضافة إلى نشره مقالات اجتماعية وثقافية.

[5] رابح فلاحي، جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر (1908-1954)، رسالة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ الحركة الوطنية المغاربية، منشورة،جامعة منتوري قسنطينة،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الاثار،2007-2008، ص: 06.

بالتعسف والجور باسم الدين، وهو أجهل ما يكونوا بتعاليم شريعته، واعتمد على السنة والقران لإقناع المواطنين على ضرورة الأخذ بالعلم والحكمة، من الثقافات والحضارات الغربية، ونبه مواطنيه إلى ضرورة الانتباه إلى العنصر الأوربي واتخاذه كمثال في التربية والاتحاد، وحث إلى التعليم وخاصة تعلم اللغتين العربية والفرنسية[1]، ونظرا لمكانة ابن الموهوب الدينية وثقافته الإسلامية والأوربية وبرنامجه التقدمي في تحرير الجزائر اثر على معاصريه سواء كانوا محافظين وليبراليين جزائريين أو فرنسيين، وبفضل ابن الموهوب تحولت كتلة المحافظين من مجموعة مفككة وبدون فعالية إلى مجموعة نشيطة مؤثرة تتمتع ببرنامج إصلاح معين، فهو حقيقة كان بمثابة مقدمة للعمل الإصلاحي الجماعي.[2]

- **الشيخ سعيد بن زكري**[3]: يعتبر من المشايخ الذين تكونت على أيديهم النخبة المثقفة العلمية وكان فريد دهره ووحيد زمانه حافظا للحديث إماما في العلم والتوحيد والفقه على المذهب المالكي، عكف طوال حياته على التعليم والإرشاد وقام بالإفتاء والخطابة أحسن قيام، ولا يزال الناس يهتفون بمحاسنه إلى عهد قريب[4]، ونتيجة لطول تجربته في ميدان التعليم وخبرته الواسعة فيها حاول إدخال إصلاحات في البرامج التعليمية للمؤسسات التربوية التقليدية "أي الزوايا" حيث ألف لذلك كتابا باسم "أوضح الدلائل على وجوب الزوايا في بلاد القبائل"، اظهر من خلاله عيوب ومساوئ التدريس في زوايا منطقة القبائل، واجتهد في تأليفه هذا إلى إعطاء تحسينات في المقابل الضرورية التي يجب إدخالها على هذا التعليم حتى يصبح مسايرا ومتوافقا مع أساليب التعليم العصري.[5]

---

[1] بن عدة عبد المجيد، المرجع السابق، ص: 53.

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2،مرجع سابق، ص: 156-157.

[3] ولد محمد بن السعيد بن احمد بن زكري الزواوي الجنادي سنة 1851 بالقبائل درس بالجزائر العاصمة سنة 1880 في زاوية "سيدي محمد الشريف" ثم عين مدرسا بالجامع الكبير ليصبح إماما بالمدرسة الحكومية، تولى الإفتاء المالكي سنة 1908 توفي سنة 1914.

[4] عبد المجيد بن عدة، مرجع سابق، ص: 61.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، مرجع سابق، ص 163.

- عبد الحليم بن سماية[1]:

كان احد المثقفين الذين كرسوا حياتهم لخدمة العلم والتعليم واستهل حياته الحافلة بالنشاطات معلما فكان ينشر أفكاره بين طلبته شأنه شأن الأساتذة المصلحين في هذه الفترة، وكان اثر المجاوي واضحا فيه فقد كان بن سماية لم يخض بعمق مشاكل التعليم ليصل إلى طرح نظريات تربوية واقتراح تعديلات دقيقة للبرامج المدرسية كما فعل أستاذ المجاوي، فقد اكتفى بوصف الحالة التعليمية المؤسفة وبيَن بأسلوب عقلاني قيمة العلم ووجوبه للإنسان.[2]

ولم يقتصر عبد الحليم بن سماية نشاطه في ميدان التدريس بل تعداه إلى ميدان التأليف شانه في ذلك شان معاصريه، فانفرد عنهم حين ألف الفلسفة الإسلامية ونظرا لكونه من المتأثرين بالشيخ محمد عبده فقد كان من الذين استضافوه عند إقامته في الجزائر كان للأسفار العديدة التي قام بها بن سماية إلى المشرق مصر واسطنبول أثرها في تشكيل فكرة الجامعة الإسلامية التي جعلت من المدارس التقليدية التي كانت تعاني آنذاك[3]، ولقد تعلق بن سماية بمصلحي الشرق فقد أصبح من بين العلماء المصلحين المغاربة الذين تبادلوا الرسائل مع محمد عبده، كان الشيخ محمد عبده يعتبر بن سماية احد الدعائم الأساسية في نشر المذهب الإصلاحي وأفكار الجامعة الإسلامية بين إخوانه الجزائريين نظرا لخصال كثيرة اكتشفها فيه الشيخ المصري عند زيارته للجزائر[4].

---

[1] ولد عبد الحليم بن علي بن سماية في الجزائر العاصمة سنة 1866، درس في الكتاب حفظ القران وفي سنة 1896 بدا التدريس بصحبه الشيخ عبد القادر المجاوي في مدرسة تعليم اللغة العربية، يعد أوسع علماء عصره علما وثقافة وهو من المصلحين الجزائريين المعتنقين لمذهب محمد عبده الإصلاحي، والداعين له من مؤلفاته فلسفة الإسلام، نشر مقالاته في الأخلاق والمجتمع في جريدة كوكب إفريقيا جريدة الإقدام، توفي في 04 جانفي 1933 بالعاصمة.

[2] عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق، ص: 73-74.

[3] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2،مرجع سابق، ص: 149.

[4] رابح فلاحي، المرجع السابق، ص: 06.

- **عمر بن قدور**[1]: لقد كان عمر بن قدور ممن تعلق بالصحافة فاخذ ينشر مقالاته الإصلاحية في عدة صحف جزائرية، وأخرى عربية لنشر الوعي واليقظة في نفوس الجزائريين من جهة، والوقوف مع الشعوب الإسلامية المضطهدة من طرف الاستعمار من جهة أخرى فكتب يؤازرها شعرا ونثرا.

ومن خلال كتابات عمر بن قدور نجده قد أولى اهتماما كبيرا بالجانب التربوي والاجتماعي والديني وهو الأساس الذي يقوم عليه المجتمع، فنجده قد اهتم بالجانب التربوي حيث يرى بن قدور بأن لا تكون هناك نهضة للأمة الجزائرية ما لم تسلك طريق العلم لان هذا الأخير هو الدواء النافع لإحياء موتى القلوب وإنهاض الأمة من رقدتها، وفي المجال التربوي اهتم أيضا باللغة العربية حيث دعا الجزائريين إلى تعلمها لأنه يعتبرها إحدى العناصر المشكلة للشخصية الجزائرية[2].

- **عمر راسم**[3]: لقد كان الرجل خطاطا ورساما وصحفيا، ومصلحا دينيا واجتماعيا من الطراز الأول، كان شعاره المحاربة في سبيل إصلاح الدين على مذهب الشيخ محمد عبده فجعله شعارا لمسيرته الإصلاحية، انشأ في سنة 1908 مجلة "الجزائر" غير أن تجربته كانت فاشلة وذلك لان

[1] ولد بمدينة الجزائر سنة 1886 حفظ القران وتعلم اللغة والأدب والفقه بالجزائر، ثم سافر إلى المشرق ليتم دراسته، ويقوم بنشاط صحفي ملحوظ فكان مراسلا لعدة صحف كانت تصدر بتونس ومصر وتركيا وفي سنة 1908، رجع عمر بن قدور الجزائري إلى الجزائر تولى منصب رئاسة تحرير القسم العربي بجريدة الإخبار، وفي سنة 1909 حاول مع عمر راسم أن يصدر جريدة عربية لكنه لم ينجح وفي سنة 1913 أسس جريدة الفاروق، ومع بداية الحرب العالمية الأولى اتهم بميله السياسي لتركيا واعتقل ونفي إلى مدينة الأغواط وعند نهاية نفيه ورجوعه إلى مدينة الجزائر استأنف نشاطه الصحفي فأسس جريدة الصديق مع محمد بن بكير وتوقف عمر بن قدور النشاط الصحفي سنة 1921 واعتزل ميدان الإصلاحي وبدا يعيش حياة الزهد والتصوف حتى وافته المنية سنة 1932 بالجزائر.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، مرجع سابق ،ص: 221.

[3] ولد عمر راسم بالجزائر العاصمة 1883 إلى 1884 تلقى تعليمه بكتاتيبها ثم درس بالمدرسة الثعالبية فترة قصيرة واعتمد بعد ذلك على نفسه في التكوين، وهو من المثقفين الجزائريين مزدوجي اللغة، اشتهر بنشاطه السياسي والصحفي على الخصوص، توفي سنة 1959م.

السلطات الاستعمارية منعت صدورها بعد ظهور عددين منها نظرا لما تحمله من أفكار إصلاحية، خوفا من التأثير الذي قد تحدثه في أوساط الجماهير الجزائرية.[1]

لقد كان عمر راسم أول من رفع القلم بكل قوة وجرأة وخاصة أن الصحافة كانت في بداياتها الأولى، وكان يتميز بجرأة عجيبة، كان عبدويا مخلصا لدعوة الشيخ محمد عبده الإصلاحية فطردوه من المدرسة[2]، وكان عمر راسم يتحسر على ما آل إليه الشعب والأوضاع المزرية التي كانت تعيشها الجزائر، من خلو المساجد من الراكعين الساجدين وامتلاء الشوارع باللصوص والفجار والسكارى، وانتشار الآفات الاجتماعية والميوعة والخلاعة بين صفوف الشباب الجزائري، فلم يستطع إخفاء حسرته على هذه الأوضاع المزرية التي آل اليها الجزائريون.[3]

وانطلاقا من آراء عمر راسم يمكن اعتباره أول صحفي صدع بالمذهب السلفي على صفحات الجرائد الجزائرية العربية بدون خوف أو تردد ولو أدى به ذلك إلى الزج به في السجن الذي قضى به كل سنوات الحرب العالمية الأولى بسبب آرائه المعادية للدارة الفرنسية والتي اعتبرته هذه الأخيرة أنها محاولة لتأليب الشعب على الإدارة، أطلق سراحه في عام 1921[4].

ج-_ظهور الحركة الإصلاحية مطلع القرن العشرين :

- ظهور جمعية العلماء المسلمين:

لقد حاول رجال الاصلاح ايقاظ الضمير الجمعي للمجتمع الجزائري عكس المحاولات الفردية السابقة[5]، ففكرة انشاء هيئة تجمع شمل العلماء كانت خارج الجزائر سنة 1913 بالحجاز لدى اجتماع كل من ابن باديس و الطيب العقبي والبشير الابراهيمي ولكن الظروف لم تكن مواتية للإعلان عن ذلك [6]، وبعودة علماء الشام والحجاز ومحورية الفترة التي اعقبت الحرب العالمية

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص:284-285.

[2] نفسه ، ص: 78.

[3] نفسه ، ص:288- 289.

[4] نفسه ، ص:287.

[5] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 24

[6] علي مراد، المرجع السابق، ص 143.

الاولى وأهميتها حيث انها فترة احياء وبعث للتراث الفكري والديني وكذا مرحلة حاسمة في استعادة الشخصية الجزائرية[1]، وهنا يقول ابن نبي" وبعد الحرب العالمية الأولى فحسب، استطاع الشعب الجزائري ان يخرج من مرحلة ما قبل التاريخ المتفقة مع ما بعد عهد الموحدين[2] ليدخل الى عالم القرن العشرين".[3]

اعيد طرح فكرة تأسيس هيئة تجمع العلماء التي كادت تتجسد سنة 1924 تحت مسمى " جمعية الاخاء العلمي" ومن جملة هؤلاء العلماء ابن باديس وعمر بن قدور والأمير خالد وعمر راسم وآخرون ، ويعود سبب تأخر تجسيد الفكرة الى الظروف الصعبة التي عرف كيف يتعامل معها ابن باديس وأقرانه ويمهدوا الأرضية لتنظيم اشمل واكبر ومن جملة أسباب التأخير هو التضييق والرقابة الحاصلة من الإدارة الاستعمارية، وكذا حساسية التنظيم المراد التحضير له والذي لابد ان يجمع كل العلماء دون تخصيص عالم على اخر مهما كان انتماؤه سواء طرقي او مشرقي المشرب او خريج زاوية[4]، وبالرغم منه هذا إلا ان الفكرة لقيت ترحابا ووقعا لدى العلماء ومنها فقد دب التغيير في نفوس الجزائريين وبدأت طلائع اليقظة تظهر وتتوسع، خاصة علماء الإصلاح الذين التفوا حول صحيفة الشهاب التي وجدوا فيها ضالتهم سنة 1925[5]، وفي هذا المنحى يقول المفكر مالك بن نبي عن فكر ابن باديس" أصبحت احاديثه للشعب شرعة ومنهاجا ،فهذا يقول لابد من تبليغ الإسلام للمسلمين، وذاك يعظ فلنترك البدع الشنيعة البالية التي لطخت الدين، ولنترك

[1] عبد الرحمان ابن إبراهيم ابن عقون، مرجع سابق، ص160

[2] وهو في هذا يلمح الى ان فترة ما قبل التاريخ وما بعد الموحدين وفترة الاحتلال تشترك في باب الحياة البدائية وهي حياة بعيدة كل البعد عن حياة العلم والنهضة فكان للدولة العبيدية الفاطمية والموحدية اليد الطولى في انتشار فكر الولاية والأقطاب والاغواث واعتقاد الناس في الأموات، ومن هاتين الدولتين تسربت العقائد الفاسدة انظر أبو يعلى الزواوي، الإسلام الصحيح،تقديم أبو قاسم سعد الله، 2008، منشورات الحبر، بني مسوس، الجزائر، ص161.

[3] مالك ابن نبي، القضايا الكبرى– مشكلات الحضارة، مرجع سابق، ص 34.

[4] عبد الرحمان ابن إبراهيم ابن عقون، مرجع سابق، ص165..

[5] علي مراد، المرجع السابق، ص 143.

هذه الاوثان، وذلك يلح يجب ان نعمل، يجب ان نتعلم، يجب ان نجدد صلتنا بالسلف الصالح، ونحيي شعائر المجتمع الإسلامي الأول".[1]

وحركة الإصلاح في الجزائر في القرن العشرين شذت عن نظيراتها من الحركات الأخرى لاقترانها بشخص عبد الحميد ابن باديس[2]، الذي تمكن من اخراجها جغرافيا من مدينة قسنطينة، وعضويا بانضمام رجالات الإصلاح على اختلاف مشاربهم والذين انقسموا الى قسمين حسب التشدد (على رأسهم الميلي)، والاعتدال من بعض المسائل والقضايا ومواقف اقرانهم من العلماء عن تيارات أخرى، هذا الاختلاف سيهدد فكرة تأسيس هذه الحركة، لكن احداث سنة 1930 المرافقة لمئوية الاحتلال والتي ستعجل بتشكيل هذا الحزب الديني على عجل في ماي 1931 رسميا تحت مسمى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[3]، وعليه فالعلاقة بين رجال الإصلاح والطرقيين شهدت تضاربا وعدم استقرار .

استنتاج:

مما سبق نستنتج ان العمل الإصلاحي في الجزائر مطلع القرن العشرين لم يأت من فراغ، وانما هو نتاج تلاقح بين التأثيرات النهضوية من الخارج واللبنة الفردية للداخل من محاولات شخصية للنهوض بهذا المجتمع الذي ضربت فيه الرجعية خيوطها، لتتوج في نهاية المطاف بتنظيم كجمعية العلماء المسلمين 1931.

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة،مرجع سابق، ص 25.

[2] مالك ابن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق،، ص156.

[3] علي مراد، المرجع السابق، ص 157.

المبحث الثالث: العلاقة بين الطرقية والاصلاح

1-مرحلة التوافق:

لا يمكن الحكم على هذه المرحلة إلا انها مرحلة توافق مصلحي لا غير، وهذا التوافق والتعايش شر لابد منه للطرفين نظير ما كان يضمرانه لبعضهما، فرجال الإصلاح استخدموا الطرقيين كجسر عبور للوصول الى السلطة الفرنسية وعامة الشعب الذي كان متشبثا بالطرقيين، وفي الطرف الاخر كان الطرقيون او المحافظون[1] يسعون لاستمالة الوهابيين والعبداويين واختراقهم وقطع الطريق عليهم.[2]

وفي هذه المرحلة استأثر رجال الإصلاح المعادين للطرقية باللجنة المسيرة للجمعية على غرار رئاسة ابن باديس وعضوية الابراهيمي، الميلي والعقبي خاصة مع بداية التغيير في مناهج الدعوة والتعليم وفق مناهج حديثة تدعوا الى درء الركود والجمود[3] هذا الامر سيثير حفيظة الطرقيين على رأسهم الحافظي الذي سيحاول اقصاء الاصلاحين في الذكرى الأولى لتأسيس الجمعية سنة 1932.

2-مرحلة الخلاف:

لدى تجديد إدارة الجمعية سنة 1932، تمكن الإصلاحيون من السيطرة على تسيير الجمعية واقصاء الطرقيين منها[4]، وفي الجهة الأخرى أسست الكتلة المحافظة من الطرقيين جمعية موازية عرفت بجمعية علماء السنة الجزائريين في 15 سبتمبر 1932م مقرها بالعاصمة والتي ترأسها المولود الحافظي ومن ورائه المؤسس الرسمي عمر اسماعيل ، ولمصطلح السنة في تسمية الجمعية سر وهو ان الطرف المعادي على غير السنة وبثقافة دخيلة وهابية نجدية[5] فقد جاء في

---

[1] حسب محمد الصالح ايت علجت الذي صنفهم الى محافظين ويقصد بهم رجال الزوايا والمرابطون والعلماء الذين لم يتأثروا بالفكر الوهابي النجدي، اما الإصلاحيون فهم على العكس من ذلك.انظر نور الدين بولحية، جمعية العلماء المسلمين وتاريخ العلاقة بينهما، ط1، 2015، دار علي بن زيد ، بسكرة، الجزائر، ص 46.

[2] نور الدين بولحية، مرجع سابق، ص 129.

[3] اثار الامام البشير الابراهيمي،مج2،ج1، المصدر السابق، ص 28.

[4] علي مراد، المرجع السابق، ص 158.

[5] عبد الرحمان ابن إبراهيم ابن عقون ، المرجع السابق، ص ص 234- 249.

بيان جمعية علماء السنة انها تتبع الكتاب السنة والمذاهب الأربعة واصول الفقه وأصول التصوف واصول الدين على عقيدة الاشعري[1] والماتريدي[2].

وبدأت الاتهامات بين الطرفين اخذت وصلت أحيانا الى استخدام العنف، ولكن اكبر الاتهامات مست الجانب العقدي وهو اصل الصراع.

3-الجمع بينهما:

وفي رسالة بعثها الزواوي لجريدتي الشهاب والبلاغ محاولا فيها الجمع بين طرفي النزاع من الطرقيين او المتصوفة كما سماهم والاصلاحيين، وفق شروط الزم بها الطرفين وهي عدم التجريح في بعضهما ولا تذكر الأسماء ولا يخوض طرف في عورات الآخر وان الإصلاح والدعوة لا تتأتى بهكذا شكل، وعلى المتصوفة ان يلتزموا التصوف الحسن من غير تجديد فيه ولا ابتداع، وعلى سلفية الجمعية ان يرضوا بواقع الحال وهو ان التصوف سيد في الجزائر وان لا يجعلوه في ميزان واحد واتهامه بالضلال والزيغ.[3]

ورجال الإصلاح تجد مواقفهم متباينة اتجاه الطرقيين فهم لا يضعونهم في كفة واحدة فالكثير منهم اثنوا عليهم كالمكي بن عزوز وعبد الكريم بوحجر (امام وخطيب ومدرس بمسجد عكاش بجدة) بالرغم من انهم خريجي زوايا إلا انهم فارقوها عند رحلتهم الى مشرق فتركوا ما هو خلاف

[1] وكان اهل السنة في المغرب ينكرون علم الكلام الذي برع فيه أبو الحسن الاشعري ثم اعتزله وعاد الى السنة، وانقسم السلفيون الى قسمين بين من يؤمنون بالاحاديث ولا يؤولون الصفات وبين اشاعرة يعتمدون علم الكلام ويؤولون الصفات، وقد انتصر الاشاعرة بفضل ابن تومرت وساد مذهبهم المغرب على عهد الموحدين الذين كادوا يطمسون موطأ الامام مالك ومدونة سحنون.انظر مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص، 339.

[2] عبد الرحمان ابن إبراهيم ابن عقون ، المرجع السابق، ص 251.

[3] أبو يعلى الزواوي، الدعوة الى الهدنة بين أصحاب الشهاب وأصحاب البلاغ، جريدة البلاغ،السنة الأولى، العدد 14، 25 مارس 1927، ص2.

الإسلام في بلدهم[1]، وقد اعترف غير واحد من شيوخ الطرقية وأئمتهم ان بعض الزوايا في الجزائر أصبحت لا تخدم المسلم ولا تؤدي مهمتها على احسن حال.[2]

4- التهم المتبادلة بين الطرقيين ورجال لاصلاح:

أ-الطرقيون: ما كان شائعا لدى الطرقيين وعامتهم وصفا لرجال الإصلاح كلمة الوهابية[3]، وهي كنية أصبحت لصيقة بهم وقد كان غير مرة قد نفاها رجال الجمعية عن انفسهم[4]، ويعلق أبو يعلى الزواوي على هذه التسمية ان الوهابية هم في الحقيقة اتباع للمذهب الحنبلي بمنطقة الحجاز المنتسبون الى محمد بن عبد الوهاب الذي جاء بنفس جديد محييا للدين محاربا للبدع وعقائد دخيلة من الفرق الكلامية، ولكن ما يؤاخذ عليهم هو حماستهم الزائدة وعجلتهم في

[1] عبد الكريم بوحجر،الإصلاح الديني وأبناء الزوايا الجزائرية بالمشرق، جريدة البصائر، السنة الرابعة ، العدد 159،31 مارس 1939 ، ص 2.

[2] عمر بوعناني،براءة من ضلال الطرقية، جريدة البصائر، السنة الرابعة ، العدد 159،31 مارس 1939 ، ص4.

[3] قال عنهم صاحب الاستقصاء "ان مساجدهم خالية من القباب والمنارات وغيرها من البدع المستحسنة، لا يعظمون الائمة ولا الاولياء، يدفنون موتاهم من غير مشهد لا احتفال"، ولكن هذا الحكم وهو زعم التشدد والنفي القطعي لزيارة الأموات والقبور نفاه تماما الأمير عبد الله بن سعود صاحب نجد والحجاز لما زاره المولى إبراهيم نجل المولى سليمان صاحب المغرب الأقصى وسأله قائلا" بلغنا انكم تمنعون زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأموات وهي ثابتة في الصحاح فرد عليه معاذ الله ان ننكر ما ثبت في شرعنا وهل منعناكم من الزيارة؟، انما نمنع العامة الذين يشركون العبودية بالالوهية، ويطلبون من الأموات ان تقضى لهم اغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية، وانما سبيل الزائر ان يعتبر بحال الموتى وان يدعو لهم ويستغفر لهم ويسأل الله تعالى المنفرد بالمنع والاعطاء بجاه ذلك الميت ان كان ممن يليق ان يستشفع به، وهذا قول امامنا احمد بن حنبل رضي الله عنه، ولما كان العوام في غاية البعد عن ادراك هذا المعنى منعناهم سدا للذريعة، فاي مخالفة للسنة في هذا القدر"- فلما عاد الى المغرب قص على والده الذي حصل والذي راى منهم من تمسك بالسنة النبوية، فامر الملك باتباع الحنابلة انظر كتاب أبو العباس احمد بن خالد الناصري، الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج8،دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب الأقصى،1997، ص 120-122.وكذلك محمد السعيد الزاهري ، هل كان الشيخ التجاني "وهابيا" ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 7، 30 اكتوبر 1933، ص 4.

[4] جاء النفي لامرين الأول هو التفريق بين السلفية الأصل هي اتباع الكتاب والسنة وهو ما عليه علماء الجزائر ومنهم الجمعية وسلفية الوهابيين التي هي جزء من السلفية الأصل وبالتالي فالوهابية هي سلفية ارتبطت بابن عبد الوهاب ذو المذهب الحنبلي وبجغرافيا نجد والحجاز، اما في الجزائر فالسلفية مرتبطة بالمذهب المالكي واما مالك بن نبي فيرى ان الوهابية ليست ظاهرة عربية وانما هي ظاهرة إسلامية عابرة للجغرافيا بل يذهب ابعد من ذلك فيرى نفسه وهابيا.انظر مالك ابن نبي، مذكرات مالك بن نبي – العفن،ج1، مرجع سابق، ص100.

العودة بالعامة الى الجادة غير مكترثين بمشاعرهم خاصة فيما تعلق ببناء القباب على القبور[1]، في حين كان لابد من التدرج في نصح الناس وتعليمهم دينهم بالتي هي احسن، الامر الذي جعل العامة ينفرون من دعوتهم[2].

فالحركة الوهابية والتي اصبحت كلمة دونية لدى عامة الجزائريين بسبب التسويق السلبي للإدارة الفرنسية والطرقيين لهذه التسمية، واعتبارها حركة مناوئة للإسلام المالكي في الجزائر، بالرغم من فصل ابن باديس في ذلك أكثر من مرة، بأن الجمعية حركة إصلاحية جزائرية بحتة ولا علاقة لها بأي حركة خارج الجزائر، وأكد ابن باديس ذلك في الشهاب الصادرة بماي 1935 أن الجمعية لا علاقة لها بالحركة الوهابية لا من قريب ولا من بعيد .[3]

ويذكر ابن باديس انه سرعان ما تحولت الكنية من وهابيين الذي لم يكن يملك من كتبه شيء[4]، الى تلقيبهم "بالعبداويين" نسبة الى محمد عبده، ويضيف انه بريء منه ولم يكن قد اطلع

---

[1] يلتقي الوهابية ورجال الإصلاح في نبذ التوسل بالمخلوق والتعلق الاضرحة ويختلفون في مسألة التشديد في التعزير وغلق باب الشبهات فمذهبهم مبني على سد الذرائع وفي الحقيقة هذا مذهب ابن تيمية وليس ابن عبد الوهاب (فلا مذهب لاهل السنة). انظر سيدي محمد الحجوي، الوهابيون سنيون حنابلة ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 3، 25 سبتمبر 1933، ص 3. ويخالف هذا الراي الزاهري في قوله انه لا يوجد في هذا الامر أي خلاف الا ما اختلف فيه اهل السنة انفسهم فالحنابلة لا يقولون بتكفير من يتوسل التوسل الشرعي، وهذه ليست عقيدة وهابية نجد بل هي عقيدة السلف الصالح، ومن اثار هذه المسألة هم العثمانيون الاتراك، والمسألة خرجت عن نطاقها الديني الى السياسي أي حول مسألة النفوذ في المنطقة، بل وصل الامر بالاتراك الى شراء ذمم الفقهاء لتأليف الكتب ضد الحنابلة وقادوا دعاية مغرضة انتشرت في العالم الإسلامي اجمع.انظر محمد السعيد الزاهري، الوهابيون سنيون حنابلة ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 5، 16 أكتوبر 1933، ص 4. وخشي الاتراك (الذين كانوا حنفية صوفية طرقيون بكطاشيون) من تعاظم نفوذ العرب خاصة مع تبني ال سعود لفكر ابن عبد الوهاب والحنابلة في غاية الاتفاق والتقارب مع المالكية، وعليه اتهام الإصلاح بالوهابية في الحقيقة هو شهادة حق اريد بها باطل، ومن أوجه الاتفاق بين المالكية والحنابلة الوهابية هو استشهادهم بالامام مالك في مسألة الاستواء وتجصيص القبور والبناء عليها والقبب والالتجاء اليها عند الحاجة والتوسل بغير الله وكل هذا من الابتداع الذي حرمه او كرهه مالك وبذلك ما فعله الوهابيون من هدم للقبب والمزارات بنجد والحجار انما هو استناد لاقوال امامنا مالك لايصلح اخرنا الا بما صلح به اولنا وهذا الذي يجب ان يكون عليه علماؤنا وعامتنا.انظر أبو يعلى الزواوي، وهابي، جريدة الصراط السوي، السنة الأولى، العدد 6، 23 أكتوبر 1933، ص 4.

[2] أبو يعلى الزواوي ، الوهابيون سنيون ، مجلة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 98، 26 ماي 1927، ص 2-3-4.

[3] علي مراد، المرجع السابق، ص 269.

[4] في حين اذا تأملنا مضمون كتاب رسالة الشرك ومظاهره لمبارك الميلي وهو احد مراجع الجمعية لوجدناه يكاد يكون نسخة طبق الأصل لكتب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب.

على كتبه الا النذر القليل[1]، ثم سرعان ما انتقلت التسمية الى الباديسي والعقبي والزيتوني منسوبين الى رجال الإصلاح ومدارسهم[2].

كما ان الطرقيين كانوا يرون انفسهم انهم على مذهب الصوفية الموروث عن ابي ذر الغفاري، وان غيرهم ممن يسمون انفسهم مصلحين على غير مذهب مالك ممن يكفرون اهل القبلة[3]، ولم يتوقف بهم الامر عند هذا الحد بل دعوا الناس الى عدم الصلاة وراء رجال الجمعية، لأنهم من الخوارج والقدرية، لما دعوا الناس الى عدم الاستغاثة والتوسل بالأموات وذهب أصحاب الفتوى لدى الطرقيين الى الدعوة لضرورة نفيهم وإبعادهم عن الدعوة وان يعزروا حتى يتوبوا الى الله بل واستحلوا دماءهم[4].

وكان التلاسن والتراشق بالكلام البذيء بينهم وبين الشهابيين والبرقيين نسبة الى جرائد العلماء ليس بالجديد، مستخدمين عبارة أعداء الله وأوليائه، ومن جملة ذلك قولهم "الطيب العقبي الخبيث ومنبع الشر، السعيد الزاهري الشقي، رحموني عبد المجيد مدير جريدة البرق الغشوم بياع الدخان، وابن باديس راس الفتنة شقيق ابليس"، وهذا السباب والمعايرة والطعن لم تكن من داخل القطر الجزائري فقط بل من خارجه من تونس والمغرب الأقصى من تلامذتهم.[5]

ب-رجال الاصلاح:

كما أطلق الطرقيون لفظ الوهابية على أعضاء الجمعية، كان الحال بالنسبة للإصلاحيين الذين اتهموهم بالرهبانية اليهودية والمسيحية نظرا لاسترقاقهم العباد، بل ووصفوهم بالإقطاعيين وأنهم كونوا ثروة بفضل الهبات التي توهب للمزارات والولائم نتيجة ممارسات تعود للعصور

[1] اثار الامام ابن باديس ،مج2،ج1، اعداد وتصنيف عمار طالبي، الشركة الجزائرية، ط3، 1997.، الجزائر ،ص 27-28.

[2] معتوقي عيسى ، لابد من يوم تنجلي فيه الحقائق ، جريدة البصائر، السنة الثانية ، العدد 84 ، 29 اكتوبر 1937، ص 4.

[3] بن عبد القادر المكودي، بحث هام في الفتوى ، السنة السابعة ،البلاغ، العدد 270، 09 سبتمبر 1932، ص 4.

[4] المكودي بن عبد القادر،جواب عن سؤال فقهي، السنة الاولى،لسان الدين، العدد 27،13 سبتمبر 1937 ، ص4.

[5] نحو مباهلتي سمهري والعقبي للاستاذ سكيرج، السنة الأولى،البلاغ، العدد 28، 15 جويلية 1927، ص3.

المظلمة[1]، فقد سماهم احدهم بغنم الشيطان[2] وهو يقصد تتبعهم خطوات الشيطان نظير البدع التي ابتدعوها[3]، ثم بأهل العمائم الصفر والدجاجلة[4].

كما حكم الإصلاحيون ان الطرق في اصلها بدعة محدثة فبمجرد قولك فلان على الطريقة الفلانية فهو مبتدع ودليلهم انها لم تكن على عهد رسول الله ولا على القرون التي تلته لا عهد الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين، ومن الغريب ان بعض الحجاج كانوا يذهبون للحج فلا يجدون اهل الحجاز على طرقهم ، فيعتقدون ان حجهم منقوص وان اهل الحجاز على ظلال بل ومن شيوخهم من ينفرهم من الحج لعدم تمامه ويدعوهم الى تركه فهو بذلك لا فرق بينه وبين من يدعو الى ترك الصلاة. (ولطرقي الحجاز دور في تنفير حجاج الجزائر من الحج لما قضت حكومة الحجاز والسعودية هدمت القباب والأضرحة وعادت بأهله الى الصواب).[5]

وذهب رجال الإصلاح اكثر من ذلك واتهموها بالخيانة وخدمة المستعمر ومصالحه والسير عكس تيار الوطنية، والعمل على إطالة عمر الاستعمار والخيانة السرية وهو ما حصل امام تيار المقاومة كمقاومة الأمير عبد القادر[6].

5- اهم المسائل الخلافية العقدية بين الطرفين:

وجب الإشارة هنا الى ان تناولنا لمسألة الولاية، الكرامة، الاستغاثة وزيارة الاضرحة سيمون كمفاهيم اصطلاحية بمواقف معتدلة دون ميول الى الطرفين المتجادلين، على ان نتعرض الى موقف الطرقيين ورجال الإصلاح من هذه المسائل في فصلين كاملين.

---

[1] علي مراد، المرجع السابق، ص 334.

[2] وكانت جرائد الطرقيين ترد على رجال الإصلاح بعد اتهامهم لهم بالضلال والبدع، فيردون ان جرائدهم في الحقيقة هي ضد التجنيس والاندماج والالحاد، وهذا حال البلاغيين.انظر عبد ربه،ما يقوله اللئام وسفهاء الاحلام، السنة الرابعة،البلاغ، العدد 152، 17 جانفي 1930، ص1.

[3] محمد تقي الهلالي ، هل فيهم رجل شيد ، مجلة الشهاب ،السنة الثالثة ، العدد 136، 23 فيفري 1928، ص 5.

[4] شرفي علي بن محمد الخنشلي ، ماذا تريدون يا اهل العمائم ، جريدة البصائر، السنة الثانية ، العدد 85 ، 05 نوفمبر 1937، ص 5.

[5] محمد السعيد الزاهري، في مجلس حجاج، جريدة الشريعة، السنة الأولى، العدد 5، 14 اوت 1933، ص 4.

[6] حمزة بوكوشة، دسائس مفضوحة، جريدة البصائر، السنة الثانية، السلسلة الثانية ، العدد 30، 5 افريل 1948 ، ص2.

أ-ماهية البدعـــة :

كل فريق يرى في الآخر أنه مبتدع، والظاهر أن نقطة الخلاف ومحل النزاع بين الطرقية ورجال الاصلاح في مفهوم البدعة فهي:

– ما أُحدث وليس له أصل في الشرع وهي مسالة خلافية بين العلماء لغة وشرعا[1].

– إحداث أمر في الدين ليس منه لقوله صلى الله عليه وسلم "من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد"، وكان في خطبه يقول وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار فان قيل انها مكروهة فالمكروه مصروف الى الجائز مصروف الى العمل به، والنبي قال انها ضلالة قلنا ان الاحداث فيها هو الحرام واحتيال على الشارع فضلال على اتساعها حتى تصير من الدين وهي تكون في الأمور المستغربة غير المألوفة في الدين ولا تتلبس إلا على عوام الناس.[2].

من البدع ما هو **مستحسن** وما هو مستهجن حسب الشافعي فان البدع المضلة هو ما أُحدث وكان مخالفا لكتاب الله وسنة رسوله أو أثرا او إجماع، أما ما أُحدث وقد وافق هذا فهو محمود ومثال ذلك ما قاله عمر رضي الله عنه في مسالة قيام الله لما اجتمع الصحابة لقيام رمضان عكس ما كان عليه النبي فقال عمر نعمت البدعة.[3] وهذا الذي نراه وسطا في تقسيم البدعة وأكثره دلالة.

ب – الولايــة والكرامة:

-1- الولايــة:

يذكر الهجويري ان غلاة الصوفية يقولون أن نهاية الولاية هي بداية للنبوة[4]، في حين ابن عربي يميز بين **نبوة العامة** نبوة الإلهام والعرفان وهي الولاية، **ونبوة التشريع** وهي الرسالة وهاته

[1] حنبلي ابن رجب. ، جامع العلوم والحكم، ط1. 2008، دار ابن كثير ، بيروت،.ص158.

[2] غازي عبد القاهر بن محمد امام جامع سعيدة، جواب عن السؤال (قراءة البردة خلف الجنائز)، جريدة البلاغ،السنة 4 ، العدد 159، 4افريل 1930، ص2.

[3] مما يبعث على الدهش ، السنة السابعة ،البلاغ، العدد 278، 11 نوفمبر 1932، ص 2

[4] أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري، مرجع سابق،ص 474.

الأخيرة التي انقطعت بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم[1] ، وبالتالي أراد بن عربي أن يؤسس لقاعدة أن الأولياء ورثة الأنبياء في علمهم ويؤخذ علمهم بالكشف، ويذهب ابن عربي بالقول أنهم يأخذون مباشرة من جبريل، فهم بالتالي ليسوا بحاجة إلى تصحيح حديث أو إسناد [2].

-2-الكرامة:

يمكن تعريفها على أنها ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقرون بدعوى النبوة، فتعدت كل ما هو فيزيائي ومادي وأحيانا تتجاوز الكرامة النبوة، ومن هنا وقف ابن تيمية وابن الجوزي في زمنهم ضد هذا القول ولقد مثّلا حركة شبه إصلاحية لتنقية الفكر من هذه الأوهام، ومحمد عبده، رشيد رضا وعبد الحميد ابن باديس من المحدثين الذين مشوا على دربهم في هذا العصر[3].

هناك من يريد إعطاء الكرامة سندا تاريخيا ودينيا في محاولة لنسبتهم للمتصوفة الأوائل لتنتشر الكرامة مع استبداد الأنظمة وقساوة العيش ومحاولة الهروب من الواقع نحو الخيال، ومن العوامل الاجتماعية والموضوعية التي مهدت لظهور الكرامات حسب (علي زيغور):

*تشبع المجتمع بالأساطير والخوارق (الجان، المارد والغول)

*الإسرائيليات(اليهوديات) واعتمادها في تفسير القرآن.

*العرافة والكهانة والتنجيم، وادعاء الاتصال بالغيب وانتشارها بالمجتمعات[4]

*محاولة الإنسان القفز فوق الرغبة اللامقيدة.

*تأثر التصوف بعلم التأويل (الحلاج وابن عربي)

*انتشار القصص الأدبية (كليلة ودمنة،ألف ليلة وليلة) والروايات اليونانية التي تأثر بها الفلاسفة العرب والمسلمين كابن سينا والعطار والغزالي.

---

[1] محي الدين ابن عربي،الفتوحات المكية،ج3،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط1، 1999،ص102

[2] محمد عابد الجابري،مرجع سابق،ص ص362.363

[3] علي زيغور، المرجع السابق ،ص95

[4] علي زيغور، المرجع السابق ، ص ص 99-100

*الحركة السريانية المسيحية[1]

*الرغبة في الخلود والتجدد.

*قلة التدوين وانتشار النقل بالمشافهة بفتح الباب للإضافات والأعاجيب.

*تأثير مفسري الأحلام الذين في معظمهم متصوفة

*تشجيع الحكام لهكذا أمور.[2]

وقد صنف بعضهم أنواع الكرامات إلى عشرين صنفا وهذه بعض منها:

* إدّعاء إحياء الموتى وهو أعلاها

*كلام الموتى وقد وقع ذلك للجيلاني وبعض مشايخ السبكي

*انفلاق البحر وجفافه والمشي عليه

*ظهور المياه والتحكم فيها.

*انقلاب الأعيان كصب العسل والماء والزيت.

*انطواء الأرض *كلام الحيوان والجماد[3]*إبراء العليل *ترويض الحيوان

*طي الزمان ونشره وإجابة الدعاء*ذكر الغيب*الصبر على الجوع

*والضمأ*التصريف

*تكثير الطعام وكشف حرامه*إضرار من أراد بهم شر *التحول من حالة لأخرى[4].

ج-الاستغاثة: والاستغاثة وجه من اوجه الدعاء، وعليه وجب الإشارة اليه.

-**الدعاء:** النداء لطلب شيء من المدعو، ولا يدعا الا عاقل او ما نزل منزلته مجازا من الجمادات ولا يكون إلا من المخلوق لخالقه، وان كان من مخلوق لمخلوق فيصبح بذلك دعاء عادة او

[1] علي زيغور، المرجع السابق ، ص102

[2] علي زيغور، المرجع السابق ،ص105-107

[3] محمود مقديش، المرجع سابق ، ص ص236-237

[4] محمود مقديش، المرجع سابق ، ص ص 238-239

استغاثة كما جاء في قوله تعالى"فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه"، أي طلب العون والنصرة.[1]

وجاء كذلك في قوله تعالى "اذ تستغيثون ربكم"، فتوجهوا اليه بالدعاء وطلب التخليص من المكروه بالنصر على الأعداء وكان النبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم ولم يستغيثوه لعلمهم ان الاستغاثة فيما وراء الأسباب لا تكون الا لله.[2]

الاستغاثة:

لغة: هي طلب الغوث والنصر او المطر والغيث.

شرعا: وجه من اوجه من الدعاء ولا تجوز الا اذا ارتبطت بالله، ويظهر هذا في قوله تعالى عن النبي والصحابة في غزوة بدر "اذ تستغيثون ربكم"، فلو جازت بغير بالله لكان النبي أولى بها وهو بينهم.[3]

أي طلب الغوث والإعانة لدفع مشقة وهي احد اقسام الدعاء، فاذا كانت من المخلوق الى الخالق فهي عبادة وان كانت من مخلوق لمثله فهي عادة اذا كانت في مقدورة (أي المخلوق قادر على تلبيه طلب المستغيث) كقوله تعالى" فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه"، فقد طلب منه المعونة والنصرة فلبى طلبه، والطلب هنا لم يكن طلب تصرف في غيب او في امر مخصوص به رب العالمين، لان الجواب بعده مباشرة صريح " فوكزه موسى فقضى عليه" فالفعل هنا بشري ولا علاقة له بقوة غيبية الهية. [4]

ويدعو المخلوق خالقه لتيسير الأسباب ورد الاقدار السيئة فيقول تعالى" اذا تستغيثون ربكم"، وقد فعل الصحابة ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم ولم يستغيثوا به لان الأولى

---

[1] اثار ابن باديس، مج2،ج1 ، مصدر سابق، ص 33.

[2] اثار ابن باديس، مج2،ج1 ، مصدر سابق ، ص 34.

[3] مولود بن الصديق الحافظي، تحرير القول في ابطال التوسل والاستغاثة بالاولياء ، مجلة الشهاب ،ج 12، مج 7 ، ديسمبر 1931، ص 754.

[4] مولود بن الصديق الحافظي، الفتاوى والاحكام في مجلة نور الإسلام ، مجلة الشهاب ،ج6، مج 7 ، جوان 1931، ص 390.

بالاستغاثة فيما وراء الاسباب هو الله الخالق، وبذلك فالاستغاثة شطران استغاثة في ما هي في قدرة الخالق وهي عبادة كقوله تعالى" فدعا ربه اني مغلوب فانتصر" أي دعا نوح ربه اني ضعيف عن مقاومة مشركي قومي فانتصر لي بعقاب من عندك وهذا امر داخل في قدرة الله، واستغاثة فيما هي في قدرة البشر وهي عادة كقوله تعالى " فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه" وجاء تفسيرها سابقا.[1]

د-المواسم والاضرحة:

ومن المسائل التي اختلف فيها الطرقيون ورجال الاصلاح المواسم أو الموالد المتعلقة بالأضرحة والمزارات، وهي اجتماع في مكان مقدس شهريا او سنويا[2]، في مواضع قررت العادة زيارتها للتبرك بمن جلس فيها من الصلحاء، أو دفن عندها[3]، فتُقام الولائم والاحتفالات وتُنحر الذبائح عندها.[4]

وقد خصصنا فصلين كاملين لإبراز موقف الطرقيين ورجال الإصلاح منها.

استنتاج: من خلال ما سبق يبدو ان الطرقية والإصلاح تقاسما في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين نفس الهدف وهو اصلاح المجتمع، ولكن اختلفت الكيفيات والأسس المعتمدة، لتصطدم الكتلتين فيما بينها في مسائل خلافية عقدية وسلوكية، وأكثر هذه المسائل تقاطعا هي المواسم الدينية المرتبطة بالأضرحة والممارسات الحاصلة فيها.

[1] مولود بن الصديق الحافظي، الفتاوى والاحكام في مجلة نور الإسلام ، مصدر سابق،، ص 391.

[2] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، ص 23.

[3] مبارك الميلي،رسالة الشرك ومظاهره، المرجع السابق،338.

[4] نور الدين بولحية، المرجع السابق، ص 190.

الفصل الرابع:

جدلية المواسم عند الطرقيين والإستعمار

بين الدعم والتضييق

المبحث الاول: المواسم عند الطرقيين بين الدعم والتضييق

1- البدعة
2- الكرامة
3- ظاهرة التقديس
4- جمع النذور والزيارة
5- النذور والزيارة خط احمر
6- الاستشفاء
7- البناء على القبور وتقبيلها
8- التوسل والاستغاثة
9- رجال الطرقية ليسوا سواء

المبحث الثاني: مواسم الاضرحة في دائرة اهتمام الاستعمار

1-العلاقة بين الاستعمار والانتروبولوجيا والاستشراق

2- الاستشراق في مواجهة النهضة

3- اعتناء الاستشراق الفرنسي بظاهرة الاضرحة والصلحاء

4-المواسم في سياسة فرنسا الاستعمارية بين التدجين والتقنين

المبحث الاول: المواسم عند الطرقيين بين الدعم والاستنكار

وقد رأينا انطلاقا من الممارسات التي تحدث في المواسم والزردات وعند الاضرحة وداخلها من بدع واستحضار للكرامات وتقديس للاحياء والاموات والتوسل بهم، وجمع للنذور والزيارات، وصنع للتمائم ان نبين موقف الطرقيين منها ، وهي المواضيع الخلافية مع رجال الإصلاح.

1-البدعة: يستدل الطرقيون في تبرير افعالهم على حديث" انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى"[1] غير آبهين من كون افعالهم من الطاعات أو المباحات أو المخالفات، أوصلهم هدا الى ارتكاب المعاصي والمنهيات والمنكرات[2].

اغلب بدعهم مرتبطة بالسلوك او تحديد للعبادات والتي يرون انها من المصالح التي لا حرج فيها استنادا الى قول عمر رضي الله عنه عن سنة جمع صلاة التراويح خلف إمام واحد عندما قال عنها" نعمت البدعة"، متبعين في ذلك الشيخ العز بن عبد السلام الذي يعد من مراجع الصوفية بل وعلماء المقاصد[3]، وقد قسم عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء وتلميذه القرافي البدعة الى خمسة أبواب.

البدعة الواجبة: وهي ذات أصل في الشرع (كجمع عثمان رضي الله عنه القرآن في مصحف واحد وجمع عمر الناس الصحابة على التراويح في مسجد واحد) وبصورة أوضح كل ما احدث لحفظ الدين.

البدعة المندوبة: وهو ما ندبه الشرع كجمع الناس لصلاة التراويح في مسجد واحد وراء قارئ واحد.

---

[1] رواه البخاري ومسلم في صحيحهما

[2] عبد الرحمان بن عقون، مرجع سابق، ص 214.

[3] نور الدين بولحية، مرجع سابق، ص ص 54-55

البدعة المباحة: ما كانت موافقة لقواعد الاباحة كالاكل بالملاعق والتوسع في المسكن والملبس.

البدعة المكروهة: ما وافق قواعد الكراهة وأدلته من الشرع، كتخصيص أيام فاضلة كيوم الجمعة او ليلة النصف من شعبان بعبادات معينة.

البدعة المحرمة: ما وافقت قواعد النهي والتحريم كممارسة التصوف على غير ما كان عليه الزهاد على عهد الصالحين والتقاة.[1]

بل كان يعتقد مريدو بعض الطرق يرون صلاة الفاتح التي هي من البدع أفضل من تلاوة القرآن ويعتبرون شيوخهم معصومين من الزلل بل هم فوق ميزان النبوة.[2]

وبالرغم من ان البدعة عند الطرقيين ترتبط بالممارسات أكثر منها بالعقيدة، وفي المقابل الإصلاحيين نفوا ممارسات الطرقيين وشعائرهم وطقوسهم، إذًا فقد أحدثوا في دينهم المتوارث والمتواتر أبًا عن جد، ولكن الذي يجب على الإصلاحيين معرفته ان المساس بهذه الممارسات هو مساس بعقيدة العوام بالدرجة الأولى، لهذا نجد أن عامة الجزائريين وقفوا أمام رجال الاصلاح خوفا على دينهم المتوارث حسب اعتقادهم[3]، وحتى يهونوا من وقع البدعة ومنكرها فيذكرون ما يباح منها ويغطون عن الشركيات فيها قولية كانت أم فعلية من تمسح باحجار وغيرها.[4]

2-الكرامة: فمن باب إثبات الكرامات فإن كان الأنبياء يختصون بالمعجزات فان الكرامات هي من نصيب الأولياء وأجاز ذلك إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، كما ذكر الإمام أبو حامد كرامات الأولياء وكذا الإمام أبو عبد الله محمد ابن عبد الكريم الشهرستاني" أمّا كرامات

---

[1] نور الدين بولحية، مرجع سابق ، ص 6-7.

[2] سلاوي، دفع اشتباه ونقد الرد ، جريدة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 79، 13 جانفي 1927، ص 11.

[3] علي مراد،المرجع السابق، ص 283.

[4] من الناس قوم، جريدة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 60، 07 اكتوبر 1926، ص11.

الأولياء فجائزة عقلا وواردة سمعا ومن أعظم كرامات الله تيسير أسباب الخير وإجراؤه على أيديهم"[1].

ويذكر في هذا الصدد المهدي البوعبدلي "ومنهم ذو الكرامات الرائقة،والخوارق الفائقة كأبو محمد عبد الله بن منصور الحوتي بتلمسان نص على شرفه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي في كتابه **(إثمد الأبصار)**،يحكى أن سيدي عبد الله بن منصور لما قدم لعين الحوت اشتغل بالقراءة على سيدي أحمد بن الحسن التلمساني إلى أن نال جميع ما أراده من العلوم، ثم اشترى دارا وطلب من سيدي أبي عبد الله محمد بن سليمان الشريف الحسني أن يزوّجه بابنته فأبى، فتغيَّر حال الشيخ من ذلك،فتغيَّرت البنت من تغيُّره، وصارت سوداء فقال له بعد ذلك سيدي أبو عبد الله :اجعل ماء هنا في هذا البلد إن كنت ذا سر وأزوجك منها، فضرب الشيخُ بعصاه المحلَّ الذي سماه له،فانفجر أولا بالدَّم ,ثم ثانيا بالماء، فزوجه سيدي أبو عبد الله بابنته.[2]

فهذا سي محمد بن بلقاسم يروي لطلبته وممن عاصروه انه كان يذكر أسماء الضيوف الوافدين اليه قبل ان يصلوه[3] ، ويروي الولي سيدي عبد الرحمان الثعالبي عن سيدي أبي مدين أن جماعة قصدوه في مسألة يتحرون حديث النبي حول نصف جنة المسلم فاجابهم دون سؤاله[4]،ومما يروى ان سيدي امحمد بن عودة زار سيدي عبد الرحمان الثعالبي وهو يمتطي اسدا محاولا ان يبدي انه يتفوق عليه في الكرامات، فطلب منه الثعالبي ان يضع اسده في الاسطبل مع البقرة ففعل ذلك، فلما اصبح وأراد العودة الى دياره فوجد ان البقرة قد اكلت الاسد[5].

---

[1] ابي يعقوب يوسف بن يحي التادلي المعروف بابن الزيات ،مرجع سابق،ص54

[2] محمد بن يوسف الزياني،دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي،ط1 ، 2013 ، عالم المعرفة،الجزائر ،ص 81

[3] Edmond Doutté ,Notes sur l'Islam maghrébin-Les marabouts, ,op cit, p14.

[4] عبد الرحمان الثعالبي،العلوم الفاخرة في النظر في أمور الاخرة، ج1،مطبعة الحميد، الهند، 1317هـ، ص 117.

[5] Emile Dermengham,,op cit,p12.

وهذا الشيخ البرعي رحمه الله يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فيخرج النبي يده الشريفة فيقبلها الشيخ امام مرأى الحجاج، وكذا البوصيري الذي روي عنه أنه رأى في المنام رسول الله يدعوه للعدول عن زيارته خشية خروجه من القبر لاستقباله ، ويقول أحدهم ان النبي لم يفارقه قط وانه كان يناوله الوضوء (بفتح الواو)، نعم اصبح ولد ادم خير من النبي فكان سيده هو المزور والنبي هو الزائر وهو من يقدم الوضوء ، لقد كان الصحابة اشد تعلقا وصحبة للنبي ولم يتجرأ احد منهم ان افترى هذه الفرية عليه ولا حتى ابنته امنا فاطمة رضي الله عنها.[1]

وهنا يثبت الطرقيون الكرامة ويؤاخذون رجال الإصلاح على قولهم بعدم ثبوتها في حياة الصالح وبعد مماته ويستندون في ذلك على قصتي مريم والكهف فمريم ابنة عمران كان زكرياء يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، وأصحاب الكهف الذين مكثوا نياما في الكهف اكثر من ثلاثة قرون بلا مأكل، وكرامات الصحابة والتابعين، وسبب قلة الكرامات تعود لضعف الإيمان بها[2]، كانت تزرع فكرة تقديس المرابطين ووصل بالطرقيين الأمر الى حرق قمح الكولون الذين يرفضون اقراض ادوات الحصاد للطرقيين، وشيوخهم ثم تشيع فكرة ان الطرقيين بكرامتهم انتقموا من الكولون[3]

وانطلاقا من هذا ركز الطرقيون على الجانب العقيم في سير الاولياء والصالحين وهي الكرامات وأما أعمالهم الصالحة وتآليفهم وأخلاقهم التي تربي النشء وتصون المجتمعات فوضعوها جانبا.[4]

---

[1] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 8، 6 نوفمبر 1933، ص4.

[2] الحسن الطولقي، ارتكاب الكذب جريمة ، السنة الاولى،لسان الدين، العدد 26، 30 ذي الحجة 1355هـ، ص02.

[3] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر، دمشق، سوريا،ط2، 1984، ص 182.

[4] ناقد ، كتاب السعادة الابدية ، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 18 ، 8 ماي 1936، ص5.

3- ظاهرة التقديس:

بعدما كان الجزائريون يستلهمون روح العداء لفرنسا من مرابطيهم، وكانت المقاومة يخطط لها في الزوايا أصبحت اليوم اوكارا لاستغلال البسطاء تحت حجة البركة[1] ، وأصبحت الزاوية التي كان الصوفي يتعبد فيها مركزا لتبادل المسابح والتعويذات ومصرفا لافقار البسطاء[2]، وهنا يقول سعد الله" وقد أدى حب المال وجمعه وادعاء الولاية سببا في تنافس هؤلاء حتى تسرب ذلك الى اتباعهم فقامت الحروب بينهم والمشاحنات وترددت بينهم الشتائم والضرب، حتى وصل بالبعض أن اتخذوا قبورهم أوثانا تعبد"[3]، ويضيف "وقد اتخذ بعض المرابطين شعار زيارة القبور في جماعات وإظهار أحوال خاصة واتخاذ المشاهد والوعدات، ذلك لخلق مناسبات تذبح اثناءها الذبائح."[4]، بل وصل بالبعض بارتداء لباس أخضرا مدعين انهم قادمون من الجنة، وهذا اشبه بصكوك الغفران التي كان يمارسها الرهبان على عهد الكنيسة في اوروبا[5].

فانتشار الطرقية أدى الى تراجع الطاقة الفكرية للمسلمين بعدما بلغت مشارق الأرض مغاربها[6]، وهذا احد اعيان مدينة معسكر وقد حضر احدى حلق العلم لامام مسجد طرقي يتحدث في درسه عن التوحيد وقدرة الله تعالى وارادته، فقال بالكلمة الواحدة" سيدي ربي هذا حية كبيرة ظنيتو غير سيدي عبد القادر"،.[7] تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

---

[1] Octave Depont et Xavier Coppolani, Op.cit,p231

[2] Ibid,p279

[3] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص 486.

[4] نفسه، ص 489.

[5] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مرجع سابق، ، ص 181.

[6] Louis Rinn, Op.cit,p77

[7] أبو يعلى الزواوي ، في البدع الاعتقادية ، جريدة البصائر، السنة الرابعة ، العدد 142، 02 ديسمبر 1938 ، ص5.

4-البناء على القبور وتقبيلها:

استحدث الطرقيون مراتب جديدة في الدين من الاقطاب وغوث وديوان وتصرف الاولياء والاموات والتشييد عليهم كما فعل الاولون على الاهرام.[1]

وقد أجاز الكثير من المالكية البناء على قبور الصلحاء بشرط يكون مكان الدفن في ارضيهم المملوكة ولا يكون ذلك في أراضي الحبوس[2]، وقد اعتمد رجال الطرقية في الرد على رجال الإصلاح في مسألة تجصيص القبور على شيخين[3] هما العلامة الحافظ المغربي أبو الفيض الفيض احمد بن الصديق الغماري الحسني صاحب كتاب"احياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور"، والعلامة محمد علوي المالكي الحسني صاحب كتاب" مفاهيم يجب ان تصحح"[4]، فالبناء على القبور عندهم لا شبهة فيه، والدفن في البيوت كذلك اسقاطا على دفن دفن ابى بكر وعمر رضي الله عنهما بجوار النبي صلى الله عليه وسلم ومكروه التباهي فيه، وحرام اذا بني على ارض وقف، أما البناء على الصالحين فجائز لحرمتهم ومكانتهم وقصد الانتفاع بزيارتهم والتبرك بهم، وجواز البناء على الصلحاء اسقاطا على جواز الوقف لاضرحتهم[5].

---

[1] أبو يعلى الزواوي، نحن الإصلاحيون وخصماؤنا، جريدة البصائر، السنة الأولى، العدد 4، 24 جانفي 1936، ص 4

[2] رريب الله الله الحاج احمد،مرجع سابق، ص 161.

[3] بالرغم من ان الشيخين يعتبران م المتأخرين الا اننا الصحف الطرقية خاصة لسان الدين والبلاغ، تعتمد عليهما في الرد، كما انه بحكم الفترة المدروسة في البحث تحتم علينا الاستدلال من صحف الطرقيين.

[4]نور الدين بولحية، مرجع سابق، ص 193.

[5] احمد عبد الله بن الصديق الغماري، احياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور،ط1، 2008، مكتبة القاهرة، من ص5الى ص 8.

ويتبع الحكم في بناء الاضرحة على الصلحاء تعليق الستور وإيقاد المصابيح واشعال الشموع والبخور اسقاطا على فعل ذلك في الكعبة لحرمتها وعظمتها.[1]

وينفي الطرقيون علة الوهابيين، فالبناء الذي يقره الطرقيون لا زينة فيه وانما الغرض من ذلك الحفظ والصون من الاندثار، وحجة عبادة المضروح بعيدة كل البعد عن نفوس المؤمنين لرسوخ الايمان في قلوبهم.[2]

ويعلق احد أعمدة جريدة البلاغ على كتاب صدر بالمغرب الأقصى وهو كتاب (ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكسار) وهو كتاب يحرم البناء على القبور قائلا "لعل الكاتب لم يقصد قبور الأنبياء والصحابة والأولياء، ولولا خوفي من ضعيف يقف على ظاهر الكلام لأعرته عينا عمياء وأذنا صماء"، وهو يقصد انه نبه القارئ خوفا على الأخذ بظاهر الكلام وجمع مؤلف الكتاب كل البشر بغض النظر عن مكانتهم على حد سواء على المنع من البناء على قبورهم دون استثناء.

ويجيز عبد الواحد بن عبد الله وهو احد علماء المغرب الاقصى الذين لهم صفحة في صحيفة البلاغ تقبيل القبر والمنبر والأماكن الشريفة قصد التبرك بشرط حضور القصد والنية مستشهدا في ذلك بفعل مجموعة من الصحابة والتابعين والصالحين فيقول"قال الحافظ زين الدين العراقي واما تقبيل الأماكن الشريفة على قصد التبرك وايدي الصالحين وارجلهم فهو حسن محمود" ويضيف" سئل الامام احمد بن حنبل عن تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتقبيل منبره فقال لا باس بذلك...وقال الحافظ بن حجر في كتابه فتح الباري استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر جواز تقبيل كل ما يستحق التعظيم من ادمي وغيره...ونقل عن

[1] نفسه، ص 10.

[2] احمد عبد الله بن الصديق الغماري ، مصدر سابق، ص 16.

ابن ابي صيف اليمني وهو من علماء مكة من الشافعية، جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين،...وهو نفس مانقله ابن زكري في شرح همزيته".[1]

5-التوسل والاستغاثة:

جاء في سلوة الانفاس للكتاني أن من أعظم نعم الله تعالى وجودا الأولياء ومشاهدهم وأضرحتهم بأرضنا لما لهم من فضل في السقيا والقطر والخير والرزق والبركة، باعتبارهم أصفياء الله واحباؤه[2]، واختلف في أي الأولياء افضل الأحياء أم الأموات فقال الشيخ زروق أن الميت في بساط الحق وهو افضل[3].

وكان بشر الحافي يقول" حسبك بقوم موتى تحيى القلوب بذكرهم، وبقوم أحياء تعمى الأبصار بالنظر اليهم"[4]، ويقول الإفراني:" في مناقب الصالحين فوائد كثيرة، وفي جمع كراماتهم أمورا أثيرة، وقد قال العارفين اذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة"[5]، ويذكر الإفراني أن أبو العباس احمد بن عقبة الحضرمي أنه قال" ان بعض الصالحين رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له : يارسول الله ما ادركناك حتى نسألك عن افضل الاعمال؟ فقال له عليه الصلاة والسلام: افضل الاعمال وقوفك بين يدي ولي من أولياء الله قدر حلب شاة أو ساعة، قلت يا رسول الله : حيا كان او ميتا؟ قال حيا او ميتا".[6]

---

[1] عبد الواحد بن عبد الله، الأنبياء احياء في قبورهم يصلون، السنة الأولى،البلاغ، العدد 27، 8 جويلية 1927، ص1.

[2] ابي عبد الله محمد الكتاني، سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن اقبر من من العلماء والصلحاء بفاس، ج1، تحقيق عبد الله الكامل وحمزة بن محمد الطيب ومحمد حمزة بن علي الكتانيين، ط1، 2004، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى،ص ص23-24.

[3] نفسه، ص 29.

[4] نفسه، ص 14.

[5] محمد بن الحاج الافراني، صفوة من انتشر من اخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط1، 2004، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، ص39.

[6] محمد بن الحاج الافراني ، المصدر السابق، ص 40.

يقول احمد بن المبارك السلجلماسي" ذهبت مرة لزيارة سيدي عبد العزيز الدباغ وكنت راكبا بغلة فلما وصلت موضعا صعبا نزلت على الدابة وتركتها تمشي، فلما جاوزت المحل واردت ان اركب فرت فجعلت اصيح يا سيدي مولاي عبد العزيز فأتاح الله لي أناسا فقبضوها فلما وصلته جعل يضحك ويقول ما يفعل عبد العزيز؟ انت بموضع كذا وهو بموضع كذا نعم ولو كنت معك لاعنتك فقلت يا سيدي كل ذلك عليك سواء".[1]، وروي عنه كذلك ان الدعاء للاموات لا يكون الا بواسطة ولي ميت فإن ذلك اقرب للإجابة.[2]

ذكر مؤلف كتاب رماح حزب الرحيم كيفية التوسل بالتجاني بان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الفاتح مائة مرة، وامنح ثوابها للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم قل يارب توسلت اليك بجاه القطب الكامل سيدي احمد بن محمد التجاني وتسمي حاجتك.[3]

وقد دعا رجال الطرقية عبر صحفهم رجال الجمعية للمناظرة غير مرة في مواضيع ومسائل خلافية بينهم ومن جملة ذلك مسالة التوسل الى الله بأنبيائه والصالحين من اوليائه احياء واموات[4]، فهم يرون ان التوسل والتبرك بالاولياء والصلحاء امواتا واحياء هو عين مذهب اهل اهل السنة والجماعة وكل من خالفهم فهو من طوائف الوهابية والمعتزلة[5].

ويستشهد الطرقيون بجواز التوسل والإستغاثة بالأموات بحديث النبي صلى الله عليه وسلم جاء في الجامع"حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا انا مت كانت وفاتي خير لكم تعرض علي اعمالكم فاذا رأيت خيرا حمدت الله واذا رايت شرا استغفرت لكم" رواه ابن سعد في طبقاته عن بكر بن عبد الله المزني، ويشرحه الشيخ العزيزي أن النبي بعد وفاته تعرض عليه

[1] سيد احمد بن المبارك السجلماسي المالكي ، المصدر السابق ، ص 32.

[2] نفسه ، المصدر السابق، ص 279.

[3] عبد الرحمان عبد الخالق، المرجع السابق، ص 361 .

[4] ابن بشير الرابحي، تعالوا الى المناظرة، السنة الاولى،لسان الدين، العدد 37، 13 سبتمبر 1937، ص1.

[5] بوديلمي،حول زيارة الاولياء، السنة السادسة ،البلاغ، العدد 255، 20 ماي 1932، ص 2.

أعمال المؤمنين فيستغفر للمذنبين ويقيس صاحب النظم المسمى بدب الاماني على الصالحين الأموات وهو من أئمة الحنفية المتقدمين واحد اتباع ابي المنصور الماتريدي فيقول:

ومرجو شفاعة اهل الخير * لاصحاب الكبائر كالجبال**

وللدعوات تاثير بليغ* وقد ينفيه اهل الضلال [1]**

وينفي أحد الكتاب على جريدة البلاغ كلام ابن باديس من نفيه لشفاعة النبي وتصنيفها من الكبائر بل أكبر من الزنا وحكم ابن باديس في شفاعة النبي هو نفسه حكم محمد ابن عبد الوهاب هذا الأخير الذي يرى أن زيارة قبر النبي والاولياء والصالحين والتوسل بهم شرك وأنه من اسند شيئا لغير الله كالتشفي بسيدي فلان يأخذ نفس الحكم الا وهو الشرك ونشر ابن عبد الوهاب هذا الحكم وتبنته عامة الناس.[2]

وفي ردهم على رجال الإصلاح حول قولهم من دعا غير الله فقد عبده، جاءت حجة الطرقيين أن أمر المولى عز وجل الملائكة للسجود لادم" وإذ قال ربك للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الكافرين" البقرة، والمعلوم أن السجود لا يكون الا لله فكيف يكون لآدم فهنا اللام ليست للتذلل والخضوع وانما القصد منها جهة ادم أي اتخاذ ادم كقبلة ثم سجود اخوة يوسف له ليست سجود تعبد وانما هي تحية لأخيهم وهذا ما جاء في تفسير ابن كثير في قوله "وخروا له سجدا" أي ان تحية آل يعقوب آنذاك لكبرائهم كانت سجودا، وبالتالي فصور العبادة اذا لم تقترن بالقصد والنية والخضوع فليست عبادة، اذا ضرورة استحضار واثبات صفة الربوبية والالوهية في المعبود هناك يمكن الحكم بالعبادة، وهنا الظاهر الحجة البالغة ومقنعة ثم قوله ان فالاستغاثة بالانبياء والاولياء هي استغاثة واسطة القصد منها هو التوسط ولا يجب ان نجزم ان المستغاث به مستقل في فعله وتحقيق

[1] أبو القاسم عبد الله الصوري، الى المحجة البيضاء، السنة الثانية،البلاغ، العدد 91، 26 اكتوبر 1928، ص3.

[2] نسه، ص3.

مراد المستغيث من فعله بل هو مرتبط بإرادة الله عز وجل ولا فرق في ذلك بين حي وميت، كما ان التبرك باثارهم ولوازمهم امر محمود، وجاء في قضية الاستغاثة قول صاحب الهمزية:

فاغثنا يا من هو الغوث والغيث اذا اجهد الورى ...

ثم يردف مستندا الى قوله تعالى"فاستغاثه الذي هو من شيعته على الذي هو من عدوه" وقوله" وارزقوهم فيها واكسوهم"، والظاهر هنا ان صاحب المقال يربط الاستغاثة بالله فقط بلا واسطة، في حين استغيث بموسى في زمنه ولكن الاستغاثة هنا جاءت بمعنى المعونة والنصرة لا غير ولا علاقة لها بالمعنى المتجاذب فيه كما أن الجواب قد تلاه مباشرة في قوله تعالى "فوكزه موسى فقضى عليه" أي الاستغاثة كانت طلب قوة بشرية لا غيبية ، واما قوله وارزقوهم واكسوهم فحقيقة الرزق من فعل الله ومن صفاته الرزاق، ولكنها بغير المعنى المقصود فهنا جاءت بمعنى الانفاق والكفاف.

وعليه فإن الاستغاثة جائزة اذا صلح الاعتقاد في الله ان الامر بيده، وأما الأنبياء والاولياء أحياء وأمواتا لا يختلف الامر مادام الاعتقاد سليم ومنسوب الى الله عز وجل، كما ان السنة جاءت ان الأموات يسمعون يفرحون ويحزنون ونسلم عليهم في القبور اذا مررنا بهم ، كما أننا نخاطب النبي يوميا في قولنا السلام عليك أيها النبي في التشهد، ويستشهد المناظر هنا بعلماء رجال الجمعية ممن يعتمدون عليهم والذين اجازوا التوسل والاستغاثة كابن تيمية والشوكاني وابن القيم ممن ألّفوا في ذلك كتبا.[1]

بل وذهب الطرقيون الى القول بضرورة عدم الخوض في مسالة التوسل بالاحياء والاموات ومنهم الأنبياء لأنها من النوازل (النوازل هي الأمور الفقهية الحادثة على الأمة ولم يسبق فيها ضابط فقهي تضطر العلماء الى الفصل فيها)، كما انها موصلة لانكار الشفاعة يوم

[1] دح بالخضر ،يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ، السنة السابعة ،البلاغ، العدد 284، 23 ديسمبر 1932، ص1.

القيامة، ولو كان حقا التوسل بدعة وأمر مستجد في الدين فكيف نفسر توسل واستسقاء عمر ابن الخطاب بالعباس رضي الله عنهما امام الملأ أولم يخف ان يتناقل الصحابة فعله ذاك ، ولكن رجال الجمعية ينكرون هذا وهذا امر غريب، لربما يرون ان التوسل بالاحياء جائز، اما التوسل بالاموات فاستدل الطرقيون بقول الشافعي" قبر موسى الكاظم ترياق مجرب "، وهذا قول كاف لهم إن أرادوا حجة في ذلك ولكنهم لا يفقهون ويقصد رجال الاصلاح.[1]

ولكن ان كان التوسل بالعباس الذي هو على قيد الحياة حجة لمشروعية التوسل واسقاطه على الاموات فلما لم يتوسل عمر بالنبي او قبره باعتباره أعلى شأنا من العباس وهذا أمر كاف وحجة دامغة بعدم مشروعية التوسل بالاموات[2]، ويضيف احدهم ان بلال بن رباح جاء الى قبر النبي طالبا منه الاستسقاء لأمته لما أصابها من قحط وهنا دليل على جواز الاستغاثة والتوسل بقبر النبي ومنه بالأموات[3]، وكما ان قبور الأنبياء محل لقبول الإجابة كذلك الامر بالنسبة لقبور ومزارات الاولياء والصالحين.[4]

وفي دفاع احدهم عن الولي سيدي امحمد بن عودة بعد أن جرّح فيه وفي قومه أحد علماء الجمعية، فيقول أن الولي كانت تأتيه السباع، فالصالح من اهل فليتة سخر حياته لخدمة الدين والناس والوطن والذود عنها من الاسبان، جاء هذا الرجل ليطعن فيه وفي خدامه فاتهمهم بالخلط بين خدمة الولي وعبادته، وتحريمه رفع القباب على الأنبياء والصالحين صونا لهم من النبش، بل وبالرغم من تجويز اهل السنة للتوسل والاستغاثة بالاحياء والاموات الا ان اهل الجمعية طعنوا في ذلك.[5]

6-الاستشفاء :

[1] محمد العربي بن بلقاسم التواتي،الدين النصيحة، السنة السادسة ،البلاغ، العدد 244، 22 جانفي 1932، ص2.

[2] الحافظي الازهري،كرامة الاولياء حق والزيارة حق، السنة السادسة ،البلاغ، العدد 250، 11 مارس 1932، ص2.

[3] محمد الرابحي، كتاب مفتوح الى الشيخ ابي يعلى ، السنة السابعة ،البلاغ، العدد 271، 23 سبتمبر 1932، ص 3.

[4] علي موسى العقبي،الحق احق ان يتبع، السنة السادسة ،البلاغ، العدد 245، 29 جانفي 1932، ص 1 – 2.

[5] الحاج محمد العربي التواتي،حملة احد المؤرخين العصريين على الاولياء ، السنة السابعة ،البلاغ، العدد 277، 4 نوفمبر 1932، ص 2.

دفع الطرقيون السكان عند المرابطين قصد التداوي في الأضرحة بالتمائم والخزعبلات خاصة عند انتشار الأوبئة والامراض كالزهري المستعصية كالزهري والتي أتت على عدد كبير من الأطفال وكبار السن، ففي سنة 1893 ضرب وباء الكوليرا الاسيوية حيث رفض السكان العلاج في سيارات الإسعاف في قالمة ومنطقة القبائل، واعتبار ادويتهم نجس من الكافر الفرنسي وإنها مسمومة، الغرض منها القضاء عليهم، وعند هلاكهم يرددون عبارة "مكتوب ربي"، أي انه قضاء وقدر حلّ بهم[1]، وقد ألّح سكان منطقة في القبائل على مرابطيهم ان يجدوا معجزة لصرف هذا الوباء عن أطفالهم فوجه يده الى مكة أي ان الله ابتلاكم نظير تقصير في حقه[2]، وبعد تدخل رئيس البلدية المختلطة لدى المرابط طلب من السكان قبول التداوي لدى "الرومي" حال الضرورة، وخضع المرضى للعلاج وبدأ الكثير بالتماثل للشفاء[3]، ولكن هل هذا الحرص على توفير العلاج من أجل انقاذ الأهالي، أم بغرض منع الوباء من الانتشار بين المعمرين؟

7-جمع النذور والزيارة:

تعتبر الزيارة اهم مصدر مالي للمرابطين بحيث لا يدفع الزائر اقل عن 5 فرنكات واذا سلمنا ان الزيارة تحدث مرتين في السنة فهي لا تقل عن 10 فرنكات، فبهذا تصل الى حوالي 3 مليون فرنك لكل مشرف على ضريح.[4]، هذا الرقم المالي بالإضافة الى مصادر أخرى كالضرائب والصدقات والعمل الخيري الممنوح للمرابطين ومع التعصب الديني لهم من السكان يجعل منهم دولة داخل دولة [5]، والرقم المالي المذكور خارج الأموال التي يمنحها الزوار من خارج الجزائر من المغرب والهند وتركيا وليبيا ومصر وتونس والسنغال السودان

[1] Octave Depont et Xavier Coppolani, Op.cit,p234

[2] Ibid,p237

[3] Ibid,p237

[4] Octave Depont et Xavier Coppolani, Op.cit,p243

[5] Ibid,p244

والتي كانت فرنسا تلقي القبض عليهم او تطاردهم خوفا من افتعالهم لحركات عدائية خاصة اتباع السونسية[1]، وبالرغم من هذا إلا ان أموالهم كانت تصل الى شيوخهم عن طريق التجار أو الوسطاء اليهود او الحجاج القادمون من الحجاز من مكة، بل وصل الامر الى بعث التبرعات عن طريق الخدمة البريدية، وهذا ما أكده احد شيوخ ان الأموال ستدخل لا محالة، فالشيوخ يمارسون سلطتهم الروحية العابرة للبحار[2]، حتى ان بعض الطرقيين كانوا يبيعون التمائم ومياه القريبة من الاضرحة، مدعين انهم ممثلو السلطة الفرنسية، وقد تعاملت معهم فرنسا باقصائهم من مهامهم، والمنع المطلق من جمع التبرعات[3].

وكان المقدم فيهم لا يختار على أساس علمه ولا صلاحه وتقواه وانما مما له من الرزق والجاه والمال، ديدنهم في ذلك القصاع وما حملت، وبذل الأموال والنذور والزيارات لهم، فبعض شيوخ الطرقية لا يلتقي مريديه يوم الجمعة تحت ذريعة سفره للحج لعلمه المسبق انها نهاية الأسبوع وجيبوهم تكون فارغة، واما يوم السبت فيخرج عليهم لانه يوم يتقاضى فيه المريدون اجورهم من ارباب عملهم الافرنج، وهو يردد زوروا تفوزوا ومن زارنا بفرنك كتب الله له عشرة فرنكات مستدلا بقوله " والحسنة بعشر امثاله" وقد فسرها على حد زعمه ان الحسنة هي الفرنك المبذول في سبيل ذلك الشيخ.[4]

وهنا يمكن القول ان الطقوس المتوارثة حول الاضرحة أصبحت عبارة عن منجم من الذهب الذي لا ينضب يستفيد الخدام وحاشية المضروح.[5]

8-النذور والزيّارة خط أحمر:

[1]Octave Depont et Xavier Coppolani, Op.cit,p254

[2] Octave Depont et Xavier Coppolani, Op.cit,p255

[3] H.Lavion, Op.cit,p216

[4] محمد السعيد الزاهري، اعترافات طرقي قديم ، جريدة الشريعة، السنة الأولى، العدد 7، 28 اوت 1933، ص4.

[5] Octave Depont et Xavier Coppolani, Op.cit,p231

لما قدر الله لعامة الناس ان تصلهم دعوة الإصلاح ثاروا ضد ممارسات الطرقيين لما اثقلوا كاهلهم بالنذور والضرائب التي هم في غنى عنها وما احوجهم للدينار والدرهم، فكيف للمتصوف الذي وجب عليه الزهد في الدنيا ان يتكفف الناس وهم احوج للصدقات، وعلى العكس منهم العلماء المصلحون يبينون للناس طريق الحق الى الله آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر[1]، هنا اتهم الطرقيون العامة بتغير النية وفسادها اتجاه الصالحين والاولياء بعدما منعوا عنهم الدينار والدرهم والزيارة واتهموا رجال الإصلاح بافساد الناس وتحريمهم للزيارة التي في الحقيقة لها مصدرها في الكتاب حسب زعمهم في قوله تعالى " يا أيها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول" ويأولون الرسول على انه هو الولي الصالح بهتانا وظلما والمناجاة في الأصل هي الحديث السري.[2]

وقف رجال الطرقية وردّوا على رجال الإصلاح في جرائدهم ورفضوا قطعا المساس وشتم الاولياء والصالحين، ورأوا في فعل ذلك ضرب من السفاهة والضلال[3]، بل وصل الأمر ببعض الطرقيين الى حد التعنيف ضد رجال الاصلاح ومن جملة ذلك الاعتداء على رئيسهم عبد الحميد بن باديس وكذا محمد السعيد الزاهري ممثل الجمعية في مدينة وهران الذي اعتدى عليه احد الشيوخ من وهران وابنائه حسب زعمه بحيث يقول الشيخ عقبي عن حادثة الزاهري " قبيح هو الاعتداء على الأشخاص وفظيع جدا ان يكون ذلك الاعتداء لا لسبب سوى محاربة المعتدى عليهم في معتقدهم وحرية تفكيرهم..ويشتد قبح هذا الاعتداء وتعظم فضاعته اذا كان المعتدون من رجال الدين وحملة زعامته..."."[4] ، ويتكرر الامر بمحاولة الاعتداء

[1] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 8، 6 نوفمبر 1933،ص7.

[2] علي بن محمد الشرفي الخنشلي ، ماذا تريدون يا اهل العمائم الصفر ، جريدة البصائر، السنة الثالثة ، العدد 91 ، 17 ديسمبر 1937، ص2.

[3] حسن بن محمد، الحق يعلو ولا يعلى عليه، جريدة البلاغ،السنة الأولى، العدد السابع، 4فيفري 1927، ص1.

[4] الطيب العقبي، نحن والطرقيون– حادث الاعتداء على الزاهري، جريدة الشريعة، السنة الأولى، العدد 6، 24 اوت 1933، ص 3.

على الشيخ مبارك الميلي من أبناء الحسين القشي لان الشيخ أورد كلاما ينافي فعل احد اجدادهم بل توعدوا بقتله،[1]وهو نفس ما حصل مع الشيخ الحاج الطيب بن دحو بسيق بعمالة وهران الذي اعتدى عليه احد الاشقياء (ابن علية الطاهر) بعيار ناري كاد يودي بحياة الشيخ لولا لطف الله عز وجل.[2]

ويصفهم مرة أخرى العقبي معبرا عن أسباب الاعتداء " فلم يرق لأولئك الرؤساء المسلكين وجودهم ولم تحل دعوتهم تلك لاسماعهم ذلك لانها تضر بمصالحهم الخاصة ولا تتفق بحال من الأحوال مع تعاليمهم واصطلاحاتهم التي اسسوا بها عرش عزهم ومجدهم وقادوا بها الفريق الكبير من الامة في حين غفلتها وجهلها حتى سخروا لقضاء اوطارهم ونيل مثاربهم فسرعان من انفضت الامة عنهم واقبلت ذلك الاقبال الهائل على المصلحين، فكبر امر هؤلاء المصلحين عند أولئك المبطلين من الطرقيين وهمهم بالخصوص ان يصبحوا محتقرين في نظر من كانوا لهم عابدين." [3]،والسبب في ذلك حقيقة انهم ضيقوا عليهم سبل العيش بالوعظ والدعوة فتراجعت مداخيلهم من الزيارات والنذور التي كان يمنحها لهم بعض الغافلين.[4]

9-رجال الطرقية ليسوا سواء:

كان الطرقيون يقدسون الاولياء حتى وصل الحدّ ببعضهم إلى وصف الصالح بأوصاف الربوبية، إلا أن بعض رجال الطرقية يوضح ذلك "إن الاولياء وبالرغم مالهم من كرامات

[1] عز الدين ، محاولة الاعتداء على مؤلف رسالة الشرك ومظاهره ، جريدة البصائر، السنة الثانية ، العدد 84 ، 29 أكتوبر 1937، ص3.

[2] فرحات بن دراجي ، اعتداء على مصلح ببلدة سيق بوهران، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 15، 17 افريل 1936، ص5.

[3] الطيب العقبي، نحن والطرقيون- حادث الاعتداء على الزاهري، جريدة الشريعة، السنة الأولى، العدد 6، 24 اوت 1933، ص 3.

[4] محمد السعيد الزاهري، احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ضد اعتداء النائب المالي غراب وافتراؤه، جريدة الشريعة، السنة الأولى، العدد 6، 24 اوت 1933، ص 2.

خصوا بها الا اننا لا يجب وضعهم في مصاف الربوبية ووصفهم باوصاف الربوبية بل اكثر من ذلك فقد يظنون ان الولي لا يرتكب مخالفة ولا يعجز عن شيء طلب منه ولا يلحقه عجز فبعد ان اعطوه صفات النبوة كالعصمة يصبغون عليه صفات الربوبية كعدم السهو والوهن نستغفر الله من ذلك، ولكن الحقيقة ان الولي امتاز عن غيره بالكرامة لا غير ولا يجب ان تزاحم الولاية النبوة"[1].

بل ويشير رجال الطرقية الى أنه لم يبق حاليا من يعبد غير الله، إلا ان عامة الناس اختلط عليهم الامر فاخلطوا بين نية العبادة وكيفيتها والإخلاص لله وخرجوا الى طقوس ظاهرها الشرك ونواياهم التقرب الى الله، ولكن هذا ليس دافعا لتكفيرهم تكفيرا بواحا، كما يجب الإقرار بان للاولياء كرامات كما للأنبياء معجزات وانهم ينفعون ويضرون باذن الله[2]، يثورون على بعض ممارسات الطرقية في الزوايا في تقصيرهم في مسألة الاختلاط بين الرجال والنساء وذاك ما جلب لهم النكير من العلماء وكانت توجه لهؤلاء رسائل لتدارك الخطر وإصلاح الزوايا.[3]

وهذا مسجد سيدي خليف بعنابة به ضريح الولي الصالح سيدي خليف تاوي تاتيه النسوة كل يوم وخاصة يوم الجمعة مكشوفات الراس محدثات للفوضى والضجيج فيشوشون على المصلين محدثات لبدع منكرة[4]، وهنا أفتى الطرقيون ان زيارة القبور مندوبة للرجال جائزة للقواعد من النساء محرمة على غيرهن ومصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم" ارجعن مزورات غير مأجورات" رواه بخاري ومسلم، ولكن استثنوا ن ذلك زيارة قبور الأنبياء والصالحين رجاء البركة الا على الشباب من النساء ويقصد الفتيات خوفا من الفتنة ويحمل

[1] محمد العربي بن صالح ،نبذة من أحوال الاولياء، السنة الثانية،البلاغ، العدد 82، 17 اوت 1928، ص4.

[2] الحاج محمد العربي التواتي،حملة احد المؤرخين العصريين على الاولياء ، السنة السابعة ،البلاغ، العدد 277، 4 نوفمبر 1932، ص 2.

[3] مفردات الأسبوع، اصلاح الزوايا، السنة الثالثة،البلاغ، العدد 101، 18 جانفي 1929، ص4.

[4] مكتب عنابة، يخربون بيوتهم بايديهم، السنة الثانية،البلاغ، العدد 98، 14 ديسمبر 1928، ص4

ذلك على حديث الامام الترمذي"لعن الله زوارات القبور"، وتزيد الحرمة بكثرة العدد والنواح[1]، ومن ذلك ما حدث عند قبر سيدي عبد الرحمان الاخضري الذي كانت موسمه كل سنة، والعلماء سكوت عن بدعه وسفوره الجمهم الدرهم والدينار والمنصب عن ذلك، حتى فاجأهم الشامبيط احمد أبو زيان الرافض لهذه المواسم والممارسات فردهن بالقوة الى بيوتهن وقد كتب رسالة الى الكاموندان بيرديرو حاكم ملحقات بسكرة العسكرية واعانه على ذلك الباشاغا بوعزيز بن قانة، واصدر الكوموندان أمرا بمنع هذه الأمور المسيئة لسماحة الدين الإسلامي.[2]

وكانت مواقف الطرقية احيانا حازمة أمام ممارسات عامة الجزائريين وبعض المحسوبين على رجال الدين ممن ينتسبون للإدارة الفرنسية المتصدرين للمساجد ودور القضاء والافتاء ومن جملة ذلك تصدي الطرقيين لما يحدث في بني يعلى وممارساتهم امام اضرحة واشجار يكادون يعبدونها من دون الله ، وكذا مقام سيدي محمد السعيد الذي هو عبارة عن شجرة يابسة اغصانها ولا يحتطب منها احد لاعتقادهم بانها مرابطية تنفع وتضر، بل ومن الضرورة ان تطوف العروس بها كطواف المؤمن بالكعبة، وطلبة هذه المنطقة سكوت عن هذه الخرافات وامام ما يحدث من اختلاط للرجال بالنساء.[3]

ومنع أبو العباس احمد التجاني رحمه الله اصحابه من زيارة الاولياء سدا للذريعة مع اشهار العلة والسببية من ذلك للعامة وتعريفهم بها وأن أمر المنع تقتضيه الشريعة[4]، وهو قول الحنابلة الوهابيين والذي اخذ به التجاني لما كان في فاس و لمّا رأى فيه من خير لعامة الناس الذين بالغوا في زيارة الاولياء، وهناك من ربط منع الشيخ التجاني للزيارة خوفا على

[1] محمد الشريف الحضري، حكم الزيارة، السنة السادسة ،البلاغ، العدد 262، 08 جويلية 1932، ص 2.

[2] علي بن عمارة ، قطع بدعة شنيعة بقرى الزاب ، مجلة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 97، 20 ماي 1927، ص 10.

[3] بتقي احمد الشريف، اين الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله، جريدة البلاغ،السنة الرابعة، العدد 171، 4 جويلية 1930، ص2.

[4] أبو العباس احمد بن خالد الناصري، الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج8،دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب الأقصى،1997، ص 123.

مكانته امام منافسه الشيخ ابي عبد الله محمد العربي الدرقاوي الذي قال بالمنع كذلك وهذا مستبعد لان مريدي أي طريقة لا يتبعون شيخا آخر إلا بأمر من شيخهم وكذا ان الطريقة التجانية كانت هي طريقة البلاط المغربي آنذاك فهي محمية من السلطان ، كما ان مكانة الشيخ التجاني وصدقه أبعد من يفعل هذا خاصة بعد خروجه من بلده فقد تخلى عن الدنيا والجاه الى طاعة الله ورضاه.[1]

ومن صدق فعله كذلك، لما عرف التيجاني ان الملك آنذاك إنّما قربه اليه طمعا في طريقته واتباعه والاحتماء وراءه لمقاومة الطرق الأخرى نهى عن المشيخة وتخلى عنها نهائيا،بل لما بلغ مسمعه عن الحركة الوهابية وال سعود واحيائهم للسنة وتطهيرهم للحرمين الشريفين من براثن القباب والمشاهد العثمانية التي طالما ثار ضدهم التجاني غير مرة اخرها في مدينة معسكر اين لم يوفق، فنحن امام مغزى واحد للرجلين واقصد ابن عبد الوهاب والتجاني في محاربة الاتراك لعقيدتهم الفاسدة تسييرهم الغاشم وحاول ابنه بعده سيدي محمد ولكنه لقي حتفه ونكل به من الاتراك.[2]

ان موقف بعض صحفي جريدة البلاغ الطرقية موقفهم هو نفس موقف الإصلاحيين فيرون ان الجهل وتصرفات عامة الناس تخالف الشرع خاصة ما تعلق بالولائم وإهراق الدماء والذبح لغير الله وإطعام الطعام عند الاضرحة ومايرافقه من قبض اليدين وبسطهما عند الوقوف على الضريح والسجود أحيانا، بل الادهى والأمّر ان المشايخ وتلامذتهم فيهم الجهلاء ومنهم من يقدس شيخه وينزهه عن الخطأ تعصبا له[3]، فهم يحذرون أيّما تحذير من الشرك وصوره ويدعون الى التوحيد المحض وكل من ظنّ أن زيدا ينفع او يضر او يشفي فاعتقاده فاسد لا

[1] محمد السعيد الزاهري ، هل كان الشيخ التجاني "وهابيا" ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 7، 30 اكتوبر 1933، ص 4.

[2] محمد السعيد الزاهري ، هل كان الشيخ التجاني "وهابيا" ، مرجع سابق، ص 5.

[3] عبد القادر بن عيسى، السنة الأولى،البلاغ، العدد السابع، 4فيفري 1927، ص2.

ريب، فالبعض كان يأتي الى الزاوية العلوية بمريضه طلبا للدعاء قصد الاستشفاء، فلمّا لا يشفى ذلك يظن ان مريضه لم يُعتَن به، فقال الأستاذ العلوي في هذا السياق عند مرضه "لو كان الشفاء بيدي لشفيت نفسي".[1]

اذن بعض الطرقيين كانوا على علم بكراهة او حرمة التبرك بالاضرحة، عندما اتهم احد مشايخ العلويين بحضوره زردة سيدي عبد الله وقرأ جزأين من القرآن داخل الضريح بحضور نسوة وانه لم ينكر ذلك على الحضور وممارساتهم، فكان رد الطرقيين ان الشيخ كان قد لبى دعوة هناك بجانب ذلك الضريح وأصرّ الحضور إصرارا على دخول الشيخ الضريح وكان قصده دعوة الناس وتنبيههم على حرمة الفعل وذلك الذي حصل ويفسر صاحب المقال اكثر ان الحقيقة ان النسوة كنّ بعيدات عن الضريح[2].

ومن ذلك مقال اذا قراته للوهلة الأولى تظنه صادر عن احدى صحف الجمعية وهو يضرب رواد القبور والاضرحة في الصميم عندما يأتي الكاتب بحديث لعنة اليهود والنصارى لاتخاذ قبور انبيائهم مساجد ، ثم يعقب قائلا"ونحن اتخذنا قبور صلحائنا مساجد فنحن إذًا أشر من اليهود والنصارى، فهم لا يحلفون بها ولا عندها ويحلفون بالله، وقد انفق هذه السنة على القبب في الزواوة ما يقرب من مليون فرنك".وهذا دليل قاطع على شيوع هذه الظاهرة في بلاد الجزائر، ولكنه دليل قاطع ان بعض العلماء الطرقيون كانوا يرفضون ويحرمون هذه الظاهرة.[3]

جاء بجريدة البلاغ في صفحة الأسئلة الفقهيه فيما يتعلق بتسوية القبور بالأرض وبسطها ما فحواه: هل القبور الجديدة أيضا تبسط؟، فكان الجواب ان القبر لا يبقى مرتفعا عن الارضا

[1] محمد المدني القصيبي،الأستاذ العلوي، السنة الثالثة،البلاغ، العدد 111، 22 مارس 1929، ص1.

[2] حاجي محمد بن حمو، عند جهينة الخبر اليقين، السنة الأولى،البلاغ، العدد 32، 12 اوت 1927، ص4.

[3] أبو يعلى الزواوي،السلف والخلف في الأمم، السنة الثانية،البلاغ، العدد 76، 6 جويلية 1928، ص1

الا اياما معدودة بعد الدفن ثم يسوى ويبسط كغيره ولا يبقى له أي امتياز على الأرض، [1] وهذا دليل قاطع ان الطرقيين لن لم يكونوا خلاف السنة تماما كما يزعم البعض.

لا ينبغي القول ان كل الطرقيين يقدسون الصلحاء الاولياء، ومن يعتقد ذلك لا ينبغي له ان يكون في الواجهة للدعوة والوعظ ، وان أنشأ صحفا ولم تسع لإصلاح حال الأمة، فهي من لهو الحديث، وبذلك عليه ان يكتف بلبس البرنوس[2].

استنتاج:

مما سبق ذكره وجب الجزم ان الطرقيين ليسوا سواء، ولا يجب وضعهم في كفة واحدة، فبالرغم من استفحال ظاهرة تقديس الاولياء والتبرك بكل ما له صلة بهم، بل وصل ببعضهم الى استغلال العوام ماديا، إلا ان التاريخ كتب صفحات ذهبية ودوّن افعالا تحسب لصالحهم حين وقوفهم موقفا معتدلا من هذه الممارسة واظهروا مواقف حازمة قصد اصلاح ما أفسده الدهر.

المبحث الأول: مواسم الاضرحة في دائرة اهتمام الاستعمار الفرنسي

1-العلاقة بين الاستعمار والانتروبولوجيا والاستشراق:

لخدمة المشروع الاستعماري اهتمت السلطات الاستعمارية بالنشاط العلمي الاستشراقي قصد توظيف الدراسات الاجتماعية الانتروبولوجية لتوطين الاحتلال وتدجين كل من له علاقة بالمقاومة. اذا نحن امام ثلاثة مفاهيم ترتبط فيما بينها الاستعمار، الانتروبولوجيا والاستشراق الذي يعنينا مباشرة في هذه الدراسة وعليه وجب ضبطها

أ-الاستعمار:

[1] مكتب غليزان،أسئلة محكمة واجوبة ثمينة، السنة الأولى،البلاغ، العدد33، 19 اوت 1927، ص4

[2] أبو يعلى الزواوي،السلف والخلف في الأمم، مرجع سابق، ص1

وهو الهيمنة والسيطرة على كل ماهو مادي وروحي انطلاقا من الحروب الصليبية[1] وهو اشكال والوان يحمل في طابعه التوسع الجغرافي والاقتصادي بغرض اقصاء العنصر السكاني الأصلي او إبادته.[2]

ب- الانتروبولوجيا:

اذ ولابد من الإشارة الى الانتروبولوجيا لما لهذا العلم من علاقة وطيدة مع الاستعمار ، فالسياسة ترسم مسار البحث الانتروبولوجي[3]، فيمكن تعريفه على انه مجموع الأبحاث والدراسات التي ظهرت خلال الحقبة الاستعمارية من طرف باحثين بصبغة عسكرية قصد تقديم معطيات ومعلومات دقيقة عن المستعمرات من حيث التركيبة العرقية والسكانية والجانب الثقافي والديني وربطهم بوسطهم وممارساتهم، وبذلك مست جميع المجالات[4]، ولقد نشأ هذا العلم في قمة الامبريالية الغربية واستهدفت شعوب العالم الثالث.[5]

ج-الاستشراق:

لو إنتقلنا الى العرب والمسلمين الذين تناولوا هذا المصطلح نجد أن إدوارد سعيد له عدة تعريفات للإستشراق منها أنه " أسلوب في التفكير مبني على تميز متعلق بوجود المعرفة بين الشرق (معظم الوقت) وبين الغرب " [6] .

يقول أحمد حسن الزيات " يراد بالإستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته ، وأساطيره ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم ، إذ بينما كان الشرق من أدناه

---

[1] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 18

[2] بيار بونت، ميشال ايزار، معجم الاثنولوجيا والانتروبولوجيا،تر مصباح الصمد،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع"مجد"، ص ص 63-66.

[3] صلاح الجابري، مرجع سابق، ص48.

[4] محمد مكحلي، الاولياء والصلحاء في الجزائر الظاهرة والجذور، مرجع سابق،ص46.

[5] صلاح الجابري، مرجع سابق ،ص24.

[6] Edward Sai , orientalism, vintage books,new york,1979,p2.

إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية و العلم ، كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقا في غياهب من الجهل الكثيف و البربرية الجموح "[1].

وجاء عند ابن نبي انه يجب أولا أن تحدد المصطلح : "أننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية" ، ثم علينا أن نصنف أسمائهم في شبه ما يسمى (طبقات) على صنفين :

– **من حيث الزمن** : طبقة القدماء مثل جرير دورياك والقديس توما الأكويني وطبقة المحدثين مثل كارادوفو وجولد سيهر.

– **من حيث الإتجاه العام نحو الإسلام و المسلمين في كتابتهم** : فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها، وهكذا وعلى الترتيب يجب أن تقوم كل دراسة شاملة لموضوع الإستشراق "[2] .

ويتجه يوسف أسعد داغر في مفهومه لهذا العلم إلى أن"الإستشراق على إطلاقه وشموله ، حركة علمية عنيت ولا تزال تعنى بدراسة المدنيات الشرقية : ما غبر منها وما حضر ، وما طمس ذكره منها وما إستقر، وبما خلفته تلك الحضارات من قوى روحية وآثار فكرية وأدبية وفنية ودينية، وبما يتصل بهذه الحضارات القديمة، وبما فيها من شعوب وأجناس ومذاهب ومدارس، وما إلى ذلك كله من أثر ظاهر ناطق شاهد على الحياة البشرية الحضرية وهو خليق بأن نحييه نشرا وطباعة "[3]

وبالتالي الإستشراق حركة يمكن القول عنها أنها كانت في مطلعها " حركة ذات صبغة علمية وأهداف دينية " بإعتبارها كانت دافعا بالنسبة لعدد من الأجانب – يعني إجمالا الأوربيين وغيرهم – لدراسة ما لدى الشرق من أدب وتراث وعلم ودين وتاريخ ولغة وآثار و

[1] أحمد سمايلوفتش ، فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،1998 ،ص23

[2] مالك بن نبي ، إنتاج المتشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، ط1 ، دار الإرشاد ، بيروت 1969 ، ص ص5 – 6 .

[3] يوسف أسعد داغر ، مصادر الدراسة الأدبية ، ج2، ط2 ، المطبعة المخلصية ، بيروت ، 1961 ، ص771 .

عادات ، وإهتم فريق منهم بالإسلام بوجه خاص أي بقرآنه ونبيه وسنته وفرقه ولغته وتاريخه[1].

وقد ذهب محمد البهي إلى أن" الإستشراق بدأ في بعض البلدان الأوربية في القرن الثالث عشر الميلادي "[2] ، على الرغم من اعترافه بإمكانية وجود محاولات فردية قبل ذلك ، ثم يؤكد أن المؤرخين يكادون يتفقون على أن هذا العلم قد انتشر بصورة جدية بعد الإصلاح الديني الذي قام به مارتن لوثر وغيره في أوروبا[3].

اذن المفاهيم الثلاث تشترك في دراسة الآخر l'autre للهيمنة استعماريا واكشاف خباياه انتروبولوجيا وتشويه صورته استشراقيا، وهي بذلك تصب كلها في وعاء السيطرة والاستعباد.[4]

2-الاستشراق في مواجهة النهضة:

فالاستشراق ينظر الى الشرق عموما بنظرة دونية ومن خلال كتاباته يحاول ان ينتج مجتمعا شرقيا بوعي غربي[5]، وهو ما صرح به لويس رين في مقدمة كتابة مرابطون وإخوان ان القوى الغربية بذلت قواها للتاثير على الشرق الإسلامي وجره الى تيار الحداثة، ولم يتحقق ذلك الا قليلا، ذلك القليل الذي به تم اختراق القوى الدينية في الإسلام التي عارضت هذه المحاولات،ومن اقطاب الدعوة الإسلامية المناهضة للاستعمار الامة الجزائرية والتي تشكل

[1] محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القرآن، ط1، منشورات دارالآفاق الجديدة ، بيروت، 1980، ص87 .

[2] محمد البهي ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي ، دار الفكر، بيروت ، د . ت ، ص532 .

[3] يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، منشورات محمد علي بيضون ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ، ص28 .

[4] بوحسون العربي، الاستشراق والانتروبولوجيا والاستعمار – دراسة تحليلية للعلاقة، مجلة الانسان والمجتمع،العدد 02، ج2، ديسمبر 2011، ص 46.

[5] صلاح الجابري، الاستشراق قراءة نقدية، ط1،دار الأوائل،دمشق، سوريا، 2009،ص22.

خطرا على الاستعمار الفرنسي الذي سخر كل اساليبه الظاهرة والسرية لكسر شوكة الدين بهذه القلعة[1]، وبذلك سعوا الى:

1-استحضار سياستين اولاها هي سياسة التنصير والطمس وثانيها هي اخراج الانسان من الإسلام الصحيح الى الإسلام المزيف، فبذلك يخلق انسانا ملوثا على حد تعبير ابن نبي يشكل خطرا على المجتمع ويصعب تصفيته[2] ، ويؤكد ذلك أحد الأساتذة الفرنسيين قائلا "ان الإسلام موجود في الجزائر ليس الا ظاهره فقط، وان عبادة الاولياء والصالحين انقضت زمن العصور الوسطى في حين لازالت في شمال افريقيا والجزائر خصوصا، وان الذي جاء به العقبي ليس اسلاما جديدا ولا الجمعية صنعته".[3]

2- قتل الروح المعنوية في الامة الجزائرية، هذه الروح التي تعتبر العامل الرئيسي لوقوف الامة على مشارف الحضارة وفي مواجهة كل عنصر دخيل، فاستهدفت فرنسا فينا العروبة وخاصة الإسلام[4]، بالرغم من التزاماتها ووعودها باحترام الشعائر الإسلامية[5] ، فقد ركزت على ضرورة تعديل النظام الجماعي للجزائريين قبل حدوث حركة الاستيعاب ونمو الوعي ويكون ذلك من خلال خلق اندماج بين العنصر الأهلي والاوروبي[6]، ولا يتم ذلك الا بالقضاء بالقضاء والاستيلاء على كل ما من شأنه خلق ترابط بين افراد المجتمع، وفتح فرصة لاطلاعهم على الثقافة الفرنسية خاصة وحسن استغلال دينهم ومرابطيهم[7]، ويظهر ذلك جليا

---

[1] Louis Rinn, Op.cit, Le Préface .

[2] مالك ابن نبي، بين الرشاد والتيه- مشكلات الحضارة، دار الفكر،ط2، 2002، دمشق، سوريا، ص52.

[3] فرحات عباس، مفسر جديد للقران-سيدي ميشال، مجلة الشهاب ،ج 6، مج 9 ، ماي 1933، ص 237.

[4] الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، ط 4، 2009، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص137.

[5] أبو يعلى الزواوي، احاديث جمعية العلماء وحوادثها ، جريدة البصائر، السنة الثالثة، العدد 98، 04 فيفري 1938، ص3

[6] H.Lavion, Op.cit,p191

[7] Ibid,p202

جليا من خلال مقتطف من تعليمات الحاكم العام المؤرخة في 25 يناير 1895 بشان المراقبة السياسية والإدارية للمسلمين الجزائريين والأجانب من ذلك الزوايا، الحج الى مكة، شخصيات دينية والزيارات الموسمية وخاصة المناطق الريفية البعيدة عن الرقابة الامنية [1]

3-عدم اعتماد الاستعمار الفرنسي المواجهة المباشرة في قمع أي حركة إصلاحية للنهوض بالمجتمع، فدائما ما اعتمد على مبدأين في المواجهة، الأول هو الغموض وتوطين فكرة القابلية للاستعمار في نفوس الجزائريين، فاذا دبت الفكرة في نفوسهم اعتزلوا وانصرفوا عن فكرة التحرر، والمبدأ الثاني هو القضاء على الفكرة الإصلاحية وعزل صاحبها من حيث تنفير صاحب الفكرة عن قضيته ومجتمعه او تنفير المجتمع من المصلح او افكاره [2]، ويضرب ابن نبي مثالا عن ذلك (اقصد تشويه الفكرة الإصلاحية) لما حدث لكتابه شروط النهضة ومشكلات الحضارة الصادر بالفرنسية حينما دفعت اليه جرائد الجمعية والشيوعية وبعض الاحزاب الى نقده وتقزيمه وتشويهه ، في حين امتنعت الصحافة الاستعمارية عن التلميح اليه حتى ففي ذلك اشهار له[3]، ومن ذلك مصادرة مكتبة الشيخ صالح بن مهنا، وتم نقل العلماء من مدرسة الى أخرى قصد ارهاقهم والنيل منهم،[4] وضيقت على البعض الاخر واساءت الى سمعتهم عبر صحفها الاستعمارية كما حدث مع الشيخ فضيل الوثيلاني[5]، وهنا وهنا الشاهد ان الاستعمار نقل الصراع بين مستعمر وثائر الى القوى المناضلة نفسها.[6]

4- استمالة زعماء الأحزاب والحركات النهضوية وبث العملاء داخلها، والتضييق على العمل الصحفي والجمعوي، ومنع العمل المسجدي والخطابة بدون رخصة في المساجد

---

[1] Ibid,p211

[2] مالك بن نبي، مشكلات الحضارة- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة،مرجع سابق،ص 38.

[3] مالك بن نبي، مشكلات الحضارة ، مرجع سابق،ص 39.

[4] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 22.

[5] مبارك بن محمد الميلي، الفضيل الورثيلاني في طريقه الى اسرته وما ينصب للمصلحين من عراقيل ، جريدة البصائر، السنة الثانية ، العدد 86 ، 13 نوفمبر 1937، ص01.

[6] مالك بن نبي، مشكلات الحضارة- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة،مرجع سابق،ص 40.

الرسمية وفق قرار ميشال Décrit Michel، واغلاق المدارس ومنع الرخص والإقدام حتى على الاغتيالات[1]، ومن امثلة ذلك منع العمل المسجدي بعمالة الجزائر سنة 1933، وسجن الشيخ الطيب العقبي سنة 1936 بسجن بربروس ، وفي نفس السنة أغلقت الكثير من المدارس الحرة بعمالتي قسنطينة ووهران[2]، والشيخ عبد القادر بن براهيم وهو من مدينة مسعد مؤسس النادي الإسلامي بالجلفة وشيخه الذين سجنا ومنعا من مزاولة أي عمل مسجدي.[3]

كما اقرت الإدارة الفرنسية بمنع رجال الجمعية من مجالس الوعظ والإرشاد في المساجد وأغلقت بعض المكاتب وامتنعت عم منح التراخيص كمدرسة سيق وقمار وسيدي بلعباس والقنطرة[4]،كما اتهمت الجمعية بنشر الوهابية المذهب المتشدد المبني على التكفير والتبديع وهو ما يخالف تشريعات الحكومة الفرنسية[5]، ولم يسلم رجال الجمعية من المتابعات،الامر الذي حصل مع عمر دردور في منطقة الاوراس بتهمة سب الحكومة في احدى الاجتماعات.[6]

واخطر ما فعلته هو استمالة مجموعة من العلماء والفاعلين واستخدامهم كناقلي اخبار وهو الحاصل مع الزاهري الذي بثّته داخل جمعية العلماء ثم حزب الشعب ثم جبهة التحرير الوطني التي اعدمته نظير فعله.[7]

---

[1] احمد حماني، صراع بين السنة والبدعة،ج1، دار البعث، ص 323.

[2] أبو يعلى الزواوي ، احاديث جمعية العلماء وحوادثها ، جريدة البصائر، السنة الثالثة ، العدد 98، 04 فيفري 1938 ، ص3.

[3] الشيخ عبد القادر بن براهيم في السجن، جريدة البصائر، السنة الرابعة ، العدد 161، 14 افريل 1939 ، ص 3.

[4] عبد الحميد ابن باديس، رد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على خطاب ابن غراب، جريدة الشريعة، السنة الأولى، العدد 7، 28 اوت 1933، ص 2.

[5] عبد الحميد ابن باديس، رد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على خطاب ابن غراب ، مصدر سابق، ص 4.

[6] فرحات بن الدراجي ، حول اعتقال الشيخ عمر دردور ، جريدة البصائر، السنة الثانية ، العدد 85 ، 05 نوفمبر 1937، ص6.

[7] نور الدين بولحية، المرجع السابق، ص 175.

5-حرص المدرسة الفرنسية السيكولوجية التي كان يرأسها ماسينيون على منع كل محاولة اهلي للوصول الى منصب راقي وهو حال ابن نبي وابن ساعي اللذان ابديا غير مرة امامه نبوغهما الفكري المتنور.[1]

3- اعتناء الاستشراق الفرنسي بظاهرة الاضرحة والصلحاء:

لقد حظي موضوع الطرق الصوفية وما ارتبط بها بكم هائل من الدراسات والغرض من ذلك معرفة المظاهر الاجتماعية والثقافية وما ارتبط بها من عادات وطقوس احتفالية، والالمام بظاهرة الولاية والصلحاء والتاصيل لها عقديا ودينيا.[2]

اما النواة الأولى لاهتمام الاستشراق الفرنسي بالجزائر فيظهر ذلك في كتابات ديفونتين، وبيسونيل، وفانتوردي بارادي، اما زعيمهم فهو ديساسي De sacy الذي كان يتقن عديد اللغات بل له دور كبير في خدمة حملة بونابرت على مصر وقد رافق الحملة الفرنسية على الجزائر، ثم تأسست المكاتب العربية 1834 التي كلفت بالتعرف على عادات ولهجات وثقافات وتراث الجزائريين ثم تحولوا الى جمع المخطوطات القديمة. [3]

ومن المهتمين بظاهرة الصلحاء والأضرحة ايميل ماسكري Emile Masqueray الذي درس التصوف على يد عبد الحليم بن سماية[4] ضف اليه إسكندر جولي الذي اهتم بالدراسات الإسلامية[5] والبير ديفوكس وشيربونو الذين كتبا عن الزوايا والمساجد والقباب[6]،بالإضافة الى الى لوتورنو وهانوتو بروسلار ودونوفو فيما ارتبط بالمرابطين والزوايا والحياة الدينية[7]، ولكن بعد 1880 جل الكتابات اعتنت بالإسلام الجزائري المرتبط بالدجل والسحر والخرافة

[1] مالك ابن نبي، مذكرات مالك بن نبي –العفن،ج1، تر نور الدين خندودي، دار الامة، ط1، 2007، ص 143.

[2] محمد مكحلي، الاولياء والصلحاء في الجزائر الظاهرة والجذور، المرجع السابق، ص 47.

[3] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص ص 09-11.

[4] نفسه ، ص 35.

[5] نفسه ، ص 40.

[6] نفسه، ص46-47

[7] نفسه ، ص 48.

والوعدات والزيارات والصلحاء، ومن هؤلاء لويس رين في كتابه "مرابطون واخوان" 1884، والفريد بيل في كتابه "الفرق الإسلامية في شمال افريقيا"،ديبون وكوبولاني " الطرق الدينية الإسلامية" 1897، ادموند دوتيه"الإسلام الجزائري" بداية القرن العشرين، واصدر الكسندر جولي عدة دراسات عن " الاولياء واساطير الإسلام" في المجلة الافريقية ومجلة العالم الاسلامي،نعم هذا هو حال الإسلام في الجزائر الذي مهد للتنصير والاندماج[1].

4-المواسم في سياسة فرنسا الاستعمارية بين التدجين والتقنين:

اطلق البعض على الطرقيين اسم الماسونيين المسلمين نظير الصلاحيات والامتيازات التي يتمتع بها الماسون في أوروبا، وكذا التنظيم غير المعلوم والمتشعب، والاشتراكات الاجبارية التي يدفعها منتسبوهم سنويا[2]،والتي يقابلها الهدايا والزيارات السنوية الاجبارية التي يدفعها الاخوان لطريقتهم اما عن طيب خاطر او بالقوة.[3]

أ- التدجين والاحتواء:

-إسلام على المقاس:

لقد صنعت فرنسا في الجزائر اسلاما على مقاسها لا وقف فيه، ورجال الدين فيه تابعين للادارة الفرنسية، الحج فيه برخصة منها، ويتهم اوغسطين بيرك المذهب المالكي انه جمد العقل الجزائري وان فرنسا نشرت الإسلام الجزائري الحقيقي القائم في فقهه على مختصر خليل، وان الدين المرابطي قد اقترب كثيرا للعامة في الأرياف واصبح المرابط هو المعبود المحسوس لديهم الجامع بين العقيدة والممارسة وبالتالي هو المتكفل بقضاء حوائجهم مقابل الزيارات والصدقات[4]، كما وحرصت فرنسا كل الحرص على نشر البدع والخرافات داعمة

[1] نفسه، ص ص 51-52

[2] L'abbé Rouquette,sociétés secrètes chez les musulmans ,J.Briguet éditeur, Rennes-Paris,1899,p63

[3] Ibid,p 125

[4] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، ص 323.

بذلك الدجالين والمشعوذين من بعض مشايخ الطرق الصوفية[1]، هذا ولقد لقيت الطرقية دعما كبيرا من الاستعمار لاشتراكهما في هدف واحد وهو اخضاع عامة الجزائيين وضرب كل محاولة لاصلاحه، فالطريقة تعمل باسم الدين وشيخها يعمل لمصلحة النظام الاستعماري.[2]

- الاغراء بالمناصب العليا:

سعى الاستعمار الفرنسي لتفريغ المقاومة من روحها ورجالها الطرقيين الذين وقفوا ندا له، فراح يتقرب اليهم بكل الطرق والأساليب[3]،فسيطروا على تسعة اعشار المقاعد المجالس المحلية ومعظم المناصب القيادية والوظائف الإدارية الممثلة للاهالي[4]، الامر الذي نصح به ادموند دوتيه الإدارة الفرنسية بضرورة تقريب المرابطين اليهم كما فعل الاتراك قبلهم والتقرب اليهم بالهدايا والاعفاءات الضريبية وبذلك نفصلهم عن المقاومة[5]، فتم اقتراح إعادة العمل بلقب شيخ الإسلام تكميما للافواه وتقريبا لرجال الطرق اليهم كما كان عليه الحال قبيل الاحتلال، واقترح لذلك احد شيوخ التجانية لما لها من علاقة وطيدة مع إدارة الاحتلال وكذا اعتبارها طريقة جزائرية خالصة ولا علاقات لها مع الخارج، وان يعطى هذا الشيخ صلاحيات دينية وسياسية تقطع الطريق على الطرق الاخرى.[6]وانطلاقا من ذلك منحت وظائف قيادية للطرقيين كالقايد والاغا[7]، للإشارة فرنسا لم تعامل كل الطرق الصوفية على حد سواء فمن على حسب تناغمه وقبوله بشروطها فمن رضيت عنه اغدقت عليه والا حرمته[8].

---

[1] الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، ط 4، 2009، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص137.

[2] مصطفى القاسمي ، الاستعمار والطرقية ، جريدة البصائر، السنة الرابعة ، العدد 169، 9 جوان 1936 ، ص2.

[3] مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية 1921-1931، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، اشراف محمد عبد الرحمان برج، 1985، ص 130.

[4] مازن صلاح حامد مطبقاني ، مرجع سابق، ص 133.

[5] Edmond Doutté,islam Algerien en l'an 1900,Giralt imprimeur,17 rue du colone ,alger-Mustapha,1900,p51.

[6] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، ص 308-309.

[7] نفسه، ص 310.

[8] نفسه، ص 20.

-تشجيع الزواج المختلط:

كانت الإدارة الفرنسية تشجيع على الزواج المختلط بين الجزائريين والفرنسيات فهذه احدى الفرنسيات التي كانت عاملة بفندق بمدينة بورو الفرنسية قد اعجب بها احد شيوخ الطرق في الجزائر فاصطحبها معه الى الجزائر قصد الزواج منها[1] وهي اوريلي بيكار التي تزوجها احمد التجاني[2] ولكن لما وصل اصطدم برفض الوالي العام للجزائر، لكن سرعان ما تدخل الكاردينال لافيجري مؤسس ارساليات الإباء البيض الذي راى انه من الأهمية بمكان ان يتم هذا الزواج، قصد اختراق الطرق الصوفية في الصحراء وترويضها وتمسيخها لصالح الإدارة الفرنسية، وبالفعل تم ذلك الزواج في الكنيسة الكبرى سنة 1870، وبعد ستين سنة من الزواج لازالت على كاثولكيتها، وقد خدمت الاستعمار أيّما خدمة فقد أوصت مقاديم تلك الطريقة بضرورة خدمة المضللين الذين سموا مبشرين بلما وزورا، وبخيانتهم هذه تم بناء الكثير من الكنائس في الصحراء وبأموال هؤلاء المقاديم والشيوخ وهي نفسها في كتابها اميرة الرمال قد اقرت بهذا وانها كانت أداة لخدمة اخوتها من النصرانيين، وواصلت عملها بعد وفاة زوجها وارتباطها بأخ الشيخ بعد ان ورث مشيخة الطريقة فزادت هيمنتها على المشيخة وسيطرت على بريد الزاوية واصبحت تتحكم في مداخيلها ومخارجها[3]، واتخذت لنفسها قصرا كان همها هو فرنسة كل ما تعلق بالزاوية والطريقة ولكنها فشلت، ولما هلكت المراة دفنت بجانب زوجها وأصبحت مزارا لاتباع تلك الطريقة يظنون فيها البركة[4]، وحدث نفس الامر مع مع حمزة أبو بكر وهو احد اقطاب أولاد سيدي الشيخ مع الانسة فيري feret .[5]

-المشاركة في المواسم:

[1] محمد السعيد الزاهري، الى زيارة سيدي عابد، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 6، 23 اكتوبر 1933، ص 6.

[2] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، ص 310.

[3] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، مصدر سابق، ص 6.

[4] نفسه، ص 7.

[5] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، ص 311.

كانت الإدارة الفرنسية تتساهل مع الزيارات فتبيع الحضور البارود والدخان ولا تحفظ الامن فيهلك الكثير جراء الزحام او جراء بعض الممارسات كما حدث في زردة سيدي علي بن ازويت بمدينة القل بسكيكدة حيث هلك الكثير جراء طقس السباحة في البحر او جراء الاختناق داخل ضريح الولي.[1]، ووصل الامر التعنيف وتغريم كل من يفتي بحرمة المواسم وبطلانها كما حصل في منطقة سبدو بتلمسان بدوار سيدي خالد، حيث سلطت على كل السكان غرامة 54000 فرنك وسجن من سجن وضرب البعض منهم ضربا مبرحا.[2]

بل وكان كبار المستعمرين يحضرون هذه المواسم والحفلات وينصحون العوام وأسيادهم بالتمسك بها، وإدامتها والحرص عليها[3]، فهذه زردة سيدي عمار التي تقام بمدينة قسنطينة يشرف عليها الامام ابن القرشي متوجها الى الزاوية العمارية او بالأحرى ضريح هذه الزاوية، وكانت هذه الزيارة قد انطلقت مشيا على الاقدام من سطيف مرورا بمقبرة "رحبة الزرع" بمدينة قالمة ثم قصدوا محلات المدينة طلبا للزيارة يتقدمهم إمام المدينة وهو من مناصري هذه الممارسات، وخطب الامام في الناس ان اتحدوا ضد من يمنع هذه الزيارة وما تعلق بها من استغاثة وتوسل، فصاح الناس"الشيء بالله يا سيدي عمار، ونفعنا الله بما يعلم"،اندفع الوفد الى عين كان يشرب منها سان اوغسطين وهي عين كانت تسقي مزارع المعمرين، ثم توزعوا في جبل هوارة والوفد تعلوه علامات الهيبة والوقار لانهم يحملون الوصية.

للعلم ان المسجد بنته السلطات الفرنسية على الضريح، وأول من دخل الضريح إمام الوفد وقد وضع يديه يدق التابوت قائلا"يا سيدي عمار اني نذرت هذه الزيارة قبل ان ابلغ السن القانوني وها انا وفيت فارضى عني"، وقَبّل العلم الأثري والغبار يتخلل لحيته،ومن خلفه الوفد

[1] مغلاوي سعد، بدعة شنيعة وفعل قبيح، مجلة الشهاب ،السنة الرابعة ، العدد 166 ، 4 اكتوبر 1928، ص 16.

[2] الإصلاح يحارب بالسلاح،جريدة البصائر، السنة السابعة، العدد 280، السلسلة الثانية ، 23 جويلية 1954 ، ص6.

[3] مولاي الطيب العلوي، جريدة الإصلاح، الدين في خطر فمن المسؤول ،6 نوفمبر 1947،السنة20، العدد67، ،ص1.

ثم انتقل الى قبر سيدي سعد الله والظاهر أن الضريح يحوي اكثر من قبر وأنّ الزيارة لا تتم إلا بالطواف على كل القبور.

الوفد كان مختلطا رجالا ونساء، دعا الامام هناك واستكان واستخار وقرا الفاتحة في بيت التقديس، ثم خرج الى ساحة الضريح أو الطحطاحة فضرب البندير والطومبور ورفع العلم العام (يقصد العلم الفرنسي)، وأُشعلت الشموع والبخور والدموع تعلو مُقل الزائرين متأثرين بالمشهد، وعلا المشهد جو من التسبيح المعروف لدى سكان الأوراس، جلس الحضور وبدا الرقص مع القواعد من النساء أي العجائز وامام الوفد والزغاريت لا تكاد تنقطع، وكان يرافق الوفد اثنان من الجندرمة لأخذ الاستعلامات والحرص على سلامة الحضور وهذا دليل ان الإدارة الفرنسية كانت تحرص على إنجاح وتنظيم هذه المواسم. [1]

بل وكان المعمرون يبنون قبابا بمحاذاة مزارعم واقطاعاتهم خوفا من السرقة والتلف، لما علموا ما لها من رهبة في نفوس الأهالي، وكان بعضها قبلة للسفهاء من الأهالي فيدعم المعمرون تلك المواسم ويحضرونها فذلك يكفيهم عن الحراس.[2]

-تأجيج الفتنة مع رجال الإصلاح:

عرفت فرنسا من خلال علمائها دراساتهم كإدموند دوتي وألفريد بيل مدى تقديس الجزائريين للصالحين، واشعلت نار الفتنة بين رجال الدين من موظفيها الطرقيين وبين الرجال المصلحين الذين أرادوا العودة بالمجتمع الى الإسلام الأصلي[3]، ويتجلى ذلك من خلال:

-تعكير الأجواء بين الطرقيين ورجال الإصلاح في كل موضع يدعوا الى التفاهم ومن ذلك في الذكرى الأولى لتأسيس جمعية العلماء المسلمين 1932 عند محاولة تجديد مكتب الجمعية ومحاولة الطرقيين الانفراد بالمكتب عن طريق عمر سماعيل المدفوع من فرنسا[4]،

[1] محمد السعيد الزاهري، الى زردة سيدي عمار، جريدة الصراط السوي، السنة الأولى، العدد 9، 13 نوفمبر 1933، ص 5.

[2] اثار الامام البشير الابراهيمي،ج3،مرجع سابق، ص321.

[3] عبد القادر محداد، جريدة الإصلاح، فصل الدين عن الدولة،1ماي 1947،السنة20، العدد47، ،ص7

[4] احمد حماني، مرجع سابق، ص 319.

وتم تاسيس جمعية السنة المناوئة لجمعية العلماء وفي طياتها تحمل الإسلام الجزائري الذي دافع عنه بيرك ولكن لم يكتب لها النجاح، وتعيد الكرة الإدارة الفرنسية من خلال عقد مؤتمر اطلق عليه مؤتمر رؤساء الطرق الصوفية في الأسبوع الثاني من نوفمبر 1933 لتتحول جمعية السنة الى نقابة كما علق على ذلك سعيد الزاهري[1]، وكذا الجمعية الطرقية الدينية الإسلامية 1937، ثم مؤتمر جامعة اتحاد الزوايا 1938.[2]

وفي هذا الشأن يقول ابن نبي"ثم ضاعف الاستعمار من خطورة هذه الوضعية، جاعلا من الانسان مجرد شيء من جملة اشيائه، كما جعل من النزعة المرابطية جهازا للارسال مضطلعا بايصال توجيهاته الى الشعب، بعد تحويلها الى دوافع جديدة مطابقة لمرامه".[3]

-غض الطرف عن الاعتداءات المتتالية على رجال الإصلاح فالمعتدي على الزاهري الذي ضيق السبل على طرقيي وهران اطلق سراحه ولم يتابع تحت ذريعة غياب الدليل الذي يدينه[4]، فيقول العقبي في هذا الشأن " هم أيضا يحاولون تغليط رجال الحكومة لعلهم ينتقمون لهم من هؤلاء الرجال المصلحين فيفتكون بهم ويريحونهم منهم"[5]، ويضيف الورتيلاني" لقد اوصت فرنسا الدجاجلة بالاساءة الى المصلحين قدر ما استطاعوا على ان تضمن فرنسا حمايتهم فاتهموا المصلحين بالزندقة والالحاد والشيوعية والنازية والفاشية والوهابية..."[6]، واتهم بعض النواب رجال الجمعية بالتخلي عن دورهم الديني التعلمي وتحزبهم واثارة الفتن والقلاقل والتدليس ونشر الوهابية الدخيلة والخروج عن اصل جمعيتهم،وطلبوا من الإدارة الاستعمارية التعامل بحزم مع جمعية العلماء وهو ما عبر عنه النائب المالي غراب معمر

---

[1] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، ص 332- 332.

[2] نفسه، ص 335.

[3] مالك ابن نبي، القضايا الكبرى- مشكلات الحضارة، مرجع سابق، ص33

[4] محمد السعيد الزاهري، احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ضد اعتداء النائب المالي غراب وافتراؤه، جريدة الشريعة، السنة الأولى، العدد 6، 24 اوت 1933، ص 2.

[5] الطيب العقبي ، نحن والطرقيون- حادث الاعتداء على الزاهري، مرجع سابق، ص 3.

[6] الفضيل الورتيلاني، مرجع سابق، ص 141.

في رده على ابن باديس[1]، فأرسلوا العرائض ضد رجال الإصلاح كما حصل في تلمسان ضد الابراهيمي حيث وقع رجال الطرقية وبعض تجار المدينة سنة 1933على عريضة حيث اتهموه بالشغب وضد الإدارة الفرنسية.[2]

ب- تقنين جمع الزيارات والترخيص للمواسم:

بالرغم من تدمير الاستعمار الفرنسي القباب والتوابيت واحراق خشبها للطهي[3] وتغيير بعض الاضرحة في هندستها وفي شكلها[4] الا ان تقديس الشخصيات وزيارة قبورهم لا يضر فرنسا ، ، الا من الناحية الأمنية فوجب مراقبتها[5]، من ذلك حاولت فرنسا تنظيم دخول وخروج الأموال خاصة عائدات الاضرحة والزيارات وتوسيع دائرة التعليم للتقليص من هذه السياسات المرابطية القائمة على استغلال السكان وكذا خوفا من توجيه تلك الاموال للمقاومة، لذلك اخذت على عاتقها تجريد المرابطين من صلاحيات صيانة المباني الإسلامية وتعيين المناصب الدينية الحساسة كتعيين المفتين والخطباء في كل المناصب التي من شأنها تحصيل الأموال بطريقة او أخرى ووضعهم تحت الرقابة الفرنسية[6]،ويتم مقاضاة كل من يخرق القانون الذي ينص على ضرورة تقديم طلب لزيارة اضرحة المرابطين، مع ضرورة إحصاء كل العاملين والذين لهم علاقة بالزوايا والمساجد والذين يعيشون على مداخيل هذه الاحتفالات[7]، ويمنح كل مشرف على قبة في زاوية صفة الرسميين تابع للإدارة الفرنسية

[1] اعتداءات النواب الجاهلين على جمعية العلماء المسلمين، جريدة الشريعة، السنة الأولى، العدد 5، 14 اوت 1933، ص 5.

[2] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، ص 333.

[3] Corneille trumelet, Op.cit, p110

[4] Ibid, p111

[5] H.Lavion, Op.cit,p134

[6] Octave Depont et Xavier Coppolani, Op.cit, pp233-155

[7] H.Lavion, Op.cit,p214

وذلك بعد تزكية من سكان تلك المنطقة، ويستثنى من ذلك مثيري الشغب ومعارضو الإدارة، ويتم ارسال تقرير نصف سنوي أي كل ستة اشهر الى السلطات العليا حول الأوضاع الدينية ومنه يحال الى الحكومة العامة.[1]

والغريب ان الإدارة الفرنسية ضربت بيد من حديد وأوقفت جمع النذور بأنواعها وجعلت كل من يهم لجمعها من أبناء الزوايا تحت طائلة العقاب جعلت عقوبته السجن ادناه خمس عشرة يوما، هذا القرار أوصل أبناء الزوايا وجامعي النذور الى الفقر خاصة ممن لم يتخذوا من غير النذور رزقا لهم ولكن ما السبب وراء ذلك بالرغم من اخلاصهم للإدارة الفرنسية؟، تجيب جريدة الشهاب ان الغرض هو حماية الامة[2]، وفي موضع آخر تقول الجريدة ان السبب هو كثرة السعاة وجامعي النذور بمختلف مسمياتها من زردة وعشور وغيرها وإثقال كاهل الجزائريين[3]، ذلك ان هؤولاء السعاة الطرقيين اصبحوا ينافسون الإدارة الفرنسية في ضرائبها ومكوسها المفروضة على الأهالي،ليس هذا فقط بل كانت تتخوف ان تستخدم في تعبئة الامة كما حدث في المقاومات السابقة، الا لغرض سياسي او برخصة مسبقة ولا تعطى هذه الرخصة الا لشيخ طريقة صديقة معروفة بولائها .[4]

أيّد رجال الإصلاح حرمان الإدارة الفرنسية للطرقيين من جمع الزيارات والنذور وارجعت ذلك الى عطفها على الجزائريين، وهذا امر مستبعد وغريب في نفس الوقت فكيف لرجال الإصلاح ان يقفوا هذا الموقف السلبي من إخوانهم الطرقيين الذين تجمعهم ارض واحدة وهم يرون ممارسات الاستعمار اتجاه الأهالي، ثم نراها ومن جهة أخرى تعلل هذا بخوفها على سمعة الطرقيين الاسوياء في وسط عامة الجزائريين وان تتراجع مكانتهم امام ممارسات اشرار

[1] Ibid,p215

[2] محمد السعيد الزاهري، الحكومة وأبناء الزوايا، جريدة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 63، 18 اكتوبر 1926، ص9.

[3] نفسه، ص11.

[4] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، ص 286.

الطرقيين والانتهازيين منهم فيفقدون بذلك سمعتهم[1]، وهذا سبب نرى فيه شيء من الصحة والمنطق.

ويتراوح مقدار الزيارة حسب مقدريها بين عشرة ومائة فرنك فرنسي وتزيد لدى أصحاب الجاه، وقد قدر الفرنسيون انه بالرغم من التضييق على الزوايا والطرق فانهم يحصلون على حوالي سبعة ملايين ونصف فرنك [2] وحرص الإدارة الفرنسية على تنظيم هذه المواسم لما فيها من مداخيل لخزينتها من خلال دفع ضريبة كما هو حاصل مع زيارة سيدي عابد بحيث يدفع كل متنقل الى من عين كرمان الى مقر الضريح خمسين (50) فرنكا تذهب لخزينة البلدية.[3]

فهذه زيارة سيدي عابد المشهور التي تم الإشارة اليها في فصل الطقوس قد الغيت يوم 18 سبتمبر 1941 بالرغم من الترخيص لها ليومي 17-18 من نفس الشهر، بسبب السفور والتجاوزات الأخلاقية التي تعد اخلالا بالنظام العام، وتم منع اي محاولة لبيع الكحول والبارود او الايحاءات السياسية خاصة المواسم التي أقيمت قبيل واثناء الحرب العالمية الثانية بين 1939-1945[4]، اختفت نظير نشاط الحركة الإصلاحية ولكن الحكومة ارادت لها الحياة فبعثتها من جديد[5]، بالرغم من التواجد الأمني الكثيف الا ان تجارة الأسلحة غير

[1] محمد السعيد الزاهري، الحكومة وأبناء الزوايا، جريدة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 63، 18 اكتوبر 1926، ص ص 9-11.

[2] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، ص 289.

[3] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 13 ، 11 ديسمبر 1933، ص4.

[4] ANOM F80, Enquête sur les confréries Religieuses en Algerie, Ziara,Waada, Offrandes.1898-1954.. 24/10/1941 n°1270/2.

[5] محمد البشير الابراهيمي، اعراس الشيطان ، جريدة البصائر، السنة الثالثة، السلسلة الثانية ، العدد 95 ، 14 نوفمبر 1949 ، ص 2.

المسجلة حاضرة وقادمة من المناطق المجاورة من تيارت واورليونفيل شلف حاليا ومونتغولفيار Montgolfier رحوية حاليا ولم يكن بالمقدور مراقبتها.[1]

استنتاج:

مما سبق الإشارة إليه نخلص الى أن فرنسا استغلت قدر المستطاع الوسائل المتاحة لاستمالة واستعباد واستغلال كل ما هو جزائري، ومن ذلك هذه المواسم والطقوس المقامة فيها بغرض التأثير على الجزائريين وإطالة مدة مكوثها، هذا الأمر ليس فعلا عشوائيا وإنّما مخطط عكفت على تنظيمه المخابر الاستشراقية لديها انطلاقا من ضباطها وعمالها الذين بثتهم في كل حدب وصوب.

[1] ANOM F80, Enquête sur les confréries Religieuses en Algerie, Ziara,Waada, Offrandes.1898-1954..27/12/1934.n°66.

الفصل الخامس:

الإصلاح بين التغلغل في المجتمع والتصدي للغلو في المواسم

الفصل الخامس: الإصلاح بين التغلغل في المجتمع والتصدي للغلو في المواسم

المبحث الاول: صدى الإصلاح ومختلف المواقف منه في المجتمع الجزائري

1- الإصلاح بين التشدد والاعتدال
2- الزردة وخطورتها على روح الأمة
3- الإصلاح آلية لايقاظ المجتمع
4- دور الإصلاح في تصحيح بعض المفاهيم

-التحذير من الشرك

- البدعة

- التصوف

-الولاية

- الكرامة

المبحث الثاني: موقف الإصلاح من محدثات المواسم

1- البناء على القبور
2- بناء المشاهد
3- الاستغاثة والتوسل
4- النذور والتمائم
5- الأطعمة والذبائح
6- الخصوبة والاستمطار

المبحث الأول: صدى الإصلاح ومختلف المواقف منه في المجتمع الجزائري

انه لمن السهل إقامة دول ولكن من الصعب احياء أمم[1]، فالموروث ما قبل الاسلامي الذي بقي في أعماق الضمير الشعبي الذي شكلته القرون المليئة بالخرافات والأساطير ، وان كانت الدعوة الإصلاحية تصدت لمسألة الغلو في الأولياء والصالحين، فان فرنسا قد تفطنت لدور هذا الغلو في تنويم المجتمعات، وان كان لابد من التخلص من الاستعمار فلابد التخلص من القابلية له، وان نعمل بالاية "لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" الرعد الاية 11.[2]

1- الإصلاح بين التشدد والاعتدال

تختلف مواقف رجال الإصلاح حسب مشاربهم ومناهل علومهم، بالإضافة الى مواقفهم الشخصية من بعض المسائل الخلافية بل موقفه من الطرف الاخر بل يعتبر كل ما يأتيه منه كفرا وضلالا في حين المعتدلين منهم يقبلون أفكار الطرف الاخر ويصوبونها ان وجدوا فيها انحرافا، كما يجب الإشارة الى ان البعض غير في مواقفه حسب الزمن الذي جعله يقتنع بالاخر او حسب مستجدات في حياته.[3]

أ-الموقف المعتدل:

مثله ثلّة من العلماء الذين كانوا ميالين للمحافظة على تكتل العلماء بغض النظر عن مؤهلاتهم، باعتبار بعضهم خريجي زوايا ومدارس قرآنية محلية ولم يكتب لهم الحظ الخروج الى مراكز التكوين العالمية كالزيتونة والأزهر وغيره، وكان هذا الاتجاه ميالا للتعليم لتكوين نخب قوية الأساس لمواجهة خصوم الإصلاح هذا من جهة[4] ، ومن جهة أخرى الاعتدال في غض النظر عن معتقد المصلح وانتمائه الديني ومثله كل من :

---

[1] محمد العبدة، مالك ابن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي،ط1، 2006، دار القلم، دمشق، سوريا، ص67.

[2] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 28.

[3] نور الدين بولحية، مرجع سابق، ص ص 191-196

[4] عبد الرحمان ابن إبراهيم ابن عقون، مرجع سابق، ص 168.

-عبد الحميد ابن باديس:

يظهر اعتداله في حرصه على توسيع عضوية الاطار الإصلاحي الذي كان يصبو الى تأسيسه سنة 1925 فتخلى عن بعض الحدة في خطاباته[1]، وبعد تأسيس الجمعية 1931 وتمكنه من ضم بعض العلماء المحسوبين على الطرقية، واصل اعتداله لإيصال حقيقة الجمعية الى الزوايا وإقامة علاقة احترام معها.[2]

-أبو يعلى الزواوي:

لا يقل عن ابن باديس اعتدالا بالرغم من انه صرح عديد المرات انه سلفي الا ان مفهوم السلفية لديه انها الوقوف في وجه البدع والانحرافات لا المنهج الاستئصالي الذي ينفي أفكار الطرف الاخر، ولربما يعود اعتداله الى المحيط الذي نشأ ونهل منه افكاره[3] خالف الجمعية في عديد المسائل كالتصوف.[4]

ب- الموقف المتشدد:

مثله ثلة من العلماء المتشددين الذين اتهموا اقرانهم من العلماء التقليديين خريجي الزوايا بالردة والمروق عن الدين وهو الامر الذي أخر مشروع تأسيس جمعية العلماء المسلمين، وهذا الاتجاه كان ميالا للمواجهة المباشرة ، ومثل هذا الاتجاه كل من:

-الشيخ الطيب العقبي:

لدى عودة الرجل من الحجاز سنة 1920 بعدما استقر هناك 24 سنة، لم يراع الملابسات والظروف الراهنة آنذاك في الجزائر، فراح يقسو في دعوته على الطرقيين والكتلة

[1] نور الدين بولحية، مرجع سابق، ص 130.

[2] علي مراد، مرجع السابق، ص 168.

[3] نور الدين بولحية، نفسه،ص 217.

[4] أبو يعلى الزواوي، مرجع سابق،ص100.

المحافظة، مستغلا في ذلك جريدته "الإصلاح" الصادرة سنة 1927[1] وكان يطالب بضروة عزل الجمعية عن العمل السياسي.[2]

-الشيخ المبارك الميلي:

وأعلن عن مواقفه صراحة من خلال كتابه" رسالة الشرك ومظاهره"[3]، والذي انتقدته جريدة لسان الدين فقالت عنه بأنه في حد ذاته يدعوا الى الشرك فالأحرى ان يسميه برسالة التوحيد فيقول صاحب المقال ان كاتبه حقيقة معين على نشر الشرك.[4]

فالإسلام عند الميلي قائم على أصول ثلاثة : الاعتقاد والأحكام والأخلاق ودستورهم كتاب الله عز وجل وهذا الدستور نزل بلسان عربي مبين، ولا يفقه تعاليمه وأحكامه إلا متمرس في لغته فلما كانت لدى الأوّلين العربية سلقة تدبروا في احكامه وأوغلوا فيها ولما ضعف لسان الذين بعدهم ضعف ادراكهم لمقاصد الدين الحقيقية واهتموا بقشور الدين دون اللب، فابتدعوا في الدين لسوء فهمهم له او لحاجة أخرى، فتصوف الكثير منهم ثم اختلفوا فانقسموا الى طرائق قددا، وأصبح الاتباع اتباع تشيع لا اتباع تشريع واستسلموا لشيوخهم دون علم ولا ملازمة.[5]

- محمد السعيد الزاهري:

مر بمرحلتين من حياته الإصلاحية وكان يميل للأدب اكثر من ميوله للتحقق العلمي مما اسقطه كثيرا امام عديد المسائل، لنقلب رأسا على عقب في دعمه للطرق الصوفيه التي طالما انتقدها عندا كان في الجمعية.[6]

---

[1] عبد الرحمان ابن إبراهيم، نفسه، ص ص 166-167.

[2] علي مراد، نفسه، ص 151.

[3] عبد الرحمان ابن إبراهيم ابن عقون، مرجع سابق، ص 169.

[4] تصريح وتلويح، رسالة الشرك، السنة الاولى،لسان الدين، العدد 27، 15 محرم 1356هـ، ص3.

[5] مبارك بن محمد الميلي ، المصلحون والمرجفون ، جريدة المنتقد ، السنة الأولى، العدد 14، 01 اكتوبر 1925، ص 1.

[6] نور الدين بولحية، مرجع سابق، ص 226.

- البشير الابراهيمي:

كان شديدا على الطرقيين لا يقبل بفكرة الآخر واعتبر التصوف دخيلا بل أشد بلاء نزل على الأمة ولم يرحم حتى من وقع في الخطأ عن غير قصد، فقد طعن فيمن لم يطعن فيهم كبار السلفية.[1]

2- الزردة وخطورتها على روح الأمة:

يطلق الشيخ الإبراهيمي اسم الزردة واصفا إياها بأنها "أعراس للشيطان" ،كما أنها منتشرة في العمالة الوهرانية بكثرة عكس باقي مناطق الوطن، وتقام في فصل الربيع والخريف، وكل له مأرب فيها فيعلق قائلا: "كلما انتصف فصل الربيع من كل سنة تداعى أولياء الشيطان في كل بقعة من هذه العمالة إلى زردة يقيمونها على وثنٍ معروف من أوثانهم يسوله لهم الشيطان وليا صالحا، بل يصوره لهم إلها متصرفا في الكون، متصرفا في النفع والضر والرزق والأجل بين عباد الله، وقد يكون صاحب القبر رجلا صالحا، بل ويؤذن المؤذن لها في الأسواق والمواصلات"[2]

وهذا ضريح سيدي علي بن ازويت بمدينة القل بسكيكدة نموذج لهذه الأعراس ومما يحدث فيه اطلاق البارود وزغاريت النسوة وقد اختلطن بالرجال مكشوفات الوجه متزينات مختلطات بالرجال بالمقاهي التي أقيمت بهذه الزردة[3]، يبتن مع الرجال في مضجع واحد واحيانا تحت لحاف واحد، وأما بعض الجماعات التي تلعب على عقول العامة بالدجال وممارسة السحر والشعوذة وملاعبة الافاعي والسكاكين، وأما المساجد فقد ملئت بالمزامير والبنادير وبينهم البهالة وهم قوم سكروا بغير خمر يدّعون إخبار الناس بالغيب ويمنحون الولد ويشفون المرضى وغير ذلك من الترهات والشركيات، ولابد للزائر لهذه الزردة ان يغتسل بماء البحر والا فلن تنفعه زيارته وعند وصولك للساحل تجد العجب العجاب من السفور والعري، وقد دخلت النسوة الى البحر رجاء النفع وكل عام

[1] نور الدين بولحية، مرجع سابق ، ص ص 230-238.

[2] آثار الإمام البشير الإبراهيمي ،ج3، ط1. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص 321.

[3] مغلاوي سعد، بدعة شنيعة وفعل قبيح، مجلة الشهاب ،السنة الرابعة ، العدد 166 ، 4 اكتوبر 1928، ص 15.

نعد الغرقى هناك لعدم حسنهم السباحة، وضحايا اخرين قد هلكوا نظير الاختناق جراء الزحمة هناك داخل قبة الضريح.[1]

3-الإصلاح آلية لايقاظ المجتمع :

ان التعاليم المتشددة لرجال الإصلاح كانت تثير الرعب في نفوس الجزائريين، سيما ان النصب الجنائزية والمآثر المقدسة كانت تمثل مقدسا عظيما في المخيال والوعي الشعبي لا يجب المساس به[2]، فالعوام والخواص على حد سواء يظنون خيرا بالصلحاء، حتى انك اذا حلفت بالله لا يصدقونك امّا اذا حلفت بالولي يصدقونك بل النسوة يعتقدون فيه الربوبية تعالى الله وتنزه عن ذلك[3]، ولا يقتصر ذلك على العوام بل حتى القضاة اذا حكم احدهم على الاخر بالقسم خيره القاضي بين القسم بالله او على القرآن او على البخاري او بطلاق زوجته او في قبة والي من الاولياء فيدخل الى القبة ويشد على التابوت ويقول" وحق هذا السيد"، ويقصد اسم الوالي ويقولون ان الحلف على الوالي افضل لانه لا يرحم.[4]

لقد فقد غالبية الشعب الجزائري بوصلته الحقة واستبدلها بالأوهام والسراب فعندما تغيب الفكرة يبزغ الصنم والعكس صحيح[5]، ويصف الميلي ذلك "متى فقدت الأمة العالم البصير والدليل الناصح والمرشد المهتدي، تراكمت على عقولها سحائب الجهالات، وران على بصائرها قبائح العادات "ويردف قائلا" وهكذا كل ما تراه أو تسمعه من الدجالين ولا تدرك له سببا عاديا تنسبه إلى قوة غيبية"[6].

فالإصلاح في الجزائر قام وفق صراع ظاهرتي النقص والجمود التي رسخها الاستعمار في الطرقية من جهة ، وظاهرة الحاجة المجتمعية والاستعداد لتقبل الواقع الذي حركه المصلحون افرادا

---

[1] مغلاوي سعد، مصدر سابق، ص 16.

[2] علي مراد، مرجع السابق، ص 192.

[3] جوزيف ديسبارمي ،الفوايد في العوايد والقواعد العقايد،مطبعة موقان، البليدة،1905،ص 192

[4]نفسه ، مصدر سابق،ص 193-194

[5] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 28.

[6] الميلي، رسالة الشرك ومظاهر، البصائر،السنة1،ع20،11 مارس 1936، ص 2

وجماعات على اختلاف مشاربهم من جهة أخرى[1]، فهذا مالك ابن نبي يقول "فيما يخصني انني بذلت شطرا من حياتي في سبيل الحركة الإصلاحية واشهد ان للجمعية فضل كبير على الامة الجزائرية ولو لم أكن منها"[2]، ويضيف" والتناقض الانفجاري الذي ادخل الجزائر الى حيز الازمنة العصرية، قد بدأ تاريخه من هذا الصدام بين شعب استأنف سيره في الطريق وإدارة اجنبية كانت تعمل على إعاقة هذا السير، باستباقها لضباب الاستعمار والقابلية له ومحافظتها عليه[3]، ففرنسا كانت تعلم ان في بقاء عبادة الاوثان حياة فرنسا والهاء للإصلاح. [4]

وعليه فالحركة الإصلاحية هي بمثابة فتح جديد للجزائر ، وقد خص الله لكل زمن مصلحيه ليوقظوا الضمائر ويحيوا النفوس[5]، لتشبه بذلك الحركة الاصلاحية الى حد بعيد المقاومة المسلحة التي بدأت جهوية جزئية لتتوسع وتصبح اكثر شمولية في حرب التحرير 1نوفمبر 1954.[6]

وقد بلغت العملية الإصلاحية مبلغها ولو نسبيا فهذه قبيلة سيدي خليفة الشارف المدفون قرب قايس يتبرؤون من زردته لما فيها من أمور دخيلة على الدين فقد جعل بعضهم موسما يجددون فيه الثياب ويتكلفون بذل الطعام والنذور ويؤمنون بالمشايخ أيّما ايمان في نفع وضر وتصرف فيهم[7].

ومما يثلج القلب ويريح الخواطر ان قيد الله أناسا ابطلوا احدى البدع الشنيعة المقيتة وأماتوها والتي يحييها سكان سيدي عقبة في اول جمعة من فصل الخريف من كل سنة وهو ما يسمى بجمعة التلموذ ويشارك فيه الطرقيون على اختلاف مشاربهم (العمارية–العلوية– القادرية– الرحمانية) كل طريقة تحمل معها اعلامها وطبولها ومزاميرها، والاختلاط قد ضرب بجذوره فالنساء يرقصن امام العام والخاص ومنهم مومسات (القصد من وجودهن هو استقطاب الشباب

---

[1] اثار ابن باديس، مج1،ج1،مصدر سابق، ص 71.

[2] محمد العبدة، مرجع سابق، ص68.

[3] مالك ابن نبي، القضايا الكبرى– مشكلات الحضارة، مرجع سابق، ص34.

[4] اثار الامام البشير الابراهيمي،ج3،مصدر سابق، ص 322.

[5] عبد ربه محمود،نذور الاولياء–هل يحل اكلها للعلماء. البصائر، العدد 65، 30افريل, 1937، ص4

[6] اثار ابن باديس، مج1،ج1،نفسه، ص 71.

[7] عبد الغافر اسماعيل ، براءة من زردة ، جريدة البصائر، السنة الرابعة ، العدد 167، 26 ماي 1936 ، ص7.

لهذا الموسم)، والأطم انهم يدخلون المصلى فيقول الراوي" في السنة الفارطة حضرت هذا الاجتماع، ورأيت بعيني رأس فتاة جميلة الصورة متزينة باحسن الثياب مكشوفة الوجه ترقص امام الرجال حتى افتتن بها بعض الحاضرين..."، كل هذا يحدث امام مرأى ومسمع كبار هذه المدينة ومتصرفوها ولا يحركون ساكنا بالرغم من إلحاحنا عليهم لترك هذه العادة السيئة، وقد تكبدهم هذا المناسبات الكثير من الأموال بل الالاف من الفرنكات ولو صرفت لتلعليم أولادهم لكان خيرا لهم، وهناك من عارض ايقافها لحاجة في نفسه بين من له مداخيل منها، ومحب للفجور والشرور، ومدع لحب كل قديم على انه من ميراث الأجداد.[1]

5- دور الإصلاح في تصحيح بعض المفاهيم :

سنحاول الإلمام ببعض المفاهيم بمنظور إصلاحي باعتبارنا قد تطرقنا لها في الفصل السابق بمنظور طرقي.

عندما كان رجال الجمعية يجوبون القطر الوطني بجميع جهاته في اطار عملهم الإصلاحي كانت اكثر الأسئلة طرحا عليهم حول التصوف والولاية والتوسل والكرامة[2]، ومن ذلك كان لزاما عليهم التصدي لعديد الأمور الشنيعة خاصة العقدية منها ومن ذلك:

أ-التحذير من الشرك:

كان رجال الجمعية يفتتحون خطبهم محذرين من الشرك ومن ذلك الشيخ الابراهيمي الذي يقول في خطبته" صححوا عقائدكم في الله،وعلموا ان الله واحد احد فرد صمد لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله، هو المتفرد بالرزق والخلق والاعطاء والمنع والضر والنفع ، فاخلصوا له الدعاء والعبادة ،ولا تدعوا معه أحدا ولا من دونه أحدا وطهروا أنفسكم وعقولكم من هذه العقائد الباطلة الرائجة بين المسلمين اليوم، فانها اهلكتكم واظلتكم عن سواء السبيل ، واياكم والبدع في الدين فانها مفسدة له، وكل من خالف السنة الثابتة عن نبينا صلى الله عليه وسلم فهو بدعة".[3]

[1] مكتب سيدي عقبة، قتل بدعة شنيعة بسيدي عقبة، جريدة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 60، 07 اكتوبر 1926، ص8.

[2] عبد الحميد ابن باديس، رحلتنا الى العمالة الوهرانية، مجلة الشهاب ،ج 8، مج 8 ، اوت 1932، ص 411.

[3] اثار الامام البشير الابراهيمي،مج1،ج1،ط1 ، 1997،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان، ص407.

-معرفة الغيب:

وأما تعظيم القبور والمشايخ والظن ان لهم سلطة غيبية تعلو سلطة الله عز وجل تتكفل بقضاء الحوائج، فهُم بذلك كاتخاذ الانداد وبذلك فهو امر خلاف الكتاب والسنة[1]، معرفة الغيب هي منشأ كل شرك في كل الأمم، ووضع الغيب في كل معبود من غير الله في الجمادات وهذا حال قوم إبراهيم الذين وضعوا علم الغيب في الكواكب والشموس والأقمار، والحيوانات وهو حال قوم موسى وضعوها في العجل وفي البشر كحال النبي عيسى ابن مريم عليهما السلام وقوم نوح جعلوها في صالحيهم، وهذا تطور واضح في المعبودات وتخصيصها بعلم الغيب منهم من يعبدها مستقلة ومنهم من يشركها مع الله ويتخذها وسائط وجسورا لقضاء حوائجهم[2]، ويدعي الطرقيون ان مشايخهم يوحى اليهم وان علومهم ليس بينها وبين الله حجاب فهي ليست علوم موروثة ولا دنيوية وهذا ضرب من ضروب النبوة والرسالة، بل كان الطرقيون يستفتحون أعمالهم بأسماء شيوخهم فهذا احدهم هم بشرب قهوته قائلا" باسمك شيخي فلان استعين على شربي كأسي" ضاربا بذلك اسم الله عرض الحائط.[3]

-النفع والضرر:

والقول بتصرف الأموات فمحال شرعا لان ذلك لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة ولا ورد في الاثر، ضف الى ذلك ان التصرف تكليف والموت يقطع التكليف[4]، وما انتشار عبادة الاصنام الاّ نتيجة للابتداع كما جاء في محكم تنزيله "وما نعبدوهم الا ليقربونا الى الله زلفى" (الزمر 03)، قالوا لنتبرك بهم وسرعان ان أصبحت تعبد من دون الله وذلك هو الضلال المبين[5]، وما عبدت

---

[1] ابي العباس احمد بن الهاشمي، ، جريدة الإصلاح، التصوف كما اثبته التاريخ لا كما يصوره الوجدان وتزخرفه الالسنة ،17 ماي 1947،السنة20، العدد49 ، ص1.

[2] عمر بن البسكري ، توحيد الله تعالى ، مجلة الشهاب ،ج 9 ، مج 10، 14 جوان 1934، ص 311.

[3] محمد القباطي ، بين مصلح وطرقي ، جريدة البصائر، السنة الثالثة ، العدد 118، 17 جوان 1938 ، ص5.

[4] أبو يعلى الزواوي، مرجع سابق،ص122.

[5] الشاطبي، الاعتصام، تحقيق سليم بن عيد الهلالي،ج1، ط1، 1992، دار ابن عفان، السعودية، ص 236 .

قريش اصنامها لاعتقادها فيها التدبير والخلق وانما قبلة اتخذت للذبح والنذر لها لاعتقاد الصلاح في تلك الأحجار قصد الشفاعة وطلب الولد والاستشفاء، في حين يعتقد مشركو زماننا ان صالحيهم على علم بالغيب وما وجد فاللوح المحفوظ[1]، بيد ان مشركينا يسرجون القناديل في الاضرحة ويرخون الستور على التوابيت طوافا بها والدعاء بأسماء سكانها وموتاها وذبح القرابين والعواتر وشد الرحال اليها، وان من افعالهم المضحك والمبكي والمدمي للقلب.[2]

فغاية رجال الإصلاح هو نفسه غاية النبي في حمل الرسالة فالنبي صلى الله عليه وسلم جاء لتصحيح عقيدة اليهود والنصارى والتحريف الذي طال التوراة والانجيل زيادة ونقصانا، وهو ما أحدثه أصحاب الأهواء في كتب التفسير والفقه والعقيدة[3]، فقد استدل رجال الاصلاح بالإمام الصنعاني في رسالته تطهير الاعتقاد في قوله تعالى "فإياي فاعبدون – إياي فاتقون" ومعناه افراد العبادة لله في الرخاء والشدة، والاستغاثة إلا بالله فالمشركون ولو انهم كانوا يقرون بالله ويتقربون بذبائحهم ونذورهم له، الا انهم لم يخرجوا عن ملة الشرك، لان اعتقادهم كان فيمن تقربوا له انه ينفع ويضر.[4]

والشيخ الميلي من العلماء الذين عظموا باب الشرك وكتبوا فيه بحيث يقول" ولقد نتج عن قلة الخوض في الشرك ومظاهره أن صار الشرك أخفى المعاصي معنى وإن كان أجلاها حكما فلظهور حكمه وكونه من الضروريات ترى المسلمين عامتهم يتبرؤون منه ويغضبون كل الغضب إذا نسبوا إليه"[5]، ومن صيغ الشرك لدى الجزائريين حسب ابن باديس ان السواد الأعظم من الجزائريين جرت على السنتهم عبارات (بربي والشيخ، بربي والصالحين،بربي والناس الملاح، اذا حب ربي والشيخ، شوف ربي والشيخ)، وهي ضرب من الشرك ولقد شب عليها الصبيان ولازمت

[1] الطرابلسي ، انا والشهاب ، مجلة الشهاب ،السنة الرابعة ، العدد 158 ،2 اوت 1928، ص 5-6.

[2] نفسه، ص 7.

[3] أبو يعلى الزواوي ، نحن الإصلاحيون وخصماؤنا ، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 4، 24 جانفي 1936، ص 4 .

[4] محمد بن إسماعيل الصنعاني، تطهير الاعتقاد من ادران الالحاد،مكتبة الامام الوادعي، ط1 ، 2009، اليمن، ص 45-46.

[5] الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، البصائر،السنة1،ع31،5 جانفي 1936، ص2

السنتها ومن الصعب اقتلاعها[1]، وكان الفرنسي عندما يتعثر يقول بالفرنسية بون ديو bon dieu في حين اذا تعثر الجزائري على سجادة الصلاة يقول سيدي عبد القادر او سيدي عكاشة او سيدي مبارك وهذا صريح الشرك، فمكوث فرنسا في الجزائر لاكثر من 130 سنة لم يكن إلا بتدبير شيطاني.[2]

وعقيدة الطرقيين ومريدوهم هو ربط الفلاح والنجاح والنعم بشيوخهم وهذه شهادة أخرى لاحد الطرقيين فيقول" وكنت اعتقد ان الرجل منا اذا بسط له الله في رزقه او ربحت تجارته او صلحت ذريته او بارك الله له في اعماله فليس معنى ذلك ان العناية الربانية قد حفّت به، بل معنى ذلك ان معه همة الشيخ ولا نطلب من احدنا ان يحسن الظن بالله بل ان يحسن الظن بالشيخ، ولا نقول من مات واخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة، بل نقول من مات وهو يلهج باسم الشيخ دخل الجنة بلا حساب ولا عقاب".[3]

وقد اطلق بذلك بعض رجال الاصلاح غير اسم على الطرقيين فقد سماهم احدهم بغنم الشيطان وهو يقصد تتبعهم خطوات الشيطان من بدع ابتدعوها فهذا رجل اتخذوه نبيا والاها، فذا مسهم ضر في البر والبحر دعوا شيخهم لتفريج كربتهم اكثر مما يدعون ربهم عز وجل وتأخذهم الابية عن شيخهم لو طعن فيه ولا يغضبون لسب الله، ويجتهد في قضاء النذور لوليه ولا يفعل ذلك لفرائض الله ويستمد من وليه اكثر مما يفعل من ربه [4]، كما يتخذونهم انبياء وهم بذلك أي اولياؤهم مراجعهم في التشريع، فيشرعون لهم عبادات محدد كما وكيفا على خلاف شريعة رسول الله ويأتمرون بأوامرهم على غير ما امر رسول الله وينتهون بمناهيهم على غير ما نهى رسول الله وزجر، فسند الصحابة والتابعين حدثني ابي عن جدي وسندهم حدثني قلبي عن ربي فشريعتنا عن الحق الحي

[1] نفسه ، ص244.

[2] عبد الرحمان الهاشمي، أثر الشرك بالله وحقائق عن دعم فرنسا الصوفية ودعمها لعبادة القبور والأضرحة، https://www.youtube.com/watch?v=wPTMmLMOYQw

[3] محمد السعيد الزاهري، اعترافات طرقي قديم ، جريدة الشريعة، السنة الأولى، العدد 7، 28 اوت 1933، ص 4.

[4] محمد تقي الهلالي ، هل فيهم رجل رشيد ، مجلة الشهاب ،السنة الثالثة ، العدد 136، 23 فيفري 1928، ص 5.

الذي لا يموت وشريعتهم ميتة عن ميت، فلا أرى طرقيا سلم من الشرك، لان اصل الطريقة هو التسليم للشيخ حيا وميتا.[1]

وشهد احد المريدين شهادة عن شيوخه وأكد انهم يتعاطون الدخان والخمر والمخدرات السامة دون الاضرار بدينهم ولا مروءتهم، ولا ننكر نحن الاتباع ذلك لوا يجوز لانهم شيوخنا مهما ارتكبوا من الأخطاء والموبقات.[2]

ب- البدعــة:

هي كل جديد مس العبادة قصد التقرب به إلى الله ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم[3]. فالطرقية في نظر رجال الاصلاح هي علة العلل ومنبع الشرور والابتداع في الدين والعقيدة، وهي سبب فرقة المسلمين[4]، فقد قسموا البدعة الى أنواع واصناف، فأقصى الشاطبي تصنيفاتهم لعدم ارتباطها لا بالعقل ولا بالشرع، فالعقل قاصر في الحكم على البدعة ،وأما الشرع فمفهوم البدعة فيه انه كل ما خالف الشرع فلا يمكن صبها في قوالب الوجوب والندب والإباحة وغيرها، وإلا لكان المسلم مخيرا بين فعلها وتركها، اما ما جاء في مسألة الاحداث في عهد الصحابة حسب زعمهم من جمع للقران وصلاة التراويح في جماعة فهذا لا يخرج عن قاعدتين فالأولى غياب السببية لحدوث الامر في عهد النبي ووجوده في عهد الصحابة فجمع القران في كتاب واحد سمي كتاب عثمان (فالسبب هو استشهاد الصحابة والخوف على ضياع القران من صدورهم فالمقتضى والسببية لم تكن في عهد النبي)، وأما القاعدة الثانية فهي وجود السببية ولكن الخوف من فرض أمور لا قبل للناس بها والتخفيف على الناس (الخوف من عدم الاستطاعة على أداء تلك الفروض كجمع الناس في مسجد واحد وراء امام واحد لاداء صلاة التراويح فيسر النبي على امته بالتوسيع عليهم بصلاتها افذاذا دون جماعة فاصبحت بذلك سنة لا فرضا)[5]. وقسمها رجال الإصلاح الى:

---

[1] محمد تقي الهلالي ، هل فيهم رجل رشيد ، مصدر سابق، ص 6- 7.

[2] محمد السعيد الزاهري، اعترافات طرقي قديم ، نفسه، ص 2.

[3] ابن باديس عبد الحميد. مجالس التذكير، الشهاب، العدد 6، فيفري 1930. ص9

[4] جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، مصدر سابق، ص 47.

[5] محمد السعيد الصائغي ، مرجع سابق ، ص 7-8

اللغوية: فهي التي لها اصل في الشرع كجمع عثمان رضي الله عنه القران في مصحف واحد وجمع عمر الناس الصحابة على التراويح في مسجد واحد.

الشرعية: فهي التي لا اصل الله في الشرع، من خلال احداث تغيير في عبادات شرعية باستزادة فيها او انقاص وبهذا فهي بدعة سيئة.[1]

ومن التصنيفات الأكثر وضوحا ودلالة تقسيمها الى :

البدعة الحقيقية: هي التي كان فيها الابتداع من كل جهة ولا علاقة لها بالسنّة لا من قريب ولا من بعيد ولم يرد فيها دليل شرعي ولا عقلي ولا اجماع ولا قياس وهذه بدعة محضة لا يختلف فيها طرفان كبدعة التبتل مع وجود الداعي للزواج وفقد المانع الشرعي.

البدعة الإضافية: وهي التي اشتبه الامر فيها فاختلف فيها طرفان، قام عليها الدليل من جهة اصلها ولم يقم الدليل عليها من جهة كيفيتها كالصلاة المكروهة، فهي ولو شرعت باعتبارها صلاة في الأصل إلا انها بدعة من جهة الكيف لأنها منافية للشرع عند المسلمين مشابهة لصلاة عباد الشمس، فصاحب البدعة الإضافية خلط عملا صالحا وآخر سيئ، وصاحب هذه البدعة لا ترجى توبته لعدم درايته بها، وهو ما أكده سفيان الثوري عندما قال البدعة احب الى ابليس من المعصية لعدم وضوحها للمسلم واختلاطها عليه وحسن ظنه بعمله.[2]

-مكـانة البدعة في الشرع:

المبتدع او المحدث في الدين بفعله يناقض كلام رسول الله ويزعم بذلك ان الرسالة ناقصة كما قال ابن ماجشون عن مالك "من ابتدع في الإسلام بدعة فيراها حسنة فقد زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لان الله يقول "اليوم أكملت لكم دينكم"، وعليه لابد من ذم البدعة وصاحبها لان الشريعة جاءت كاملة غير منقوصة لقوله تعالى" اليوم أكملت لكم دينكم".

[1] محمد السعيد الصائغي ، مصدر سابق ، ص 6.

[2] محمد السعيد الصائغي ، مصدر سابق، ص 8.

وجاء في صحيح الترمذي في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال" وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها الاعين ووجلت منها القلوب فقلنا يا رسول الله هذه موعظة مودع فما تعهد الينا قال- تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ولا يزيغ عنها بعدي إلا هالك من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي"، و الرسول لم يمت حتى أتمّ امر الدين والدنيا وهذا لا اختلاف فيه بين الامة.[1]

ج-التصـوف:

يقول ابن باديس "فكان قولنا في التصوف انه كل ما اهتم بتزكية النفس ومكارم الاخلاق وتحقيق العبودية لله وحده[2].

كانت مقاصد الصوفية وطابعها نبيل بغرض الدعوة الى توحيد الله ولكن سرعان ما تغيرت الأمور، وتحولت الى شطحات وحركات لا علاقة لها بالدين، وتعظيم القبور والمشايخ والظن ان لهم سلطة غيبية تعلو سلطة الله عز وجل تتكفل بقضاء الحوائج، وهم بذلك كاتخاذ الانداد وبذلك فهو امر خلاف الكتاب والسنة.[3]

ومما لا شك فيه ان التصوف من اكثر المواضيع التي شغلت بال العلماء وخاصة المالكية منهم وفي هذا الصدد يقول ابن عباس جاءت الاية "يوم تبيض وجوه وتسود وجوه" (106 من آل عمران) وكان مالك يتأول بياض الوجوه لأهل السنة وسواد وجوه اهل البدع[4].

وكان مالك ينشد في ذلك:

وخير أمور الدين ماكان سنة *** وشر الأمور المحدثات البدائع[5].

---

[1] محمد السعيد الصائغي ، مصدر سابق ، ص 8.

[2] عبد الحميد ابن باديس، رحلتنا الى العمالة الوهرانية، مجلة الشهاب ،ج 8، مج 8 ، اوت 1932، ص 404

[3] ابي العباس احمد بن الهاشمي، ، جريدة الإصلاح، التصوف كما اثبته التاريخ لا كما يصوره الوجدان وتزخرفه الالسنة ،17 ماي 1947،السنة20، العدد49، ،ص1.

[4] الشاطبي، مرجع سابق، ص 75 .

[5] نفسه، ص 142 .

وبدع السرقسطي طريقة الفقراء في الذكر الجهري والرقص والغناء في المساجد[1]، وعقب الامام الطرطوشي على ذلك ان مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وانه بعيد عن السنة الحقة، وان اول من ابتدع الرقص والتواجد هم أصحاب السامري اثناء عبادتهم للعجل، وان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم بين يدي نبيهم كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، ودعى الطرطوشي أولياء الأمور ان يمنعوهم المساجد، وعلى المسلم مقاطعتهم وهذا مذهب مالك والشافعي وابي حنيفة وابن حنبل وغيرهم.[2]

وكذلك من العلماء الذين شنعوا تصرفات الصوفية وممارساتهم أبو عبد الله الحفار بحيث نقل عنه الونشريسي في المعيار المعرب انهم كانوا يلبسون على العامة ان الشطح والغناء مما يقرب المرء الى الله، بل هو من باب اللهو واللعب لا غير.[3]

وممن كانوا اكثر قساوة على البدع والمفتريات أبو إسحاق الشاطبي في كتابه "الاعتصام بحيث يقول" فهم يقدمون عقولهم واجتهادهم ان كان اجتهادا على النقل من الشريعة التي جاءت كاملة، فالتسليم باقوالهم هو الطعن في الشريعة واتهام مباشر بعدم تمام الشريعة.[4]

د- الولايــة:

ان الامة عموما واهل المغرب على الخصوص قد افتتنوا بالولاية ان تعلق العامة والنساء وبعض الخاصة بالأولياء تعلقا مبالغ فيه، حتى اصبحوا لا يحلفون الا بالأولياء الأموات منهم خاصة، وكل مكروه يقع الا وقد نسب الى غضبهم وعدم رضاهم، وكل معارض لهذه العقائد والطبائع يتهم

---

[1] ابي العباس احمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقية والمغرب،مج 11، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، 1981، الرباط، المغرب، ص 148.

[2] نفسه، ص163.

[3] مصطفى باحو، علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم،ط1، 2007، منشورات السبيل، الامارات، ص 61.

[4] الشاطبي، مرجع سابق، ص ص 63-64.

بالزندقة والتشيع والضلال والمروق عن الدين وقد تقدم لهذا جل المتصوفة في زماننا واستفحل امرهم عندما خالطوا الإسماعيلية.[1]

كما اشتهر لدى العامة بعد عصر السلف ان الاولياء هو عالم خيالي، لهم ميزات في عالم الغيب يتصرفون في ملكوت السموات والأرض كيفما يشاؤون مناقضين تماما السنة النبوية بل ومنافين لما ادعته أمم أخرى في عبادتها لاربابهم من دون الله، تناقل العوام كلام هؤلاء عن متصوفة وطرقي العصر، وكل من وقف لهم اتهم بنكران الولاية والكرامة مستدلين في ذلك بقوله "الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"، وراح هؤولاء يلبسونها من البدع والافتراءات [2]، والذي حمل المصلحين على نكران الولاية هو الخوف من وقوع الامة في حبائل دجل مدعي الولاية والاغترار به.[3]

يقول ابن باديس ان الولاية والكرامة تتم فيمن كثر إيمانه وظهر صلاحه الشرعي[4]، ويرد على احد المتطرفين الطرقيين الذي قال" هؤلاء المفسدون الذين يسمون انفسهم مصلحون ينكرون الولاية"، وهذا اتهام واضح للعلماء بانكار الولاية، ولكن لا اظن ان العالم يتهم اخاه العالم بالتطرف والإنكار لكن الامر صدر من عامي جاهل لا علم له بالسنة وباصول الدين.[5]

ويقول محمد السعيد الزاهري" نحن لا ننكر الولاية الشرعية التي اثبتها الله تعالى في القران، بل نؤمن بها وندعو اليها، ومن العجيب ان هؤلاء الذين يتهموننا اننا ننكر الولاية (أي الشرعية) هم الذين ينكرونها او هم يحجرونها تحجيرا"، فيمكن للتاجر ان يكون وليا وحتى الفلاح وايا كان وليس فقط الزاهد الفقيه فالولاية هي تقوى الله عز وجل والاستقامة على صراطه، واما المتحجرين فيحصرونها في ويخصون بها أشخاصا بعينهم بل ويورثونها لاولادهم وذويهم دون غيرهم ولو انهم زاغوا عن الصراط الحق، وليس هذا الحكم أي تخصيص افراد معينين بالولاية من فعل أولياء الشيطان

[1] أبو يعلى الزواوي ، التصوف ، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 7، 14 فيفري 1936، ص4.

[2] عن مجلة المنار، ما ورد من الاخبار والاثار في الاولياء ، مجلة الشهاب ،ج 4، مج 10، مارس 1934، ص156.

[3] نفسه، ص 567.

[4] عبد الحميد ابن باديس، رحلتنا الى العمالة الوهرانية، مجلة الشهاب ،ج 8، مج 8 ، اوت 1932، ص 404

[5] محمد السعيد الزاهري، نحن لا ننكر الولاية ، مجلة الشهاب ،ج 1، مج 8 ، جانفي 1932، ص 19.

وذويهم بل حتى العامة اصبحوا يؤمنون بذلك أي ان الولاية لا تخرج عن دائرة أبناء الزوايا الذين اشتهروا أحيانا بالفسق ومعاقرة الخمرة، ولو وجد في وقتهم اشخاص اكثر صلاحا وتقوى منهم، فالاولياء صنفان:

أولياء الله: يقول عز وجل "ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"، فكل ما ثبت من ولاية في كتاب الله فهي ولاية شرعية لا ينكرها الا جاحد.

أولياء الشيطان: وهو اعتقاد الوهية في الصالحين واتخاذهم اربابا من دون الله يقول عز وجل" انما ذالكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين" " والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى"، ويقصد بها المشركين الذين كانوا يتخذون الاصنام ارباب من دون الله وهم على شاكلة عباد القبور والاضرحة يرجون منهم ما يرجون من الله او يتخذونهم مطية وواسطة الى الله[1].

والزواوي صريح في كلامه ينصف طرقي الجزائر فيقول عنهم" اننا ننكر عليكم ما أدخلته عليكم الطائفة الباطنية ودسته لكم سما في الدسم من احداث القول بالوحدة والقطب والغوث والديوان[2]، ويضيف متحدثا عن الولاية "ان الولاية موجودة لم ننكرها...وكذلك الكرامة ولكن هل علمتم ما هي الولاية"و هنا يريد التوضيح في ماهية الولاية فيقول " الولاية كل مؤمن تقي فهو ولي".[3]

ومن ذلك بعض معتدلي رجال الاصلاح يبجلون الاولياء كمالك والشافعي وابوحنيفة وليس من نتمسح بقببهم[4]، ويطلقون عليهم عبارة السادة الاولياء[5]، من باب ما قدموه للناس من خدمة للعلم وما ورثوه للامة من كتب، ومن باب المروءة والشكر ان نكافأهم على ذلك بالحب والثناء والتبجيل وعدم الخوض في اعراضهم وهم تحت التراب، ومن اصل الشرع ان نتحرى ما قيل عنهم وفيهم.[6]

---

[1] محمد السعيد الزاهري، نحن لا ننكر الولاية ، مجلة الشهاب ،ج 1، مج 8 ، جانفي 1932، ص ص 20-21

[2] أبو يعلى الزواوي، نقد العلماء- الجواب عنه، جريدة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 70، 22 نوفمبر 1926، ص 11.

[3] أبو يعلى الزواوي، نقد العلماء، جريدة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 73، 6 ديسمبر 1926، ص 16.

[4] موحد، حول مقالة الجراري، جريدة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 74، 9 ديسمبر 1926، ص 7.

[5] البغبغان، اين العلماء، جريدة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 56، 16 سبتمبر 1926، ص9.

[6] عبد الله بن العباس الجراري، ، جريدة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 67، 11 نوفمبر 1926، ص9.

هـ- الكرامــة:

فالكرامة مكرمة من الله لعبده وهي خاصة بالمؤمن التقي، وهي من خوارق العادات، وهناك من يدعي الكرامة وهو من السحرة والمحتالين[1]، والمؤمن مكلف بتصديق كرامة النبي لا غير، اذ امر في عهدنا هذا الناس ان يصدقوا خوارق الاولياء ونسبتها لهم والقسم بهم، وهذا كفر صريح ان قصدوا التعظيم[2]، وتكون الكرامة لحي لا لميت، ولو ان البعض يقول بان الميت يقضي حوائج الزائرين حسب قول بعض المتأخرين الذين لا يعتد بكلامهم ولا يستند عليهم لان طرحهم وأفكارهم لا سند لها.[3]

ويرى أبو يعلى الزواوي ان من طبيعة البشر حب الاطلاع والانبهار بالخوارق، ولو اننا نعلم ان الايمان بالغيب محمود ومن هذا الباب تسربت فكرة الولاية وافضليتها عن النبوة[4]، وان غلاة المتصوفة هم من احدثوا في الدين فيقول عنهم " واما ما احدثه الغلاة من المتصوفة من القول بالقطبانية والغوثية والابدال وتصرف الاولياء الأموات ورفع الحاجات اليهم والتوسل بهم وتأسيس الديوان وإصدار الأوامر منه وعنه وغير ذلك مما لا حجة نقلية شرعية دينية دان بها سلف الامة"[5]، وهؤلاء يدعون ان شيخهم يوقف حركة القطار وله يد فالميكانيك، فان كان كذلك فليوقف بنادق وطيران العدو عن إيذاء إخوانهم المستضعفين.[6]

فلا يجب ان ينخدع احدكم بالأوهام والخرافات التي دأب اهل البدع على نشرها بين الناس على انها كرامات بل هي فخاخ وشراك من الشيطان للايقاع بالناس، والكرامة لا تظهر الا ان عند من

---

[1] أبو يعلى الزواوي، الإسلام الصحيح،مرجع سابق،ص128.

[2] نفسه،ص131.

[3] عمر بن البسكري، سوء التفاهم واثره السيء في الوحدة الإسلامية ، مجلة الشهاب ،ج 11، مج 8 ، نوفمبر 1932، ص 622.

[4] أبو يعلى الزواوي، الإسلام الصحيح،مرجع سابق،ص125.

[5] أبو يعلى الزواوي ، الوهابيون سنيون ، مجلة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 98، 26 ماي 1927، ص 5.

[6] أبو يعلى الزواوي، الإسلام الصحيح،مرجع سابق،ص132.

ظهرت عليه الاستقامة والاستقامة في الأصل هي الاحتكام الى الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الامة، وكل خارج عن هذا الأصل فهو مبتدع ضال.[1]

استنتاج:

لقد ركز الطرقيون على الجانب العقيم في سير الاولياء والصالحين وهي الكرامات واما أعمالهم الصالحة وتاليفهم واخلاقهم التي تربي النشئ وتصون المجتمعات واما الخوارق التي تدعونها لفلان وعلان من خضوع الأسود للعباد والتي ترونها دليلا للولاية فالولاية موجودة في سيرك عمار فالحيوانات هناك تخضع كذلك لمروضيها.

كما ان رجال الإصلاح لا ينكرون الولاية والكرامة ولكن ينكرون من يفتن بها والغلو فيها وترك الأصل وهو الاخلاق والأعمال الصالحة المقربة لرب العالمين.[2]

[1] ابي فارس عبد العزيز محمد القيرواني، الفتوى المالكية في أفعال الصوفي، تحقيق ابي احمد علي الكندي المرر، 2009، مؤسسة بينونة ، أبو ظبي ،الامارات العربية المتحدة، ص22.

[2] ناقد ، كتاب السعادة الابدية ، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 18 ، 8 ماي 1936، ص5.

المبحث الثاني: موقف الإصلاح من محدثات المواسم

وهنا وجب الإشارة الى اننا سنحاول التطرق الى موقف الإصلاح من كل الممارسات التي تقام في المواسم حول الضريح، وكل الاعتقادات المرتبطة بالمضروح.

1-البناء على القبور وزيارتها:

وجاء في صحيفة الشهاب" ان اشهر الطرق وأكثرهم دعاوى وأحرصهم على تزليج القباب وتنميق السقف وتزويق الحيطان وتعليق القناديل والستور وتشييد الاضرحة وتشويهها بل اكثر الناس بذلا للأموال وتلاوة لصيغة صلاة الفاتح وأشدهم احتياطا من القرب من الاولياء من زيارتهم والتماس صالح أدعيتهم هم أصحاب الشيخ ابي العباس رحمه الله"[1]، وكلما عارض رجال الإصلاح هذه الممارسات من تشييد للقباب وشد لرحال اليها واعتقاد النفع والضر فيها اتهموا بإنكار الولاية والصلاح وسب الزيارة والأموات ولكن انكارهم هذا ليس لولاية او صلاح بل خوفا على عروشهم وسيادتهم وموارد عيشهم[2]، ومما تتصدى له الإصلاحيون:

أ- التجصيص على القبور:

ومن البدع المنكرة تجصيص القبور والبناء عليها وشد الرحال اليها كما جاء على لسانه صلى الله عليه وسلم"اذا طين القبر لم يسمع صاحبه الاذان ولا الدعاء ولا يعلم من يزوره، فلا تطينوا قبور موتاكم دعوهم يسمعون الذكر، ولا يزال تراب القبر يسبح الله ما لم يطين كل يوم عشر مرات، حتى يغفر لصاحبه".[3]

وقال مالك " اكره تجصيص القبر والبناء عليه، وهاته الحجارة التي يبنى عليها"، فقال سحنون" فهذه اثار في تسويتها فكيف بمن يريد ان يبني عليها"[4]، وجاء في رواية احمد عن ابي الهياج الاسدي قال، قال لي علي: الا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألاّ ادع

[1] سلاوي، دفع اشتباه ونقد الرد ، جريدة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 79، 13 جانفي 1927، ص 10.

[2] مكتب سيدي عقبة، قتل بدعة شنيعة بسيدي عقبة، جريدة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 60، 07 اكتوبر 1926، ص10.

[3] الونشريسي، مرجع السابق، ص152.

[4] ابن رشد القرطبي، المدونة الكبرى للامام مالك بن انس، ج1، ط1، 2012، البداية، مصر، ص 221.

تمثالا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سوّيته، فالارتفاع المأمور به ليس إزالة التسنيم (السنام وهو ما ارتفع من ظهر الجمل)، انما هو الارتفاع الكثير الذي كانت الجاهلية تفعله، ونهى مالك عن التجصيص خوفا من تظيم القبور وعبادتها.[1]

وجاء في الرسالة لابي زيد القيرواني انه يكره البناء على القبور وتجصيصها[2]، ويكره البناء عليه ظاهره مطلقا كقبة او سقف او بيت، ولا حواليه لما فيه من تفضيل على الناس، ويكره ان أمن وصول اهل الاهواء والفساد اليه وإلاّ حرم ذلك، كما يكره التجصيص لما فيه من المباهاة والتفضيل على من حوله.[3]

ونظم الشيخ خليل شعرا في مختصره عن التجصيص على القبور

ورفع قبر كشبر مسنما، وتؤولت أيضا على كراهته فيسطح وحثو قريب فيه ثلاثا

قال الشارح هنا مندوب رفع القبر بشبر كسنام الجمل وفي قوله:"

وتطيين قبر او تبييضه وبناء عليه او تحويز وان بوهي به

حرام وجاز للتمييز كحجر او خشبة بلا نقش.

قال الشارح هنا تطيين القبر وتبييضه مكروه بالجير والجص ولا بطوب او حجارة لان ذلك من زينة الدنيا وتفاخرها والميت ليس بحاجة لذلك وتدخل في باب المباهاة، والقبور من بيوت الاخرة، والبناء عليها عموما والكتابة كذلك، وان كان القصد المباهاة دخل في باب الحرمة، ولا باس بوضح خشبة او حجارة غير منقوشة لمعرفة القبر.[4]

---

[1] أبو العباس القرطبي، المفهم لما اشكل من تلخيص الامام مسلم،، تحقيق محي الدين ديب واحمد محمد السيد ويوسف علي بديوي ومحمود إبراهيم بزال، ج2، ط1، 1996، دار ابن كثير، دمشق، ص ص 626-627.

[2] ابي محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني، رسالة بن ابي زيد القيرواني، دار الفضيلة، القاهرة، مصر ، ص78.

[3] علي الصعيدي العدوي،كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن ابي زيد القرواني مع حاشية العدوي، ج2، ط1، 1987، مطبعة المدني، القاهرة،ص242-243.

[4] محمد عليش، شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل، ج1، دار الفكر، ط1، 1984، بيروت، لبنان، ص ص 499-517.

ب- بناء المساجد عليها:

والأحاديث في هذا الشأن كثيرة فعن جندب في صحيح مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل خمسة أيام من وفاته " ألا وان من كان قبلكم يتخذون قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد اني انهاكم عن ذلك". وهذا حال عامة الجزائريين اليوم بنيت الاضرحة على قبورهم ثم اتخذت مساجد، ولو ان الكثير يقول ان الغاية منها هو التبرك لا التعبد إلا ان النهي جاء مجملا.

وعن عائشة رضي اله عنها عن ام حبيبة عن ام سلمة رضي الله تعالى عنهما ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال" ان أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور فاولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة" – رواه الشيخان .

فبناء المساجد على القبور ثم تعظيمها بتعظيم من فيها وجعلهم واسطة بينهم وبين الله عز وجل فكانوا بذلك شرار الخلق عند الله يوم القيامة، فيصبح مما يعبد ويعتقد فيه النفع والضر وتطلب عنده الحوائج وتنذر له النذور وهذه العبادات لا تكون الا لله، ولو ان الحديث موجه بالدرجة الأولى لتحريم بناء المساجد على قبور الصلحاء الا ان التاريخ بين ان بناء هكذا أمور اصبح فيما بعد مزارا ومقامات يتبرك بها، وهذا الذي جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا التي كانت اصناما لقوم نوح وعبدها العرب من بعدهم –كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلمّا هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك– الذين نصبوها.[1]

[1] بناء المساجد على القبور من فعل شرار الخلق عند الله يوم القيامة ، مجلة الشهاب ،ج5، مج 7 ، ماي 1931، ص 295-296 .

ومن باب سد الذرائع سيما انها ذريعة تعلقت بالشرك وهذا امر عظيم وجلل يهدم التوحيد، وحديث ابن عباس صريح ان عبادة تلك النصب لم تكن في ذات الان انما كان مآلها ذلك بمعنى اخر ان من بناها لم يعبدها ولكن الذين من بعذهم اتخذوها مساجدا ثم معبودات تقربهم الى الله، وهذا حال الجزائريين مع مزاراتهم وأضرحة صلحائهم فنرى من الابتهال والخشوع والطواف مالا نراه في المساجد، وعليه واجبنا نحن ان نبلغ هذه الاحاديث لان هذه البدع ما انتشرت الا بكتمان السنة النبوية دون التعرض عمار هذه الاضرحة وصلحائها بسوء لان فيها من الاتقياء ممن سبقونا بالايمان وحقهم علينا ان ندعو لهم بالاستغفار.[1]

ج- انكار القراءة على القبور والتبرك بها:

ينكرها المصلحون لإنكار السلف لها فمالك انكرها وكرهها خليل[2]، فالأحاديث الواردة في مسالة قراءة القرآن على القبور واهية ليس فيها ما يصح وهو ما ذهب اليه الدارقطني، وأفعال النبي وأقواله ومن تبعه لم تثبت هذا قط، ومالك كاره لهذا الفعل عندما يقول" اما يستحيي القراء على القبور من انتسابهم لمذهب مالك".[3]

ويقول ابن عليش المالكي ممن يستدل بها شيوخ الجزائر في هذا الباب من رجال الإصلاح والطرقيين يقول" لا بركة في التمسح بالتراب ولا زيوتها انما البركة في التدبر في أحوالهم، ولا بإلقاء الاثواب هناك والطواف بالقبور، فالتمسح بجدر الكعبة مكروه فكيف بجدر الأضرحة وحتى من يدعي لقاء الاولياء والصالحين هو من باب السحر والكهنة والتلبيس، والصلحاء منهم براء، والأموات لا يتصرفون في أمور الاحياء[4]، وذاك ما نجده بالمسجد الأقصى عند قبر الخليل إبراهيم

[1] بناء المساجد على القبور من فعل شرار الخلق عند الله يوم القيامة ، مجلة الشهاب، مرجع سابق، ص 297.

[2] عمر بن البسكري، سوء التفاهم واثره السيء في الوحدة الإسلامية ، مجلة الشهاب ،ج 11، مج 8 ، نوفمبر 1932، ص 621.

[3] نفسه، ص 126.

[4] احمد عليش، مرجع سابق، ص207-208.

من ضرب للطبول والمزامير ظنا منهم انهم بذلك يتقربون الى الله عز وجل، وهم كفروا كفرا بواحا بذلك من حيث لا يدرون.[1]

وابن مهنة من رجال الإصلاح الذين شددوا في نقد المظاهر الفلكورية التي صاحبت القباب والمزارات والبناء عليها واعتبرها من المحدثات وربما كان متأثرا بالوهابية[2].

وحذر ابن باديس الذي من بناء المساجد على القبور التي يدّعي البعض صلاح أصحابها سواء عرفوا ام لا، والقوم يتسارعون اليهم بالنذور ويحصل من الخشوع والابتهال مالا تراه إلا في المساجد، وهذا من البدع المحدثة التي لا تزول الا بإحياء السنة النبوية[3]، وابن باديس لا ينكر على اهل تلك الاضرحة والمقامات فلعلهم ممن سبقوه بالإيمان من السلف الصالح ولكنه يتأسف لفعل الخلف المشين.[4]

وهذا أبو يعلى الزواوي يوصي بعدم التجصيص على قبره ولا البناء عليه ولا التوسل به عن حسن ظنّ، ويوصي الشيخ مبارك الميلي بإحصاء عدد القباب في الجزائر وما صرف عليها وان يراسل رجال الجمعية في مكاتبها للعمل على ذلك، وان تم ذلك فليقارنوها بما تم صرفه على مدارس العلم، وقد أحصى الزواوي في مدينة الجزائر في المقابر الثلاث ثلاثة ملايين فرنك، وفي منطقة زواوة هناك قبب عديدة كلفت الشرفاء وأرباب الزوايا مائة الف فرنك لبناء الواحدة منها احداها قبة شرفة الشرفاء، في حين تركوا طلبة العلم بالأزهر يصارعون الحاجة للإنفاق منهم محمد الرزقي الازهري[5].

---

[1] العبدري، المدخل لابن الحاج، ج4، دارالتراث، القاهرة، مصر ، ص 246.

[2] محمد عبد الحليم بيشي، الامام محمد الصالح بن مهنا اثاره العلمية وافكاره الإصلاحية، حوليات جامعة الجزائر، مج35، العدد2، 2022، ص 538-539.

[3] اثار ابن باديس، مج1،ج2 ، مرجع سابق، ص248.

[4] نفسه ، ص249.

[5] أبو يعلى الزواوي ، احاديث جمعية العلماء وحوادثها ، جريدة البصائر، السنة الثالثة ، العدد 91 ، 17 ديسمبر 1937، ص4.

ان لله عالمين عالم الاحياء وآخر للأموات فما ينفع الأموات ان بنيت لهم القباب والأضرحة والمشاهد، فالبناء للأحياء لا يقي الأموات من قر وحر[1]، ونبش القبور بغرض الحصول على ترابها للبركة والتشفي كما حصل مع قبر ابن رحال بندرومة بتلمسان ضرب من السفاهة.[2]

د- زيـــارتهـا:

هذا سيدي احمد الكبير الذي يقام حجه وزيارته في اليوم الثالث من عيد الفطر، قافلة من النساء راجلات او على البغال المبيت في الخيام او عند عائلات الوالي[3]، الموكب يسير يتقدمه المفتي والقاضي والأعيان على الخيول، والعامة حفاة وراءهم ولكن هذا لا يعني شيئا امام ما سيكسبونه من حسنات فبكل خطوة خيل ستون حسنة وبكل خطوة رجل سبع مائة حسنة، الموكب يقوده الموسيقيون من دفاف ومزامير وطبول وتليهم اعلام المقدمين باللون الأصفر والأخضر والأحمر، السناجق لا يحملها أيا كان بل يدفع حاملها ثمن ذلك إمّا مالا او ليلة من الضيافة[4]، رائحة البارود لا مثيل لها، الأسلحة من كل الأنواع المزابيون بالرغم من انهم غير مهتمين بالحروب إلا انهم حاضرون بأسلحتهم مبتغاهم في ذلك الرخاء المالي الذي ألفوه.[5]

وهذه زيارة سيدي عابد بانكرمان وادي ارهيو حاليا يقدر الزاهري عدد زوارها بما يزيد عن ثلاثمائة الف زائر (300.000) اكثرهم من النساء يدلين عليهم حجابهن اذا قربن الى الوالي، فالزوار أحيانا لا يجدون مكان للإقامة فقيمون خيهمهم وينصبونها بإنكرمان البعيدة عن الوالي حوالي ثلاثة اميال، ترى في تلك الجموع حلقا من الرجال والنساء مختلطين ملاعبين بعضهم وقد ترى كل حلقة توسطتها راقصة تموج بين الرجال متنقلة من حلقة الى أخرى.[6]

---

[1] محمد القباطي ، بين مصلح وطرقي ، جريدة البصائر، السنة الثالثة ، العدد 118، 17 جوان 1938 ، ص5.

[2] احمد حماني الميلي ، حديث المتجول ، جريدة البصائر، السنة الرابعة ، العدد 144،16 ديسمبر 1938 ، ص8.

[3] Corneille Trumelet,Les saints de l'Islam,opcit,p267

[4] Corneille Trumelet,Les saints de l'Islam,opcit,pp286-269

[5] Ibid,p271

[6] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 12 ، 4 ديسمبر 1933، ص4.

وهذه احدى النسوة الزوّارات للأولياء الحريصة على خدمتهم تقول" انا ما عندي زهر في الاولياء في كل ليلة اثنين اجعل وعدة لولي ولا أزال ازور وأطيعهم حتى لا تكاد تكون امراة في الدنيا اكثر مني طاعة للاولياء"[1]

ويعتبر الامام مالك من علماء السلف الأشد منعا لتعظيم القبور والبناء عليها وتجصيصها بما في ذلك التمسح بقبر النبي صلى الله عليه وسلم، وتتبع الاثار والمشاهد والسفر إليها والتوسل بغير الله، وكره مالك قول القائل: "زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم"، وذلك خوفا من نية الزائر ان تكون زيارته بدعية يقصد بها طلب الحاجة[2]، وكان مالك ينهى اهل المدينة عن الاطالة في الوقوف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم.[3]

فقد جاء في موطأ الامام مالك عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال "السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون، وددت اني قد رأيت اخواتنا فقالوا يا رسول الله ألسنا باخوانك؟ قال كلا انتم اصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، وانا فرطهم على الحوض، فقالوا يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك، قال ارأيت لو كان لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟ قالوا بلى يا رسول الله قال فإنهم يأتون يوم القيامة غرًّا محجلين من اثر الوضوء وانا فرطهم على الحوض فليذادنّ رجال من حوضي كما يذاد البعير الضال، اناديهم ألا هلمّ ألا هلمّ ألا هلمّ فيقال انهم قد بدلوا بعدك فنقول فسحقا فسحقا فسحقا"، فالحديث يجيز زيارة القبور على ان يكون مقيدا بالصفة التي وقعت من رسول الله كما انه يشير الى التبديل والابتداع في سنته بعد وفاته في قوله سحقا سحقا وهو طرد من الشفاعة ولو ان الابتداع ليس مخرجا من الملة.[4]

---

[1] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 16 ، 01 جانفي 1934، ص1-2.

[2] مصطفى أبو سفيان، عقيدة الامام مالك السلفية، ط1، 2003، دار ضياء، طنطا، مصر، ص 113-122.

[3] أبو يعلى الزواوي ، نحن الإصلاحيون وخصماؤنا ، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 5، 31 جانفي 1936، ص 8.

[4] اثار واخبار (براءة رسول الله من غير دينه) ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 13 ، 11 ديسمبر 1933، ص1.

وقال ابن الوضاح وكان مالك بن انس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الاثار للنبي صلى الله عليه وسلم ماعدا قباء واحدا، حتى ان مالك كان يكره المجيء الى بيت المقدس وقبور الشهداء خيفة ان يتخذ ذلك سنة. [1]

يقول ابن تيمية "وليس في الزيارة الشرعية حاجة الحي الى الميت، ولا مسألته ولا توسله به، بل فيها منفعة الحي للميت كالدعاء له"، مصداقا لحديث رسول الله" اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية او علم ينتفع به من بعده، او ولد صالح يدعو له"، والاستشفاع بها لم تأت به الشريعة أصلا، ولقد كره مالك قول المسلم زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ومالك اعلم بباب زيارة القبور .[2]

وزيارة الاولياء لم تثبت قط عند سلفنا الصالح، ولا ثبت ذلك في الشرع ولا نص عند الائمة الأربعة، وكل ما نراه من ممارسات عند القباب والمزارات من تمريغ للخدود وطلب للولد والمعونة والنصر وتمسح بالجدران وطلب لقضاء الحاجات ورفع الكربات هو من فعل عباد الاوثان واحياه الفاطميون، وهذا امر غير مشروع باتفاق الائمة.[3]

ويعلق عبد الرحمان الثعالبي عن زيارة النساء في كتابه العلوم الفاخرة " لابأس بخروج المرأة لزيارة المقابر بشرط ان تلبس لباسا بذلة ترد اعين الرجال وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على راس القبر".[4]، وأردف قائلا" اذا جصص القبر لا تزوره الملائكة".[5]

---

[1] محمد بن وضاح القرطبي، البدع والنهي عنها، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم، ط1، 1995، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ص ص 88-91.

[2] ابن تيمية، مجموع الفتاوي، المرجع السابق، ص ص 71-166.

[3] أبو يعلى الزواوي، الإسلام الصحيح،مرجع سابق،ص141.

[4] عبد الرحمان الثعالبي،العلوم الفاخرة في النظر في أمور الاخرة، ج1، 1317 هـ، مطبعة الحميد، الهند ، ص90.

[5] نفسه، ص 123.

وأما اشعال الشموع وإيقادها على القباب والأضرحة هي فعل المجوس والفرس ومنها آلت الى النصارى ثم الى مزارات الصلحاء المسلمين، ولا نستبعد ان تكون توقد في مساجدنا للقراءة والمطالعة وتنوير المساجد وهذا امر حسن.[1]

ويقول ابن باديس:"وفي الناس اليوم طوائف كثيرة تتوجه لبعض الأموات وتتضرع لهم وتقف امام قبورهم بخضوع وخشوع تامّين وتتضرع وتناديهم على اعتقاد انهم يقربونها الى الله ويتوسطون لها إليه ويضيف" وفيهم طوائف كثيرة تسوق الانعام الى الاضرحة والمقامات تنحرها عندها إرضاء لها وطلبا لمعونتها او جزاء على تصرفها وما جلبت من نفع او دفعت من ضر... ويحلفون بمن يعظمونه من الاحياء فلا يكذبون "، ويقارن الشيخ ابن باديس مشركي الجاهليه بمن يراهم عباد الاوثان في وقته الذين يتبركون بالأشجار والأحجار، وينحرون عندها ويمجدونها ويعظمونها ويقدون الشموع امامها ويحرقون لها البخور.[2]

وكان الشيخ الميلي قد فصّل فيها تفصيلا في كتابه "رسالة الشرك ومظاهره" ، فالزيارة كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عنها ثم أذِن فيها، وهي مستحبة للرجال أما النساء فالإذن فيها يكون بضوابط ،كما جاء في الحديث عن بُريدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "نَهَيْتُكُم عن زيارةِ القبور، فزُورُوها" رواه مسلم .

وإن قاصد المزار أو الضريح لا يخرج عن شروط:

– أن لا يتخذ عليها بناء ويمنع الشيخ اتخاذ المزارات وتجصيص قبورها والتبخير فيها وربط الخيوط واستقبالها والصلاة لها.[3] مستندا إلى حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه: "لعن الله اليهود والنصارى ،اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدا". قالت ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير اني اخشى ان يتخذ مسجدا.رواه بخاري ومسلم.

[1] عبد الرحمان الثعالبي،العلوم الفاخرة في النظر في أمور الاخرة ، مصدر سابق،،ص142.

[2] اثار ابن باديس، مج1،ج2، مرجع سابق ص238.

[3] الميلي، رسالة الشرك ومظاهر، مرجع سابق، ص ص 341–354

–عدم السفر والحج إليها فالرحال لا تشد إلا لمساجد ثلاث، كما جاء في قول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَنْبَغِي لِلْمَطِيِّ أَنْ تُشَدَّ رِحَالُهُ إِلَى مَسْجِدٍ يُبْتَغَى فِيهِ الصَّلَاةُ، غَيْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَمَسْجِدِي هَذَا" مسند أحمد.

– النية من وراء الزيارة فلا تعلق بها خيوط ولا تمائم ولا يرجى منها نفع ولا ضرر ولا يرجى منها إعانة ولا مكاشفة ولا استطلاع غيب فذلك من الكهانة.[1]

إذن الشيخ الميلي لا يرى مانعا في التبرك بها، بل يرى أن هذا التبرك يمكن أن يكون جسرا نحو الشرك كما حصل مع قوم نوح فينقادون إلى الوثنية الجاهلية، فيبذلون الأموال لبناء القباب وشد الرحال والحج إليها موسما بعد آخر حتى توطنت هذه البدع في نفوسهم وتوارثوها أبا عن جد، وظنوا بها الصلاح، واعتقدوا فيها الإحياء والإماتة، وصارت ركنا من أركان إيمانهم.[2]

والأدهى والأمر ان هذا الامر يحدث امام مرأى غير المسلمين فلا هي توافق الدين ولا تحمس غير المسلمين لاعتناق الإسلام، وأصبحت زيارة السادة الاولياء مشوبة بالشركيات والكفريات فهذا مسجد الامام الشافعي تأتيه النسوة حاملات لوريقات الى الإمام طالبات منه إطالة حياة من احببنهم[3].

وقد اتفق بعض الصالحين من دوار " اكفد" بعزازقة على تغريم كل امراة تخرج متبرجة للزيارة والمجالس العمومية بدفع مائة فرنك كعقوبة لها، والغريب ان البعض سخطوا على هذه العقوبة خوفا من انتشار هذه العقوبة في المناطق المجاورة فتضر بمصالحهم في ذلك.[4]

2–بناء المشاهد:

اول ما طعن الطرقيون في دين الله هو منافستهم لشعائر الإسلام فاتخذوا قبور اوليائهم مشاهد ومزارات وقبلة ومساجد لهم مضاهاة للكعبة الشريفة واتخذوا زيارة الاضرحة شعيرة موسمية لها

[1] الميلي، رسالة الشرك ومظاهر، مرجع سابق ، ص ص 359–360

[2] نفسه، ص ص 148–164.

[3] البغبغان، اين العلماء، جريدة الشهاب ،السنة الثانية ، العدد 56، 16 سبتمبر 1926، ص9.

[4] موهوبي سعيد بن موهوب ، بدعة كبر ى في الزيارات الطرقية ، مجلة الشهاب ،السنة الثالثة ، العدد 10،146 ماي 1928، ص 7.

مناسك مضبوطة حدد لها يوم وموسم يجتمع فيه الناس كما هو حاصل مع موسم الحج، واتخذوها اعيادا يفرحون بحصولها[1]، وهو اكثر ما رؤي في العمالة الوهرانية بناءات ضربت على الاضرحة وكأنها بيوت بنيت لغير الله واستوت ببيوت الله وقلوب الناس خاشعة عندها اكثر مما تخشع في المساجد، ومن يفعل هذا الا جاهل.[2]

وقد وضع وجهاء مكلفون بالإشراف وتسيير شؤون الاضرحة كما هو الحال بالنسبة للكعبة المشرفة التي كان لها وجهاء يشرفون على السدانة وهم من بيدهم مفتاح الكعبة والسقاية وهم المكلفون بسقيا الحجيج واما الرفادة فدورهم اطعام الحجيج، الامر نفسه خصت بها الاضرحة والمزارات والمشاهد وقسمت مداخيل النذور الى ثلاثة اقسام قسم للخلفاء ولحامل مفتاح المقصور وهم بمثابة السدنة وقسمان للعلماء والمجاورين وارباب الوظائف بذلك الجامع وهذا والله عين الجهل بالدين.[3]

ومما يدفع للحيرة والصدمة هو اعتقاد بعض الحجاج في عدم تمام منسك حجهم الا بزيارة احد اضرحة صاليحهم، فهذا ضريح سيدي بومدين الغوثي يعتقد مريدوه ان قضاء مناسك الحج بالحرمين وهو بالنسبة لهم حج اكبر لايتم الا بالمبيت بضريح سيدي بومدين والمرور على ضريح سيدي الداودي لدى عودتهم وهم بذلك اتموا الحج الاصغر وهو مارواه احد مريدي سيدي بومدين انه روى عنه قائلا "من زار قبري فقد حج الحج الأصغر" والامر شائع لدى مريدي الطرق الصوفية في تلك البلاد، وأضاف اخر من جامعي النذور والزيارات قائلا" من زار قبرا من قبور الاولياء والصالحين كان له من الاجر كمن احرم بعمرة فقط، ويجوز ان تكون زيارة قبر الولي بمثابة الحج في الاجر والثواب"، فرد عليه احدهم ببطلان ذلك فاتهمه بالوهابية.

---

[1] أبو يعلى الزواوي ، احاديث جمعية العلماء وحوادثها ، جريدة البصائر، السنة الثالثة ، العدد 91 ، 17 ديسمبر 1937، ص4.

[2] عبد الحميد ابن باديس، رحلتنا الى العمالة الوهرانية، مجلة الشهاب ،ج 8، مج 8 ، اوت 1932، ص 402.

[3] محمود أبو ريه ، نذور الاولياء هل يحل اكلها للعلماء ، جريدة البصائر، السنة الثانية ، العدد 65 ، 30 افريل 1937، ص4.

والغريب ان الطرقيين لا يقدسون إلا وليّهم وضريحهم فإذا رأيت احدهم مدافعا عن الاولياء والصلحاء فهو بذلك لا يدافع إلا عن وليّه فقط بل ويطعن في غيره شأنهم في ذلك شأن اليهود والنصارى "قالت اليهود ليست النصارى على الشيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء"، ولا يؤلف الكتب والسير إلا عن شيخ طريقته وفي مناقبه، بل ومن يؤلف في مناقب شيخه ويضعه في خانة الأقطاب والاغواث ويحيطه بالكرامات ليس حبا فيه وإنما طمعا في رغيفه ودنانيره واسترزاقا باسمه[1]، وهذا احد الطرقين وقد صار مصلحا يصف حاله على الطرقية" كنت في جاهليتي" ويقول آخر" كنت طرقيا متعصبا، لا احب الا طريقتي واخواني فيها...ولا ننزل إلا على من تبع ديينا وهو يقصد طريقتهم"، وكان شيوخ طرقهم يمنعونهم من مزاورة ومجالسة ولا تزوج ولا تزويج من ليس على طريقتهم الا اذا اعتنقت او اعتنق طريقتهم، ولا الصلاة وراءهم فان فعلوا فصلاتهم باطلة، وكان من بعض اتباع احدى الطرق في الصحراء من اليهود من غير ان يتخلوا على يهوديتهم ولقد عين شيخ تلك الطريقة مقدما عليهم (للاحتماء بهم ولما للطرق الصوفية من مكانة وحضوة لدى الجزائريين)، وكان اتباع تلك الطريقة يحبون اليهود لانهم إخوانهم في الطريقة والشيخ وينبذون اتباع طريقة أخرى ولو كانوا مسلمين، وكما كان يسمي اليهود غيرهم "الكوييم" كنا نسمي غيرنا من الطرق " القراميط"، فالحب لم يكن في الله بل كان في الطريقة.[2] .

ومنهم من ينتقل من طريقة الى أخرى لما يعلم ان الأولى لا طائلة وراءها ولا تكسبه ما يريد فيتنقل بين الطرق طمعا في رغيف الدنيا لا رضى الله وثوابه، ومما يستأنس به في هذا الشأن هو ما شوهد من فعل احد المتسولين وهو يدق أبواب البيوت فيسأل أهلها بحسب الطريقة او الشيخ الذي يقدسونه فهذا بيت تجاني واخر قادري بل ويتسول بيوت اهل الإصلاح برسول الله.[3]

[1] محمد السعيد الزاهري، في مجلس حجاج، جريدة الشريعة، السنة الأولى، العدد 5، 14 اوت 1933، ص ص 2- 4.

[2] محمد السعيد الزاهري، اعترافات طرقي قديم ، جريدة الشريعة، السنة الأولى، العدد 7، 28 اوت 1933، ص 3.

[3] محمد السعيد الزاهري، في مجلس حجاج، مصدر سابق، ص 4.

وعن ذلك استدل رجال اصلاح بالحديث القائل "حدثني محمد بن الوضاح، قال: سمعت عيسى بن يونس مفتي اهل طرسوس، يقول: امر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم ،فقطعها لان الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة.[1]

3-الاستغاثة والتوسل:

للاستغاثة اصل جاهلي ذلك ان العرب قبل الإسلام اذا نزلوا واديا دعوا اهله وهم يقصدون الجن وهو ما جاء في قوله تعالى "وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا" (الجن الاية 6)، وفسر عبد الرحمان الثعالبي هذه الاية ان البشر اذا أرادوا المبيت بواد طلبوا حماية الجن من السفهاء منادين" يا عزيز هذا الوادي احمينا"، وهذا ما زاد في رهق الجن أي ما زاد في تجبرهم وطغيانهم.[2]

وأما في وقتنا اعتقد الناس ان الاولياء يتصرفون في هذا الكون نفعا وضررا، فجعل لهم الانتهازيون على راس كل بلدة وليا حاميا، والظاهر ان الجاهلية أولى اكثر منطقا وواقعية فالجن موجود حقا وهو يضر، وأهل جاهليتنا اكثر سفاهة بظنهم ان الميت او قبابهم تنفع وتضر فمثلهم في اتخاذ ارباب من دون الله كمثل العنكبوت التي اتخذت بيتا وهو اهون البيوت[3]، لا يكون التوسل والدعاء الا لله ولا يشترك معه في ذلك احد من المخلوقات إلا ان يتوسل برسوله صلى الله عليه وسلم.[4]

لقد قلنا سابقا عن الاستغاثة انها وجه من أوجه الدعاء، ومن دعا فقد عبد ومن دعا غير الله فقد عبده والنبي صلى الله عليه وسلم يقول" وإذا سألت فاسأل الله"، وان كان التوسل بالنبي جائزا لان المطلوب هنا هو الله عز وجل بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم [5]، وجواز التوسل بالنبي لا

---

[1] محمد بن وضاح القرطبي، البدع والنهي عنها، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم، ط1، 1995، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ص ص 88-91.

[2] أبو يعلى الزواوي، الإسلام الصحيح،مرجع سابق،ص146.

[3] نفسه ،ص147.

[4] عبد الحميد ابن باديس، رحلتنا الى العمالة الوهرانية، مرجع سابق، ص 404.

[5] اثار ابن باديس، مج2،ج1 ، مرجع سابق، ص 36.

بغيره لما فيه من الأفضلية عن غيره من البشر[1]، ويجب توضيح عبارة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فهنا القصد الدعاء به لا التوسل له أي لا تذهب اليه او الى قبره وتسأله قضاء الحوائج وهذا وجه التحريم اما الدعاء به كقول القائل اسألك بنبيك فهذا جائز.[2]

فدعاء المخلوق وحده او مع الخالق باطل بطلانا تاما، وأما طلب الدعاء له في حياته وهو من المؤمنين مطلوب ومشروع، وان التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم جائز مرجوح وبذات غيره من اهل المكانة المحققة له وجه في القياس حال حياتهم، وأما الدعاء بهم حال موتهم من البدع التي لم نرها في السلف من الصحابة والتابعين، والمشروع في التوسل هو دعوة الله بأسمائه وصفاته وأعمال العبد في جميع طاعاته والتزلف بها الى الله.[3]

فمن المخلوق تطلب الدعاء ومن الله تسال عطاء ومن ذلك فعل النبي صلى الله عليه سلم لما سأله احد الصحابة الشفاء من العمى كما جاء في الحديث قال أبو عيسى الترمذي " حدثنا محمود بن غيلان عن عثمان بن عمر عن شعبة عن ابي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضرير البصر اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادعوا الله ان يعافيني قال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه قال فأمره ان يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعوا بهذا الدعاء: اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي اللهم فشفعه في". اخرجه الامام أحمد.

فظاهر الحديث جاء فيه التوسل بذات النبي او الدعاء بالثناء على نبيه وقبول شفاعته، ولكن الثابت ان الرجل لم يدعوا النبي مباشرة ان يشفيه هو لان الدعاء عبادة والعبادة لا تكون إلا الله، وجائز ان يطلب المؤمن من أخيه حال حياته ان يدعو له الله تعالى، ومثار الخلاف هو في جواز

---

[1] عمر بن البسكري، سوء التفاهم واثره السيء في الوحدة الإسلامية ، مجلة الشهاب ،ج 11، مج 8 ، نوفمبر 1932، ص 620.

[2] عبد الحميد بن باديس، الدعاء منه عادة ومنه عبادة ، مجلة الشهاب ،ج 2، مج 9 ، فيفري 1933، ص 95.

[3] عبد الحميد بن باديس ، التوجه الى الله برسول الله ، مجلة الشهاب ،ج 3، مج 8 ، مارس 1932، ص 155.

التوسل بذات النبي بعد وفاته والظاهر انه جائز، ولا يمكن اسقاط هذا الحكم على غير النبي من الصالحين لان القياس في باب العبادات حكمه ضعيف.[1]

وهذه فاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم قد طلبت حقها من الميراث في ارض فدك فلم يعطيها الصديق وعمر ابن الخطاب لان الأرض كانت صدقة والنبي قال " لا نورث ما تركناه صدقة"، والشاهد هنا ان فاطمة رضي الله عنها لم تذهب الى قبر ابيها شاكية باكية متوسلة وهي اعز بناته[2]، كما ان الصحابة لم يذهبوا قط الى قبر الرسول وتمسحوا به او توسلوا به، ولو ان ابن عمر الذي كان احرص الناس في اتباع النبي كان لما يصل قبر النبي والصحابة الذين دفنوا بجواره كان يسلموا عليهم وينصرف ولا يزيد على ذلك شيئا.[3]

إنّ الاستغاثة والتوسل بواسطة نبي او ولي صالح والمستغيث موقن ان المنفذ والفاعل هو الخالق فهذا على نقيض الشرع الذي فيه مندوب وواجب الأولى بالالتزام به والانتهاء عن المكروه والمنهي عنه والتوسل بالميت واقع بين المكروه والمنهي عنه لهذا من الواجب انتهاء عنه هذا من جهة، ومن جهة أخرى هناك روابط وقنوات مشروعة بين العبد وربه من ذلك الصلاة فلا تجوز صلاة عبد بولي او صالح ليتقرب الى ربه فهذا تعدٍ على ركن من اركان الشرع، والذي فصل في كيفيته وكل تغيير في شكله باستزادة او انقاص منه هو اخلال به وتعد صارخ على الشرع والمشرع ويدخل بذلك فالبدعة.[4]

فإشراك المخلوق دعوة مع الخالق محظ شرك اطلاقا كقول القائل " بربي والشيخ – بربي والناس الملاح اذا حب ربي والشيخ"، قد جرت هذه العبارات على لسان الجزائريين وهم يقصدون ان ما يفعلونه هو من الله وبتصرف صالحيه فلا يجب التعقيب مباشرة بين الخالق والمخلوق وان كان

---

[1] عبد الحميد ابن باديس ، دعاء المخلوق غير التوسل به للخالق، جريدة الصراط السوي، السنة الأولى، العدد 9، 13 نوفمبر 1933،ص 3.

[2] أبو يعلى الزواوي، الإسلام الصحيح، مرجع سابق ،ص123.

[3] عبد الحميد بن باديس، التوجه الى الله برسول الله ، مجلة الشهاب ،مرجع سابق، ص 154.

[4] مولود بن الصديق الحافظي، تحرير القول في ابطال التوسل والاستغاثة بالاولياء ، مجلة الشهاب ،ج 12، مج 7 ، ديسمبر 1931، ص 758.

كذلك فيجب الترتيب أي بربي ثم الشيخ فلعل الشيخ له يد في ذلك الأمر، وقد شب على هذه العبارات جل الجزائريين وصعب التخلي عنها[1]، وهو الامر الشائع حاليا قولهم (روح راك مضمون) او (انا ضامني الشيخ).[2]

وبطلان التوسل بالأولياء والصلحاء جاء من عدة أوجه ان السلف الصالح لم يفعل هذا ولا أشار اليه وهذا ثابت عن النبي باتباع منهج الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، اما الوجه الثاني ان الوسيلة في قوله" يا أيها الذين امنوا ابتغوا الى الله الوسيلة" فالقصد فيها هي فعل الطاعات والمأمورات على حسب المفسرين، والاية يفسرها قوله صلى الله عليه وسلم " ما تقرب عبد الي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال ولا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه". رواه البخاري. والوسيلة اذا هي أداء الفرائض وفعل النوافل، اما الوجه الثالث في التوسل بالأموات انه شبه بفعل الجاهليه في قوله" ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم".[3]

ان مذهب الامام مالك مبني على سد الذرائع والغريب ان الكثير من يقذفون الوهابيين والحنابلة بالتكفير في مسألة التوسل والاستغاثة بالاموات والطوافون بالقبور فهل يعلمون ان احكام هؤلاء ومنعهم مستند الى قول الامام مالك[4]، وهو الامر الذي يؤكده العقبي "فقالوا عنا اننا ننكر الوسيلة الى الله بحب الاولياء والانبياء ...وقالوا ولا يزالوا يقولون في جرائدهم الكاذبة الخاطئة كلما شاؤوا وشاءت لهم أهواؤهم.[5]

ومن هنا جاء رد جريدة الشهاب على الشيخ يوسف الدجوي احد علماء الازهر والذي كان رأيه بجواز الاستغاثة والتوسل بالمخلوق ميتا وحيا كان رد علماء الجمعية وفق التصنيف السابق

---

[1] عبد الحميد بن باديس،كلمات الشرك في قول ما شاء البله وشئت ، مجلة الشهاب ،ج 6، مج 8 ، جوان 1932، ص 311.

[2] عبد الحميد بن باديس، فضل السجود والحث عليه ، مجلة الشهاب ،ج 4، مج 8 ، افريل 1932، ص 209.

[3] مولود بن الصديق الحافظي، تحرير القول في ابطال التوسل والاستغاثة بالاولياء ، مرجع سابق، ص 760.

[4] أبو يعلى الزواوي ، وهابي ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 7، 30 اكتوبر 1933، ص 6.

[5] الطيب العقبي، نحن والطرقيون– حادث الاعتداء على الزاهري، جريدة الشريعة، السنة الأولى، العدد 6، 24 اوت 1933، ص 3.

للاستغاثة [1]،فردهم كان استنادا الى غياب القدرة والإرادة للنفع والضر عند الميت انطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم " اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له" رواه مسلم، فانقطاع الفعل أي العمل عن الميت نفعا وضرا حقيقة ومجازا صريح في الحديث، وانقطاع الفعل عنه يسقط فعل الاستغاثة والاستعانة والتوسل وبهذا زالت شبهة اثبات التوسل بالأموات قطعا وتاكد نفيها علما ومنطقا، وأما استنادهم على قوله تعالى عن حياة الشهداء بعد الموت" بل احياء عند ربهم يرزقون" فالحياة هنا حياة لذة وألم وسمع وبصر فقط لا حياة فعل والحديث ينسف هذا الطرح كذلك بانقطاع أعمالهم عن انفسهم فما بالك بغيرهم[2]، فلا يجب الجزم بصلاح احدهم او تبشيره بالجنة وان له كرامة الشفاعة في اهله وصحبه، فالشفاعة لا تكون إلا للنبي صلى الله عليه وسلم ولا احد سواه.[3]

4-النــذور والتمائــم:

أ-النــذور:

وما يفعله الان البعض من من نذور للاموات والنحر على القبور والمشاهد والتوسل بمن فيها هو عين ما كان يفعله الناس زمن الجاهلة على الاوثان.[4]

واما النذور على المشاهد والأضرحة فلا كلام في تحريمها، لاعتقاد نفع وضرر الميت، فتحرم كما يحرم النذر على الوثن، وهو ما كان يفعله عباد الاصنام[5]، وهي باطلة والكسب الذي يأتي منها هو من أكل أموال الناس بالباطل وذاك من الكبائر والعياذ بالله.[6]

---

[1] مولود بن الصديق الحافظي، الفتاوى والاحكام في مجلة نور الإسلام ، مجلة الشهاب ،ج6، مج 7 ، جوان 1931، ص 390.

[2] مولود بن الصديق الحافظي، تحرير القول في ابطال التوسل والاستغاثة بالاولياء ، مرجع سابق، ص 756 – 757.

[3] اثار ابن باديس، مج1،ج2 ، مرجع سابق، ص259.

[4] محمد بن إسماعيل الصنعاني، تطهير الاعتقاد من ادران الالحاد،مكتبة الامام الوادعي، ط1 ، 2009، اليمن، ص 52.

[5] الصنعاني، سبل السلام، مرجع سابق، ص 365.

[6] أبو يعلى الزواوي، الإسلام الصحيح،مرجع سابق،ص142.

وقال يحي سمعت مالكا يقول معنى قول رسول الله من نذر ان يعصي الله فلا يعصه، ان ينذر الرجل الذي يمشي الى الشام او الى مصر او الى الربذة، او ما شابه ذلك مما ليس لله بطاعة.ان كلم فلانا او ما اشبه ذلك.فليس عليه من شيء في ذلك شيء ان هو كلمه او حنث بما حلف عليه،لانه ليس لله في هذه الأشياء من طاعة، وإنما يوفى لله بما له فيه طاعة.[1]

حدث يحي عن مالك عن طلحة بن عبد الله الايلي عن القاسم بن محمد ابن الصديق عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال"من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه"(رواه البخاري).

كما اتهم الطرقيون أعضاء الجمعية على انهم الوهابية كان الحال بالنسبية للإصلاحيين الذين اتهموهم بالرهبنة وأطلقوا عليهم صفة الإقطاعيين وأنهم كونوا ثروة بفضل الهبات التي توهب للمزارات والولائم نتيجة ممارسات تعود للعصور المظلمة[2]، ولما قدر الله ان تصل دعوة الإصلاح لعامة الناس، ثاروا ضد ممارسات الطرقيين لما اثقلوا كاهلهم بالنذور والضرائب التي هم في غنى عنها وما احوجهم للدينار والدرهم، فكيف للمتصوف الذي وجب عليه الزهد في الدنيا ان يتكفف الناس وهم احوج للصدقات، وعلى العكس منهم العلماء المصلحون يبينون للناس طريق الحق الى الله امرين بالمعروف ناهين عن المنكر[3]، فهذه قبيلة سيدي خليفة الشارف المدفون قرب قايس يتبرؤون من زردته لما فيها من أمور دخيلة على الدين، فقد جعله بعضهم موسما يجددون فيه الثياب ويتكلفون بذل الطعام والنذور ويؤمنون بالمشايخ أيّما ايمان في نفع وضر وتصرف فيهم.[4]

ضرر النــذور:

1-ضرر ديني عقدي يخرج المسلم من عبادة رب العباد الى عبادة المخلوقين.

2-ضرر مادي فيلقي المرء ماله في صناديق الأموات وهم قد لقوا ربهم ليتلقفها خلفاء الاضرحة يترفهون بها، ولان انفقوها في سبيل الله لكان خيرا لهم.

---

[1] الامام مالك بن انس،الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، 1985، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان،ص 446.

[2] علي مراد، مرجع سابق، ص 334.

[3] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد ، جريدة الصراط السوي ، السنة الأولى، العدد 8، 6 نوفمبر 1933،ص7.

[4] عبد الغافر اسماعيل ، براءة من زردة ، جريدة البصائر، السنة الرابعة ، العدد 167، 26 ماي 1936 ، ص7.

3-ضرر اجتماعي يخلق في الانسان تواكلا وعدع الاخذ بالاسباب والاعتقاد في رزق الأموات وشفائها.[1]

ب-التمائـم:

تقول احدى النسوة الزوارات للأولياء الحريصة على خدمتهم "كان الشيخ سيدي قد كتب لي حرزا ولم انتفع به الى الان"[2]، فبالرغم من اسلام الجزائر الا انها كانت تدين بالوثنية – والتي أقيمت نصبها في الزوايا هناك حيث كانت خزائن البركات في شكل حروز و اصوات بنادير وتمائم يمنحها لك أصحاب العمائم، هذا حال الجزائر قبل 1925، حتى جاءت أفكار المصلحين بترياق لسموم الاوثان التي نصبها الدراويش .[3]

لمّا سئل مالك عن المرأة ترقي بالحديدة والملح وعن الذي يكتب الكتاب، ويعلقه عليه ويعقد على الخيط الذي يربط به سبع عقد والذي يكتب خاتم سليمان في الكتاب فكرهه كله وقال لم يكن ذلك من امر الناس، وروى الامام احمد في مسنده قوله" من علق تميمة فقد اشرك "و"من علق تميمة لا تمم الله له ومن علق ودعة لا ودعه الله " (الجامع الصغير)، و"من تعلق شيئا وكّل اليه"،وعن جابر رضي الله عنه قال سئل رسول الله عن النشرة فقال هي من عمل الشيطان اخرجهما داوود.[4]

5-الأطعمة والذبائـح

وأما الأطعمة والذبائح التي تكون عند مزارات الصلحاء في موسم الخريف حرثا، والربيع طلبا للغلة طمعا في غيث ذلك الولي الصالح، فهي محرمة لأنها حضرت وذبحت لغير وجه الله ولو ذكر

[1] محمود أبو ريه ، نذور الاولياء هل يحل اكلها للعلماء ، جريدة البصائر، السنة الثانية ، العدد 65 ، 30 افريل 1937، ص4.

[2] محمد السعيد الزاهري ، الى زيارة سيدي عابد، جريدة الصراط السوي، السنة الأولى، العدد 16 ، 01 جانفي 1934، ص1-2.

[3] مالك بن نبي، شروط النهضة،مرجع سابق، ص 28.

[4] أبو يعلى الزواوي ، قسم الفتوى ، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 16، 24 افريل 1936، ص5.

اسم الله عند ذبحها كما أنها ذبحت على قبر الصالح[1]، وفي هذا يقول مالك سوق الهدايا لغير مكة ضلال وهؤولاء يسوقونها وينحرونها عند قبور الاولياء والصالحين.[2]

فهذه زردة أولاد سيدي احمد بن اونيس بأم البواقي بجبل سيدي ارغيس وقت انحباس المطر ويتقدمون بالقربان بشرط السواد فيه ولو باقل الاثمان لاعتقادهم الحكمة كسابقيهم من الوثنيين الذين كانوا يتقربون للشماريخ وهم الشياطين بالأبقار السود طمعا في دعمهم في الحروب، فتذبح الذبيحة ولا يذكر اسم الله عليها وانما اسم سيدهم في قولهم" راه عليكم يا رجال سيدي رغيس ويا سيدي احمد بن اونيس"، ويسود هذا الموسم الرقص وضرب الدفوف ويلبس الرجال لباس النسوة ويختلط الرجال بالنساء، ويتم التعزيم على المرضى وعقد التمائم ومقدمهم قد جمع امامه الأطعمة وهو يعلم الناس الغيبيات كنزول المطر.[3]

وتعتبر التزاما كمًا وكيفًا في عرف بعض العائلات ذات الجاه بعمالتي الجزائر ووهران، وهي ضرب من ضروب النذور لغير الله التي توارثوها عن الأجداد حتى أصبحت تسمى بأسماء من أوجدوها، وإلا نزل عليهم الوبال جراء تقصيرهم.[4]

استدل علماء الإصلاح بالإمام الشوكاني في هذا الشأن في كتابه نيل الاوطار في شرحه لحديث علي ابن ابي طالب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول" لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من اوى محدثا، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير منار الأرض" رواه احمد ومسلم.

والقصد بمن ذبح لغير الله كأنه ذبح لموسى او عيسى او صليب او للكعبة ولو كان الذابح مسلما، وهو ما ذهب اليه الشافعي فالقصد من ذلك تعظيم المذبوح له غير الله وذاك عين الكفر، فان كان

[1] الميلي، رسالة الشرك ومظاهر، مرجع سابق، ص 380.

[2] عمر بن البسكري، سوء التفاهم واثره السيء في الوحدة الإسلامية ، مجلة الشهاب ،ج 7، مج 9 ، جوان 1933 ، ص 271.

[3] مراسل ام البواقي، زردة اولاد سيدي احمد بن اونيس ، جريدة البصائر، السنة الأولى ، العدد 22 ، 05 جوان 1936، ص 7.

[4] الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص ص 362-399.

الذابح مسلما صار مرتدا، وذهب اهل بخارى وعلماؤها الى تحريم اكل ما ذبح للسلطان الا ان يذبح استبشارا لقدومه فالحقه العلماء بالعقيقة، فهنا القصد والنية هي الضامن بين الحل والحرم.[1]

وجاء لدى الشوكاني في تفسير قوله" وما اهل لغير الله"، فالإهلال هو رفع الصوت والمراد هنا ذكر اسم غير الله كاللات والعزى ان كان وثنيا والنار ان كان مجوسيا وما كان على شاكلة ذلك فيمن يذبحون للأموات على قبورهم[2]، وقد يحتج البعض بقولهم ان الذبح لا يذكر فيه اسم غير الله، ولكن الرحال شذت لقبر هذا الولي والذبيحة لم تذبح في البيت وانما عندما قبره و عند شجر او حجر يظن فيه النفع او الضر.[3]

لم يتخذ مريدو الصوفية قديما (قبل الغلو) شيوخهم اربابا لا استقلالا ولا مع الله، ولا ينذرون ولا يذبحون لهم، ولا يخصونهم بعبادة معينة وسبيلهم في ذلك" فلا تدعو مع الله أحدا"، " ان الذين تدعون مع الله عباد امثالكم" وقوله"فصل لربك وانحر" وقوله صلى الله عليه مسلم" لعن الله من ذبح لغير الله"[4]

واكل طعام الوزيعة او الزردة فيه حرمة افقد جمع ظلما ولم يتصدق به على الفقراء[5]، كما أن هذه الذبائح لا تخرج عن أحد الأمرين إما نشرة أو زردة، وهنا وجب التفريق بينهما والتفصيل فيهما.

فأما النشرة فهي ذبيحة غالبا ما تكون من الدجاج القصد منها استشفاء مريض به مسٌّ من الجن ولا يذكر اسم الله عليها عند الذبح تقربا إلى الجن، ويصدق فيها حكم التحريم إطلاقا كما

---

[1] محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار ، اخرج احاديثه رائد بن صبري بن ابي علفة، ط1، 2004 ، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ص 1622.

[2] محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، مج1، 2010 ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ص 170.

[3] بلقاسم بن ارواق ، الزردة رأس كل شر فاجتنبوها أيها المسلمون ، جريدة البصائر، السنة الثانية ، العدد 64 ، 22 افريل 1937، ص5.

[4] عمر بن البسكري، الامراض الفاشية في الإسلام (عدم اتخاذ مريدي التصوف الاقدمين مشائخهم اربابا وانبياء) ، مجلة الشهاب ،ج 13، مج 9 ، ديسمبر 1933، ص 515.

[5] سعيد البيباني، الزرد –كتاب مفتوح الى اهل البيبان، جريدة البصائر، السنة الرابعة ، العدد 30،146 ديسمبر 1938 ، ص4.

سبق قوله، وأما الزردة فهي طعام يتخذ على ذبيحة للتقرب إلى من يُعتقد صلاحه من الموتى أو بركته من المزارات.[1]

وعليه فعِلّة تحريم كل منهما هو القصد من وراء الذبح وهو لغير الله عز وجل، ومن دلائل ذلك أن قصدهم وجه صالحهم، فهذه الزردات أصبحت تسمى بصلحائها "زردة سيدي فلان أو طعام سيدي فلان"، وأن زردتهم لا تؤدى إلا على قبر ضريح وليّهم فإن حدث ونزل الغيث نسبوها إليه بل ويزجر ويكفر كل من ينهاهم عن فعلهم.[2]

والزردة إذا ارتبطت بزمن معين وقبر معين بذلك فهي مثلها مثل الذبح على النصب زمن الجاهلية والذي نهى الرسول صلى الله عليه وسلم "لا تتخذوا قبري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنت".[3] رواه أبو داوود

من خلال حديث الميلي عن ظاهرة الزردة، أنه لم يحرمها مجملا بل فصّل فيها حسب الحالة والإحداث فيها والنية من ورائها فيقول أن فريقا استحسنها لما يحصل فيها من تزاور والتفات للفقراء والتصدق عليهم، ولكن يعقب قائلا "أن هذه المرامي لم يشهدها في هذه التجمعات بل إن الناس يضيعون صلواتهم، بغض النظر عن ما يقع من اختلاط ومجون وتعدٍ على حرمات الله"[4]، ومما استدل به الشيخ على حرمة الزردة أن السلف لم تكن فيهم، وأن المقابر محل اعتبار وخشوع وإطراق وليست محل لهو ولعب بالمزامير.[5]

وأحيانا تكون الزردة بطابع سياسي بحت كما فعل ابن جلول عندما دعا الناس إلى زردة بإحدى مقابر قسنطينة نكاية في علماء الجمعية وتغطية على فشله السياسي، ولا يستبعد أن هناك علاقة بين كبار المعمرين والدكتور ابن جلول في مسألة إحياء هذه الزردات باعتبار أن زردة

---

[1] الميلي، رسالة الشرك ومظاهر، البصائر،السنة1،ع5،22 جوان 1936، ص6.

[2] الميلي، رسالة الشرك ومظاهر، مقال سابق، ص 4.

[3] ابن ابي شيبة، الحديث رقم:7542.

[4] الميلي، رسالة الشرك ومظاهر، البصائر،السنة1، ع26،25 جوان 1936، ص 4.

[5] الميلي، رسالة الشرك ومظاهر، مرجع سابق، ص 384.

قسنطينة جاءت بعد زردتين كانتا بمدينتي عين تموشنت وسيدي بلعباس وأن هناك تواصلا بين الطرفين، لأن الغرض واحد وهو ركوب الجزائريين واستعبادهم.[1]

6-الخصوبة والاستمطار:

ومن ذلك ما يحدث في مدينته "ليوة – طولقة" انه اذا اصابهم قحط جمعوا اشتراكات فيما بينهم وحجوا رجالا ونساء واطفالا الى احد القبور واقاموا هناك زردة ضاربين الدفوف مصحوبة برقصات ونحن نعتقد في ذلك رجاء الغيث ببركة الصالح صاحب القبر، ونحن بذلك قد اوجدنا ندا لصلاة الاستسقاء، ويضيف "انهم اتخذوا تلا (مرتفع من الأرض) جنوب بلدتهم سموه (يعوق ونسرا) كلما اشتدت بهم الحاجة ذهبوا اليه يطلبون منه مرادهم، وهم جماعات يطعمون ويستطعمون في صور تابى الحيوانات الاستطعام بها، وذاك ضرب من الوثنية الأولى".[2]

يقول الشيخ الميلي في هذا الشأن "فيظنونه اعتقاد النفع والضر في الجمادات وغير الصالحين من العباد، أو اعتقاد أن أحدا غير الله يماثل الله في الخلق والإيجاد "، ويواصل:" ينزلون الأمطار متى شاؤوا ويُعافون من أحبوا من المرضى ويهبون لمن أرادوا ذكورا أو إناثا ويزوجونهم ذكرانا وإناثا ويجعلون من غضبوا عليه عقيما"[3].

استنتاج:

ان موقف رجال الإصلاح من الطقوس والممارسات التي تقام في المواسم والزرد والوعدات كانت محكومة بالدليل والحجة، فقد كانوا حازمين في التصدي لها في مواضع معينة، وجعلوا ضوابط في مواضع أخرى.

[1] بن حلوش مصطفى، زردة بن جلول، البصائر، العدد 38، 9اكتوبر, 1936، ص7.

[2] جابر أبو بكر، جريدة الإصلاح، يا بشرى ،17 ماي 1947،السنة20، العدد 49، ،ص4.

[3] الميلي، رسالة الشرك ومظاهر، البصائر،السنة1،ع20،11 مارس 1936، ص 2

الخاتمة

خاتمة وأفاق البحث

يرتبط موضوع احياء المواسم الدينية في الاضرحة بفترة مهمة من حياة الأمة الجزائرية، وهو موضوع ذو صلة مباشرة بالتاريخ الديني والثقافي للجزائر خلال الغزو الفرنسي 1962/1830، والمعروف عنها أنها فترة حساسة جدا من حياة المجتمع الجزائري، بل وتزيد الحساسية اذا ارتبط الأمر بموضوع ديني لما لهذا الشقّ من تعقيدات وتداخلات تاريخية، هذا الأمر كان قد اختصره لي الأستاذ بن داهة أطال الله في عمره في ذاك اليوم الذي اخترت فيه الموضوع قائلا بالدارجة وهو يمازحني" يا وليدي شا داك لهاد الموضوع "، وبعد سنوات البحث ايقنت ان الأستاذ كان يعلم صعوبة الخوض في المواضيع الدينية، وصعوبة استنطاق أحداثها وكتاباتها والإلمام بها من كل الجوانب (تاريخية، دينية، سوسيولوجية، انتروبولوجية...)، فالطقوس والممارسات التي كانت فردية تطورت وأصبحت جماعية تقام في أوقات معينة، وفي جغرافيا محددة، ووفق تنظيم وتخطيط مقدّس ومضبوط، هذه العلاقات فرضت علينا ضرورة فك رموزها، والإطلاع على هذه العلاقة البينية وأسبابها وتداعياتها على الفرد والمجتمع، وقد حاولت من خلال هذا البحث جاهدا للوصول الى مجموعة من الاستنتاجات والتي لا أراها مثالية ولا نهائية بل تفتح أفاقا لدراسات أخرى لها علاقة مباشرة بهذا الموضوع.

1- عدم امكانية دراسة موضوع الزيارات والمواسم المرتبطة بالأضرحة دون الإلمام بالمفاهيم الأساسية التي تتباين من تخصص الى آخر، باعتبار مفاهيم كالطقس، المعتقد، الأسطورة والمقدس مفاهيم مشتركة بين المؤلفات في الحضارات والعقائد والديانات والشرائع الأخرى، لذا فنجد المؤرخين يركزون بل ويسهبون في ضبطها بمختلف اللغات، فقد شهدت هذه المفاهيم تطورا من فترة لأخرى حسب ظهور واختفاء وضمور الحضارات والقبائل.

2- استعانة الأجانب بالمفاهيم الأوروبية ومحاولة إسقاطها على واقع جزائري يختلف عن واقعهم، مع عدم قدرتهم على ترجمة الفعل الجزائري ترجمة صحيحة أخلّ بحقيقة بعض الطقوس وبعض الممارسات والمفاهيم الشعبية، أضف الى ذلك أنّ الكتابات الفرنسية عن المواسم والأضرحة

للأسف الشديد كان بعيدا عن الحقيقة التاريخية بحيث اصرّت على ربطها بالطقوس النصرانية القديمة ولم تعطها الصبغة الإسلامية ولا العرف الشعبي مما أخلّ بالسرد التاريخي الواقعي.

3- اكثر المواضيع والظواهر المشوبة بالغموض موضوع الولاية ومركباته، فقد ألّفت فيه الكتب والمجلدات لما فيه من اختلاف وتضارب بين العلماء والمؤرخين والمختصين في هذا الموضوع، فحيثما بحثنا وجدنا هذا المفهوم يفرض نفسه سواء عند الطرقيين او الإصلاحيين بين رافض للولاية وناف لها وآخر يمجدها ويبجلها، فمفهوم الولاية ليس بمفهوم تاريخي فقط، وانما مفهوم عابر للمجالات والتخصصات تجده دينيا تارة وفلسفيا تارة أخرى، وتجده في التصوف وتجده في الزهد.

4- ظاهرة الاضرحة ظاهرة مشتركة في جميع الشرائع والديانات والعقائد، بل يراها البعض امتدادا لحقب زمنية سبقت بداية التاريخ في شكل مصاطب لتتطور فيما بعد بظهور التجمعات البشرية الحضارية كالفراعنة الذي اشتهروا بتقديس ملوكهم وأسيادهم بأشكال شتى وبطقوس وممارسات تكاد تكون نسخة طبق الأصل عند حضارات المايا والاستيك والانكا بالرغم من المسافة بين الحضارتين وفواصل البحار والمحيطات بينهم وهذا ما يطرح عديد الأسئلة عن كيفية حصول هذا التلاقح بين الحضارات.

5- لما نقول الاضرحة لا يمكن فصل المضروح عنها أي الشخص المقدس بمعنى ان ظاهرة الاضرحة تجر معها ظاهرة التقديس التي تعتبر ظاهرة أزلية قديمة قدم الانسان وطقوسه، فكل الحضارات السابقة عرفت بالتقديس لكبرائها وذوو الحضوة منهم من العلماء والروحانيين، بل يستشكل عليك الأمر إذ قد تجد تشابها بين تقديس الموتى في شمال افريقيا ومناطق عديدة في بلاد الهند والسند باختلاف مشاربهم الدينية وعقائدهم الشعبية، الأمر لا يتوقف على مسألة التقديس بل يتعداه الى نمط احياء طقوسهم والأغراض المستخدمة والأوقات المنتقاة بدقة مما دفع بالعديد من المؤرخين وعلماء الاجتماع والانتروبولوجيين الى تأكيد نظرية امتداد طقوس اضرحة شمال افريقيا الى الأمم السابقة للإسلام، بل يقول القائل ان المجتمعات الريفية ببربرها وعربها في شمال افريقيا ومنه الجزائر لم تتأثر كثيرا بالإسلام إلا بقدر ما حافظت على تراثها وممارساتها الشعبية الموروثة عن العقائد السابقة الغارقة في تقديس الأموات والتي تمثل اعيادها الموسمية.

ومن ذلك يسعى دارسوا الاضرحة والمهتمون بها الى فرض منطقهم بنسبة ظاهرة المواسم والزيارات والتقديس الى حضاراتهم وعقائدهم الخارجة عن نطاق الأسلمة وذلك لحاجة في أنفسهم، وغرضهم هو تأكيد نظرية امتداد سكان شمال افريقيا الى سكان أوروبا وان ساكنة شمال افريقيا ليسوا إلا جماعات أوروبية وكل ما هو ارث لهم فهو في الحقيقة إرث غربي، وهم يعلمون جيدا اذا اقتنع الفرد بهذه النظرية فسوف يعمم ماضيه وحاضره وهويته عليه ليقول في نفسه ما أنا إلا غربي بجغرافية مختلفة، فيسهل بذلك تذويبه في ثقافتهم وتدجينه هوياتيا، في حين يؤكد فريق آخر ارتباط الاضرحة وثقافة التقديس ارتباطا وثيقا بالإسلام وما قبله من الجاهلية حينما يربطونها بحقبة ما بعد نوح عليه السلام مشرقا بما عبدت العرب، ومغربا بتركة الشرائع السابقة للإسلام في المنطقة، وتطورت في شكل مواسم منظمة عندما بلغت الصوفية مبلغها بمجيء الفاطميين وتشجيعهم للمزارات والقباب وصولا الى العثمانيين الذين واصلوا على منوال من سبقهم وأقاموا مشاهد على رؤوس الجبال حماية للمدن من التحرشات الصليبية.

6- تنظيم الزيارات والمواسم للأضرحة لما لصلحائها من مكانة لدى العامة أثناء حياتهم وبعد وفاتهم لاعتقاد النفع والضرر فيهم، فمنهم من عرف بعلمه ومنهم من عرف بجهاده، ومنهم من عرف بالكشف والبركة، ومنهم من نسجت عنه الأساطير والروايات، لتمس ظاهرة الصلحاء الدراويش وحتى الحيوان والجماد فيما بعد، بل وصل الأمر ببعض القبائل الى قتل عالم او مرابط والبناء عليه خوفا من رحيله عنهم فيفقدون بذلك بركته، ومن ذلك تضاربت المفاهيم حول المقدس والمرابط وأصوله فلا يعقل ان يقدس المجنون والحيوان والحجر والشجر، والحي ممن يتبجح بشرف أصوله، كذبا وزورا، فمن ذلك تأتي شدة وحدّة البعض في التجريح في مفهوم المرابط والمرابطية والغلو في إقصائه نظير جهل العوام وتقديس ما لا يقدس، فذاك تحصيل حاصل.

7- تفاقم ظاهرة الاضرحة في الجزائر من الشرق اتجاه الغرب، يفسره البعض بانتشار العنصر البربري كلما اتجهنا غربا، وهذه نتحفظ عليها، والظاهر ان انتشارها غربا له علاقة بانتشار الطرق الصوفية التي في معظمها ذات اصل مغربي لتتفرع فيما بعد بمسميات أخرى.

8- تسمية الزيارات بالمواسم لارتباطها بأزمنة معينة إما بالحرث أو الحصاد أو سقوط المطر، لتتداولها الأجيال فيما بعد وتثبت في شهر ويوم معين، كما أن المواسم تختلف في الجزائر من مجتمع الى الآخر من العرب الى البربر الى الميزابيين وحتى اليهود والزنوج لكل طقوسه وممارساته وأعرافه وعاداته وتقاليده التي لا زالت الى يومنا هذا، هذا دليل على ان ظاهرة الصلاح والقداسة ليست ظاهرة إسلامية انما شملت العقائد والطوائف الأخرى، ويبقى الاختلاف في بعض الطقوس وحدتها حسب درجة الايمان بها، كما أن ظاهرة القداسة والمرابطية ليست حكرا على الرجال فحسب، فحتى النساء لهنّ حظ منها حسب مكانة المرأة في ذاك المجتمع، فالمرأة في المجتمع البربري ليست نفسها في المجتمع الميزابي أو مجتمع الطوارق.

9- تشابه الطقوس والممارسات في الاضرحة مشرقا وغربا وفي كل بقعة من الجزائر يفسره حركية المجتمع الجزائري وتنقلات أفراده والتأثير المتبادل بين الطرق الصوفية، بل نرجعه الى الإنشطار الذي مسّ بعض الطرق الصوفية في الرقعة الواحدة كتجانية تماسين وعين ماضي، او تنقلا كانبثاق الطريقة الشاذلية عن الرّحمانية الأم بل تجد فروعا خارج الجزائر كما هو حاصل للتجانية في دول الساحل جنوب الصحراء.

10- تكرر تسميات صلحاء الاضرحة داخل الجزائر وخارجها كسيدي الجيلاني وسيدي المجهول، وسيدي بوقبرين يعود لعدة اعتبارات، فانتشار اضرحة بمسمى سيدي الجيلاني يعود الى الأماكن التي نزل بها دون وجود القديس بها من جهة، وبحث بعض القبائل عن البركة والشهرة في ذات الشخص، أما تسميتها بسيدي المجهول لجهل الساكنة واتباع ذلك الضريح للصالح المدفون هناك، ويطلق عليه بوقبرين أي صاحب الضريحين لتحويله من مكان الى آخر.

11- قاصد الضريح في ذاك اليوم لا يخرج عن طالب للولد والاستشفاء من الأمراض، وطالب لجودة منتوج وتكثير له، وطالبة لزوج وتحسين حظ ومعرفة مستقبل، بل تعدى عدد زوار الاضرحة عدد ركب الحج، حتى سمي "بالحج الأصغر" لتهافت الزوار عليه ولقداسته بل خصص له من الطقوس والممارسات والزينة والتقديس ما لا نراه في فريضة الحج، بل نجد من أتباعه من كلف بالسدانة والرفادة والكسوة والإطعام بحثا عن الجاه والمكانة ومضاعفة الرصيد المادي والمعنوي،

ومن ذلك ما نراه في أحد أكبر وأعرق المواسم في الجزائر "زيارة سيدي عابد" بإنكرمان وادي ارهيو حاليا بحوض الشلف المنطقة التي تجدها محروسة بالأولياء والصلحاء وكلما توجهت نحو الغرب زاد عدد الأضرحة هذا التعلق بالصالح خلق علاقة روحية رهيبة لدى الزائر حتى أصبح يستشير مقدم الضريح وخادمه في كل كبيرة وصغيرة بل امتنع بعضهم عن التداوي عند الأطباء الفرنسيين خوفا من بطش الصالح بهم وهذا أمر جلل استغله الطرقيون لاستعباد الاتباع والمريدين طمعا في الأموال والمنصب والحضوة.

12- أهمية هذه المواسم بالنسبة لخزينة الفرنسية جعلها تستنفر قواتها الأمنية تنظيما لها من جهة، وخوفا من التجاوزات التي يمكن ان تحصل في هذه المواسم كما هو الحال بالنسبة لزيارة سيدي عابد التي كانت ملتقى لبيع الأسلحة والبارود.

13- تعتبر بداية القرن العشرين فترة مفصلية في تاريخ الجزائر بظهور الحركة الإصلاحية بذاك التنظيم الذي لم يعرف من قبل، بعدما اقتصر العمل الإصلاحي داخل المجتمع نهاية القرن 19 على محاولات فردية لم تكلل بالنجاح إلاّ نسبيا، كا أنّ حدة النشاط الإصلاحي في الجزائر في ذات الفترة مرتبط بعاملين اساسين: الأول وهو التأثر بالخارج ونقصد هنا النهضة العربية والإسلامية ولا يمكن الحكم على دورها الا نسبيا، أما العامل الثاني والذي نراه مهما وهو توفر الأرضية وهي رأس المال البشري من الدعاة والمفكرين والعلماء الذين قيّدهم الله عز وجل لهذه الامة على اختلاف مشاربهم ومناهلهم.

14- الاتفاق والتفاهم المؤقت بين الطرقيين و رجال الإصلاح كان ظرفيا حسب المصلحة، بالرغم من بوادر الصراع منذ مطلع الثلاثينات وقبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الحاضنة لمتناقضين فكرا وفهما، ليستفرد بها الإصلاحيون فيما بعد، وكان لفرنسا دور في تشجيع الفرقة والصراع خدمة لمصالحها وكبحا لكل محاولة نهضة يمكن ان تمس المجتمع الجزائري.

15- تصادم الآراء والأفكار وظهور الخلاف للعلن نظير الاختلاف في قراءة بعض المفاهيم، بل تطور الأمر الى الاختلاف العقدي واتهام كل طرف للآخر على انه مبتدع وقاصر الفهم والنظر وفاسد العقيدة خاصة فيما تعلق بالولاية والتقديس ومظاهر الزيارة، بل وصل الأمر إلى محاولة

اغتيال بعضهم البعض، هذا الامر الذي سيوسع الفجوة بين الطرفين وتزيد حظوظ فرنسا بالإبقاء على سوء الحال.

16- دعم بعض الطرقيين للمواسم ليس مربوطا بالضرورة بفساد العقيدة والابتداع، فالراجح ان دعمهم للمواسم ذو ابعاد مادية بحتة بغرض الحفاظ على التحصيل المالي والمكانة الاجتماعية فهم بمثابة اكليروس إسلامي لا غير.

17- ظهور نخبة من المحسوبين على الطرقية معتدلة الفكر قوية الطرح على شاكلة أبو يعلى الزواوي فنّد اتهامات الإصلاحيين بجعل كل الطرقيين في سلة فساد العقدي والعقلي، هذا الامر يبرر ضرورة عدم التسرع في استصدار الاحكام على الغير، ويفتح المجال بإمكانية فساد البعض ممن هم محسوبون على الإصلاح على شاكلة الزاهري الذي كشف أمره انّه لا يعدو ان يكون عميلا للإدارة الفرنسية.

18- جل الكتابات الاستشراقية الفرنسية تنتهي الى خدمة بلده المستعمر، فيقدم خلاصة لكتابه يحرص فيها على أن يُحوّل الى نظرية عملية لكيفية تدجين السكان لخدمة مصالحهم، وهذا دليل قاطع على ان الكتابات الفرنسية في باب المواسم والأضرحة ليست إلا آلية لتثبيت المستعمر، وكبح كل محاولة نهضوية للمجتمع الجزائري.

19- تباين مواقف الإدارة الفرنسية من زيارة الاضرحة حسب الحال والأحوال وحسب المصالح والاحتياجات، فمنع بعض الزيارات ليس حماية للأهالي وإنّما خوفا من اتخاذ هذه التجمعات كقاعدة لبعث المقاومات، وتشجيعها ليس إلّا بحث عن مصدر لتمويل خزينتها وإفراغا لروح وعقيدة الفرد الجزائري.

20- انقسام رموز ورجال الإصلاح بين معتدل ومتشدد نظير التكوين والمشرب الذي نهلوا منه، فتشدد البعض ساهم في نفور المجتمع من الإصلاح، فهذا الدين شديد وكان عليهم ان يوغلوا فيه برفق، فلا يمكن ان تقصي الزائر للضريح مرة واحدة، بل يجب ان تحطم الصنم الذي في صدره حجرا حجرا، هذا الامر الذي تفطن له ابن باديس والزواوي فتمكنوا من استمالة شريحة واسعة من النخبة والعامة لقبول أفكارهم.

20- نشاط الحركة الإصلاحية في الجزائر وشيوعها هو انعكاس لقابلية ونهضة المجتمع الجزائري واحتضان لهذه الحركة الفتية، وما انقطاع بعض العامة عن ارتياد المواسم والتعامل مع المشرفين على الأضرحة و جامعو النذور لدليل قاطع على ان المجتمع كان يحتضر اكلينيكيا ولم يمت.

21- احترام الإصلاحيين لسلم اصلاح الفرد الجزائري بتصحيح عقيدتهم أولا، وذلك بالتركيز على التوحيد وإقصاء كل ما فيه شبهة الشرك، وصرفهم عن كل ما ارتبط بالطرقية من بدعة وتقديس للأموات، وردّهم الى أحضان المساجد وصرفهم عن القبور والمشاهد، ودفعهم لرفع اكفّ الضراعة للواحد الأحد ومنعهم من التمسح بالأموات.

لهذا نرى انطلاقا من هذا البحث انه من الضرورة انجاز بحث في باب المفاهيم وإنجاز قاموس خصيصا مرتبط بالفترة الكولونيالية في باب العرف الشعبي والعادات والتقاليد، كما ونرى انه من الضرورة بما كان ان نبقي الباب مفتوحا لدراسة عديد الجزئيات المرتبطة بتفاصيل هذا البحث التي تحتاج تمحيصا وايضاحا لرفع اللبس عن احدى حلقات هذا الموضوع المهم.

الملاحق

الملحق رقم 01:

مضمون الوثيقة: خصم في تذكرة القطار من العاصمة الى انكرمان لزيارة سيدي عابد

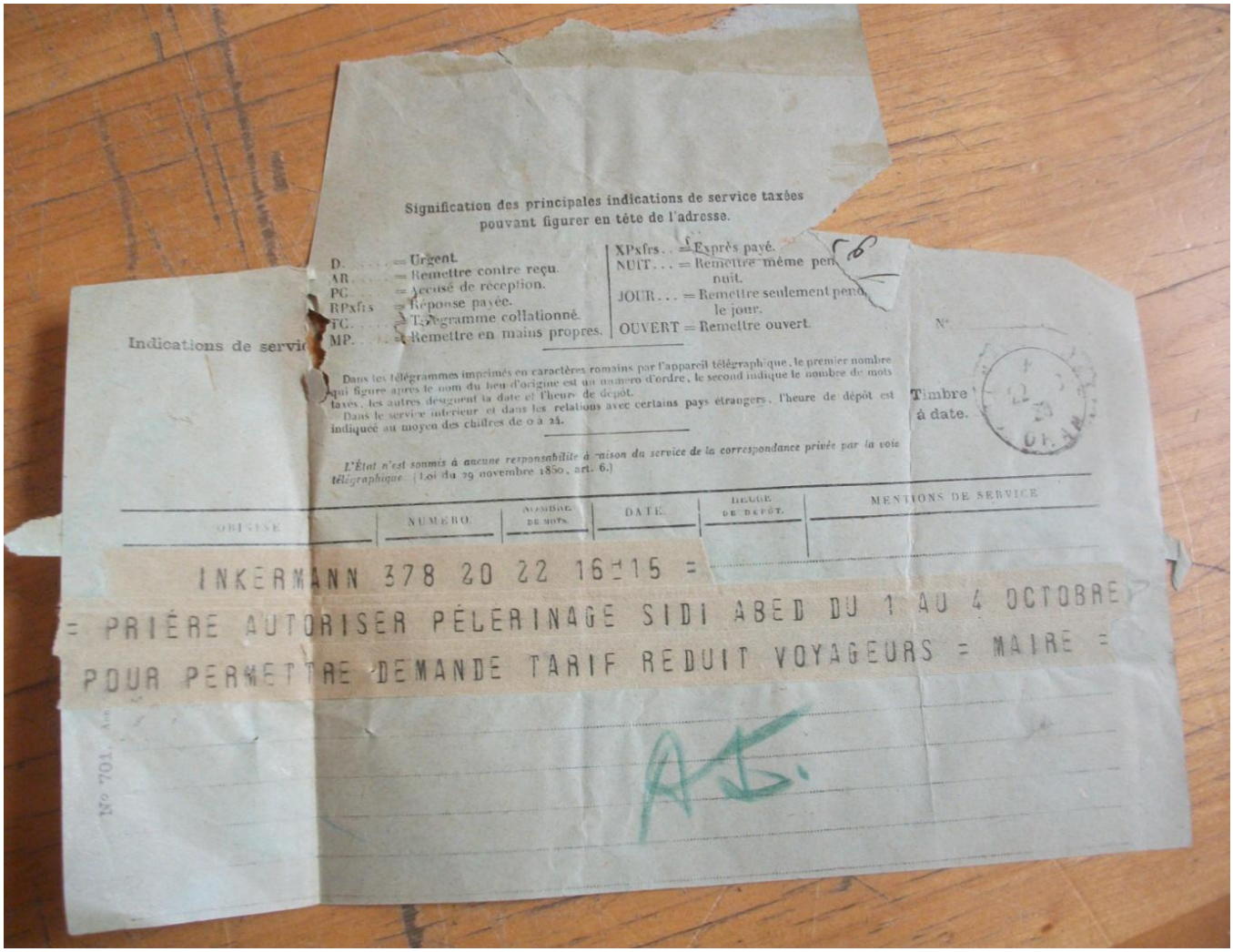

Signification des principales indications de service taxées pouvant figurer en tête de l'adresse.

D. . . . = Urgent.
AR. . . . = Remettre contre reçu.
PC. . . . = Accusé de réception.
RPxfrs = Réponse payée.
TC. . . . = Télégramme collationné.
MP. . . . = Remettre en mains propres.

XPxfrs. . = Exprès payé.
NUIT. . . = Remettre même pendant la nuit.
JOUR. . . = Remettre seulement pendant le jour.
OUVERT = Remettre ouvert.

Indications de servi

N°

Timbre à date.

Dans les télégrammes imprimés en caractères romains par l'appareil télégraphique, le premier nombre qui figure après le nom du lieu d'origine est un numéro d'ordre, le second indique le nombre de mots taxés, les autres désignent la date et l'heure de dépôt.
Dans le service intérieur et dans les relations avec certains pays étrangers, l'heure de dépôt est indiquée au moyen des chiffres de 0 à 24.

L'État n'est soumis à aucune responsabilité à raison du service de la correspondance privée par la voie télégraphique. (Loi du 29 novembre 1850, art. 6.)

ORIGINE	NUMERO	NOMBRE DE MOTS	DATE	HEURE DE DÉPÔT	MENTIONS DE SERVICE

INKERMANN 378 20 22 16 15 =
= PRIÈRE AUTORISER PÉLERINAGE SIDI ABED DU 1 AU 4 OCTOBRE
POUR PERMETTRE DEMANDE TARIF REDUIT VOYAGEURS = MAIRE =

الملحق رقم 02:

مضمون الوثيقة: تقرير عن وعدة سيدي عابد لموسم 1941

Rapport du lieutenant comandant la section de Relizane

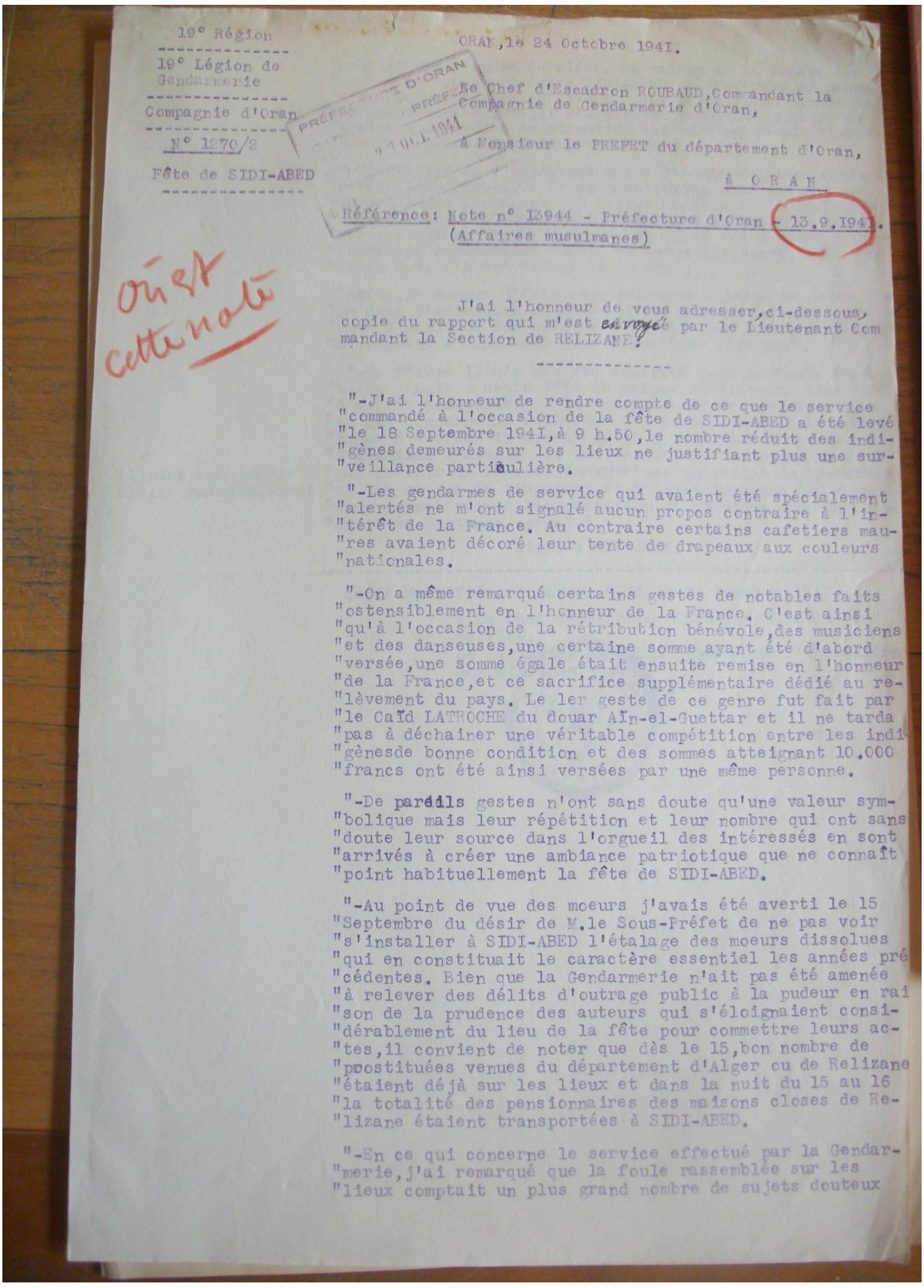

19° Région
19° Légion de Gendarmerie
Compagnie d'Oran
N° 1270/2
Fête de SIDI-ABED

ORAN, le 24 Octobre 1941.

Le Chef d'Escadron ROUBAUD, Commandant la Compagnie de Gendarmerie d'Oran,

à Monsieur le PREFET du département d'Oran,

à O R A N

Référence: Note n° 13944 - Préfecture d'Oran - 13.9.1941.
(Affaires musulmanes)

J'ai l'honneur de vous adresser, ci-dessous, copie du rapport qui m'est envoyé par le Lieutenant Commandant la Section de RELIZANE.

"-J'ai l'honneur de rendre compte de ce que le service "commandé à l'occasion de la fête de SIDI-ABED a été levé "le 18 Septembre 1941, à 9 h.50, le nombre réduit des indi- "gènes demeurés sur les lieux ne justifiant plus une sur- "veillance particulière.

"-Les gendarmes de service qui avaient été spécialement "alertés ne m'ont signalé aucun propos contraire à l'in- "térêt de la France. Au contraire certains cafetiers mau- "res avaient décoré leur tente de drapeaux aux couleurs "nationales.

"-On a même remarqué certains gestes de notables faits "ostensiblement en l'honneur de la France. C'est ainsi "qu'à l'occasion de la rétribution bénévole, des musiciens "et des danseuses, une certaine somme ayant été d'abord "versée, une somme égale était ensuite remise en l'honneur "de la France, et ce sacrifice supplémentaire dédié au re- "lèvement du pays. Le 1er geste de ce genre fut fait par "le Caïd LATROCHE du douar Aïn-el-Guettar et il ne tarda "pas à déchainer une véritable compétition entre les indi- "gènesde bonne condition et des sommes atteignant 10.000 "francs ont été ainsi versées par une même personne.

"-De pareils gestes n'ont sans doute qu'une valeur sym- "bolique mais leur répétition et leur nombre qui ont sans "doute leur source dans l'orgueil des intéressés en sont "arrivés à créer une ambiance patriotique que ne connaît "point habituellement la fête de SIDI-ABED.

"-Au point de vue des moeurs j'avais été averti le 15 "Septembre du désir de M.le Sous-Préfet de ne pas voir "s'installer à SIDI-ABED l'étalage des moeurs dissolues "qui en constituait le caractère essentiel les années pré- "cédentes. Bien que la Gendarmerie n'ait pas été amenée "à relever des délits d'outrage public à la pudeur en rai- "son de la prudence des auteurs qui s'éloignaient consi- "dérablement du lieu de la fête pour commettre leurs ac- "tes, il convient de noter que dès le 15, bon nombre de "prostituées venues du département d'Alger ou de Relizane "étaient déjà sur les lieux et dans la nuit du 15 au 16 "la totalité des pensionnaires des maisons closes de Re- "lizane étaient transportées à SIDI-ABED.

"-En ce qui concerne le service effectué par la Gendar- "merie, j'ai remarqué que la foule rassemblée sur les "lieux comptait un plus grand nombre de sujets douteux

الملحق رقم 03:

مضمون الوثيقة: طلب لنائب الحاكم العام بمستغانم بترخيص بتنظيم زيارة سيدي عابد 1941

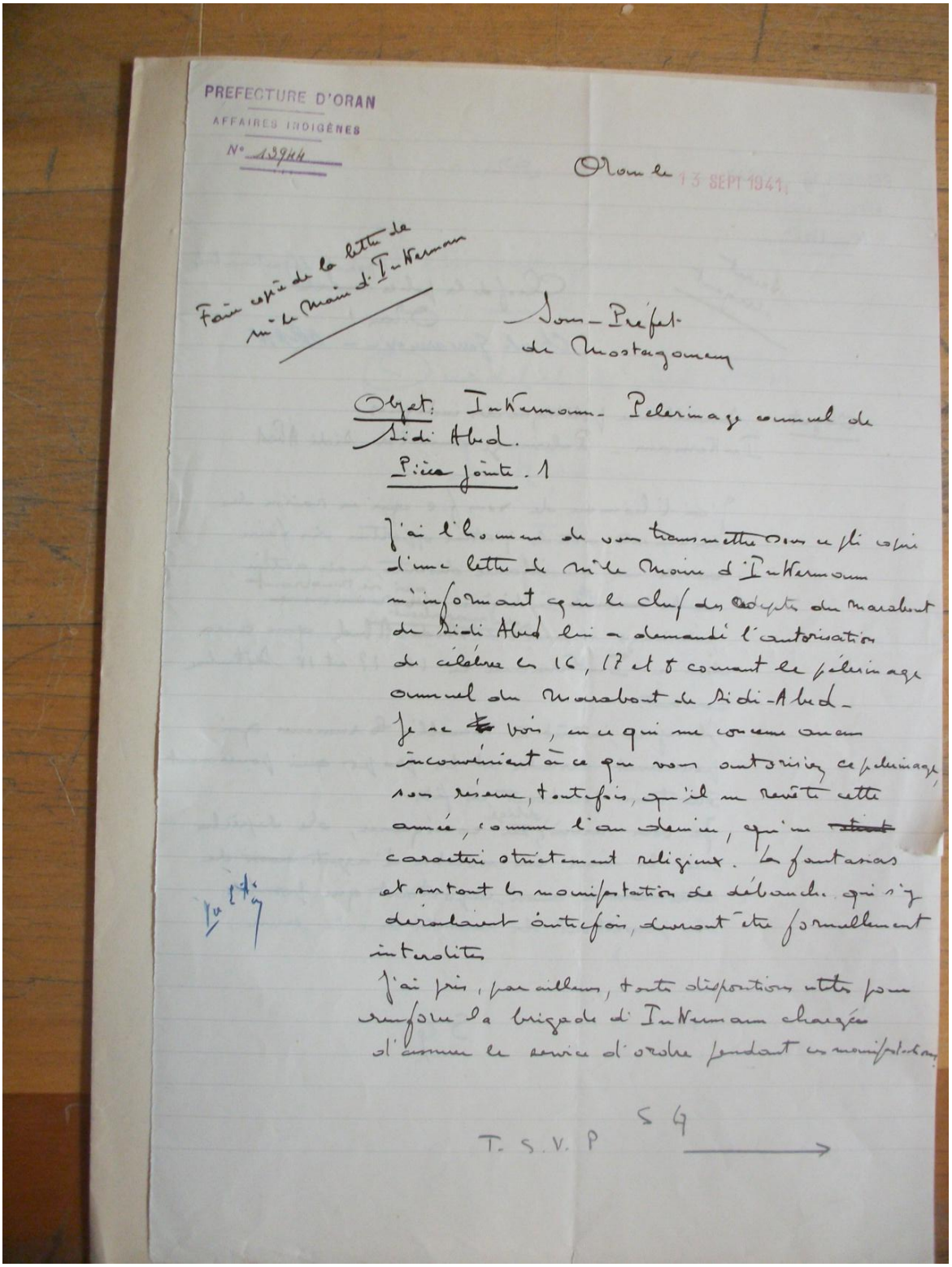

PREFECTURE D'ORAN
AFFAIRES INDIGÈNES
N° 13944

Oran le 13 SEPT 1941.

Faire copie de la lettre de M. le Maire d'In-Kerman

Sous-Préfet de Mostaganem

Objet: In-Kerman - Pèlerinage annuel de Sidi Abed.
Pièce jointe. 1

J'ai l'honneur de vous transmettre ci-joint pli clos d'une lettre de M. le Maire d'In-Kerman m'informant que le chef des adeptes du marabout de Sidi Abed lui a demandé l'autorisation de célébrer les 16, 17 et 18 courant le pèlerinage annuel du Marabout de Sidi-Abed.
Je ne vois, en ce qui me concerne aucun inconvénient à ce que vous autorisiez ce pèlerinage, sous réserve, toutefois, qu'il ne revête cette année, comme l'an dernier, qu'un caractère strictement religieux. La fantasias et autant la manifestation de débauche qui s'y déroulaient autrefois, devront être formellement interdites.
J'ai pris, par ailleurs, toute disposition utile pour renforcer la brigade d'In-Kerman chargée d'assurer le service d'ordre pendant ces manifestations.

T. S. V. P →

الملحق رقم 04:

مضمون الوثيقة: تقرير أمني مفصل حول زيارة سيدي عابد موسم 1940

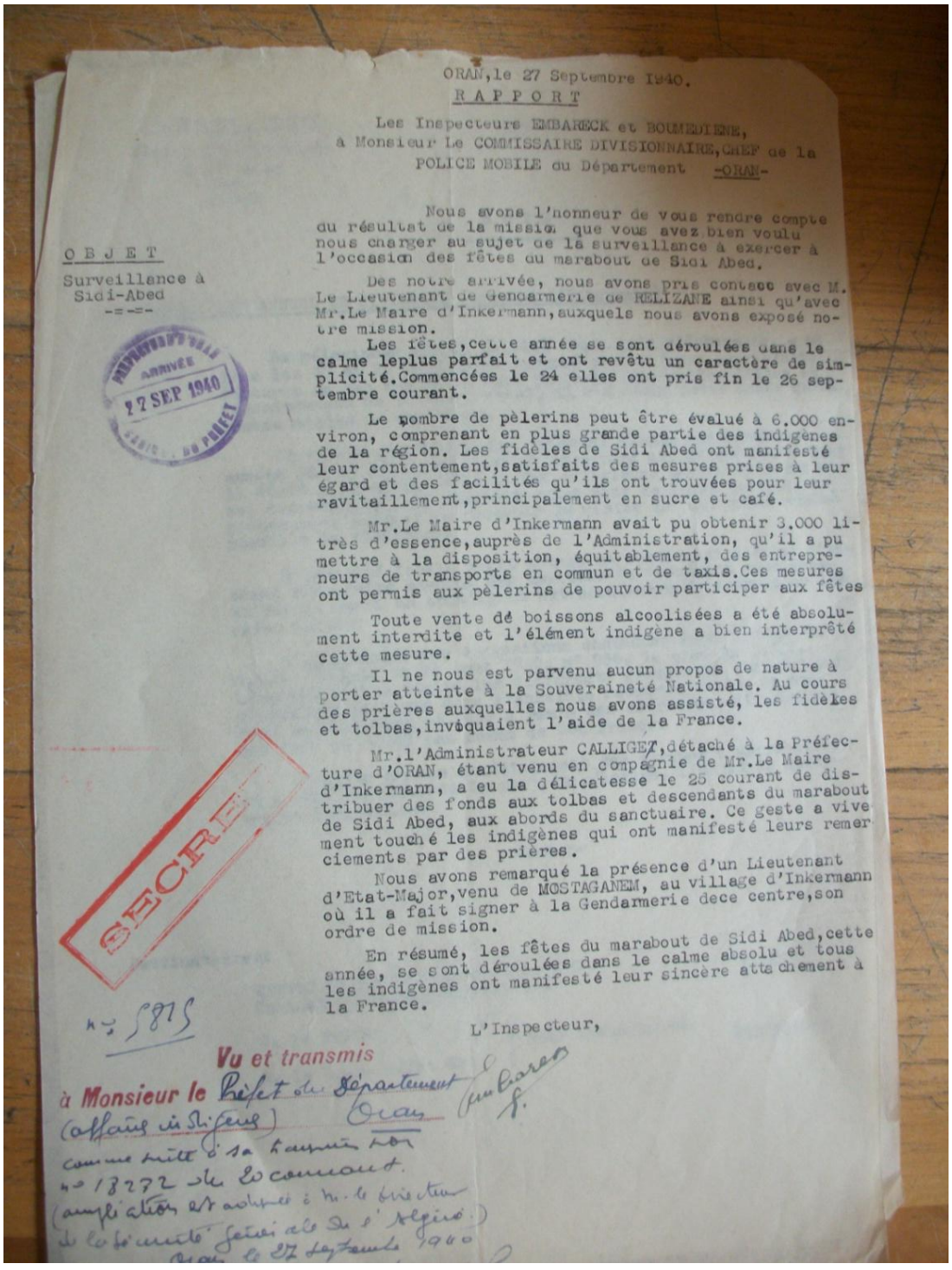

ORAN, le 27 Septembre 1940.

RAPPORT

Les Inspecteurs EMBAREK et BOUMEDIENE,
à Monsieur Le COMMISSAIRE DIVISIONNAIRE, CHEF de la POLICE MOBILE du Département -ORAN-

OBJET
Surveillance à Sidi-Abed
-=-=-

Nous avons l'honneur de vous rendre compte du résultat de la mission que vous avez bien voulu nous charger au sujet de la surveillance à exercer à l'occasion des fêtes du marabout de Sidi Abed.

Dès notre arrivée, nous avons pris contact avec M. Le Lieutenant de Gendarmerie de RELIZANE ainsi qu'avec Mr. Le Maire d'Inkermann, auxquels nous avons exposé notre mission.

Les fêtes, cette année se sont déroulées dans le calme leplus parfait et ont revêtu un caractère de simplicité. Commencées le 24 elles ont pris fin le 26 septembre courant.

Le nombre de pèlerins peut être évalué à 6.000 environ, comprenant en plus grande partie des indigènes de la région. Les fidèles de Sidi Abed ont manifesté leur contentement, satisfaits des mesures prises à leur égard et des facilités qu'ils ont trouvées pour leur ravitaillement, principalement en sucre et café.

Mr. Le Maire d'Inkermann avait pu obtenir 3.000 litrès d'essence, auprès de l'Administration, qu'il a pu mettre à la disposition, équitablement, des entrepreneurs de transports en commun et de taxis. Ces mesures ont permis aux pèlerins de pouvoir participer aux fêtes

Toute vente de boissons alcoolisées a été absolument interdite et l'élément indigène a bien interprêté cette mesure.

Il ne nous est parvenu aucun propos de nature à porter atteinte à la Souveraineté Nationale. Au cours des prières auxquelles nous avons assisté, les fidèles et tolbas, invoquaient l'aide de la France.

Mr. l'Administrateur CALLIGET, détaché à la Préfecture d'ORAN, étant venu en compagnie de Mr. Le Maire d'Inkermann, a eu la délicatesse le 25 courant de distribuer des fonds aux tolbas et descendants du marabout de Sidi Abed, aux abords du sanctuaire. Ce geste a vivement touché les indigènes qui ont manifesté leurs remerciements par des prières.

Nous avons remarqué la présence d'un Lieutenant d'Etat-Major, venu de MOSTAGANEM, au village d'Inkermann où il a fait signer à la Gendarmerie dece centre, son ordre de mission.

En résumé, les fêtes du marabout de Sidi Abed, cette année, se sont déroulées dans le calme absolu et tous les indigènes ont manifesté leur sincère attachement à la France.

L'Inspecteur,

PRÉFECTURE D'ORAN ARRIVÉE 27 SEP 1940 SERVICE DU PERSONNEL

SECRET

N° 5815

Vu et transmis à Monsieur le Préfet du Département d'Oran (Affaires Indigènes) comme suite à sa lettre N° n° 18272 du 28 courant. (ampliation est adressée à M. le Directeur de la Sûreté Générale de l'Algérie.) Oran le 27 Septembre 1940

الملحق رقم 05:

مضمون الوثيقة: طلب رئيس بلدية انكرمان التغطية الأمنية لزيارة سيدي عابد 1938

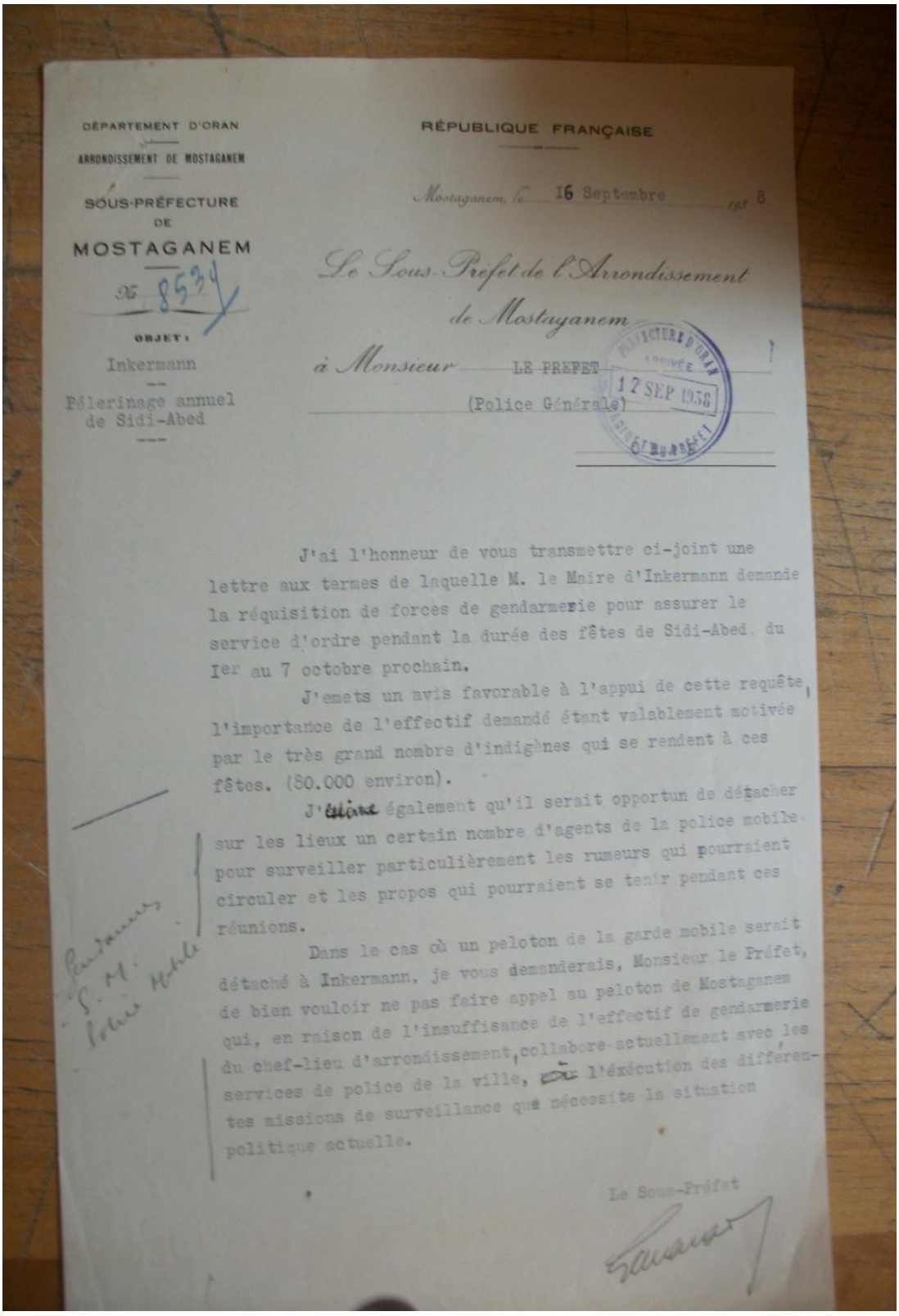

DÉPARTEMENT D'ORAN
ARRONDISSEMENT DE MOSTAGANEM
SOUS-PRÉFECTURE DE MOSTAGANEM
N° 8534
OBJET :
Inkermann
--
Pélerinage annuel de Sidi-Abed

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

Mostaganem, le 16 Septembre 1938

Le Sous-Préfet de l'Arrondissement de Mostaganem

à Monsieur LE PREFET (Police Générale)

PRÉFECTURE D'ORAN REÇU LE 17 SEP 1938 BUREAU

J'ai l'honneur de vous transmettre ci-joint une lettre aux termes de laquelle M. le Maire d'Inkermann demande la réquisition de forces de gendarmerie pour assurer le service d'ordre pendant la durée des fêtes de Sidi-Abed, du 1er au 7 octobre prochain.

J'emets un avis favorable à l'appui de cette requête, l'importance de l'effectif demandé étant valablement motivée par le très grand nombre d'indigènes qui se rendent à ces fêtes. (80.000 environ).

J'estime également qu'il serait opportun de détacher sur les lieux un certain nombre d'agents de la police mobile, pour surveiller particulièrement les rumeurs qui pourraient circuler et les propos qui pourraient se tenir pendant ces réunions.

Dans le cas où un peloton de la garde mobile serait détaché à Inkermann, je vous demanderais, Monsieur le Préfet, de bien vouloir ne pas faire appel au peloton de Mostaganem qui, en raison de l'insuffisance de l'effectif de gendarmerie du chef-lieu d'arrondissement, collabore actuellement avec les services de police de la ville, à l'éxécution des différentes missions de surveillance que nécessite la situation politique actuelle.

Le Sous-Préfet

الملحق رقم 06

مضمون الوثيقة: تقرير امني مفصل صادر عن الدرك الوطني حول زيارة سيدي عابد لموسم 1937

Rapport du capitaine Dutheil directeur de service d'ordre a Sidi Aded sur les fêtes maraboutique de Sidi Abed,comune d'Inkerman

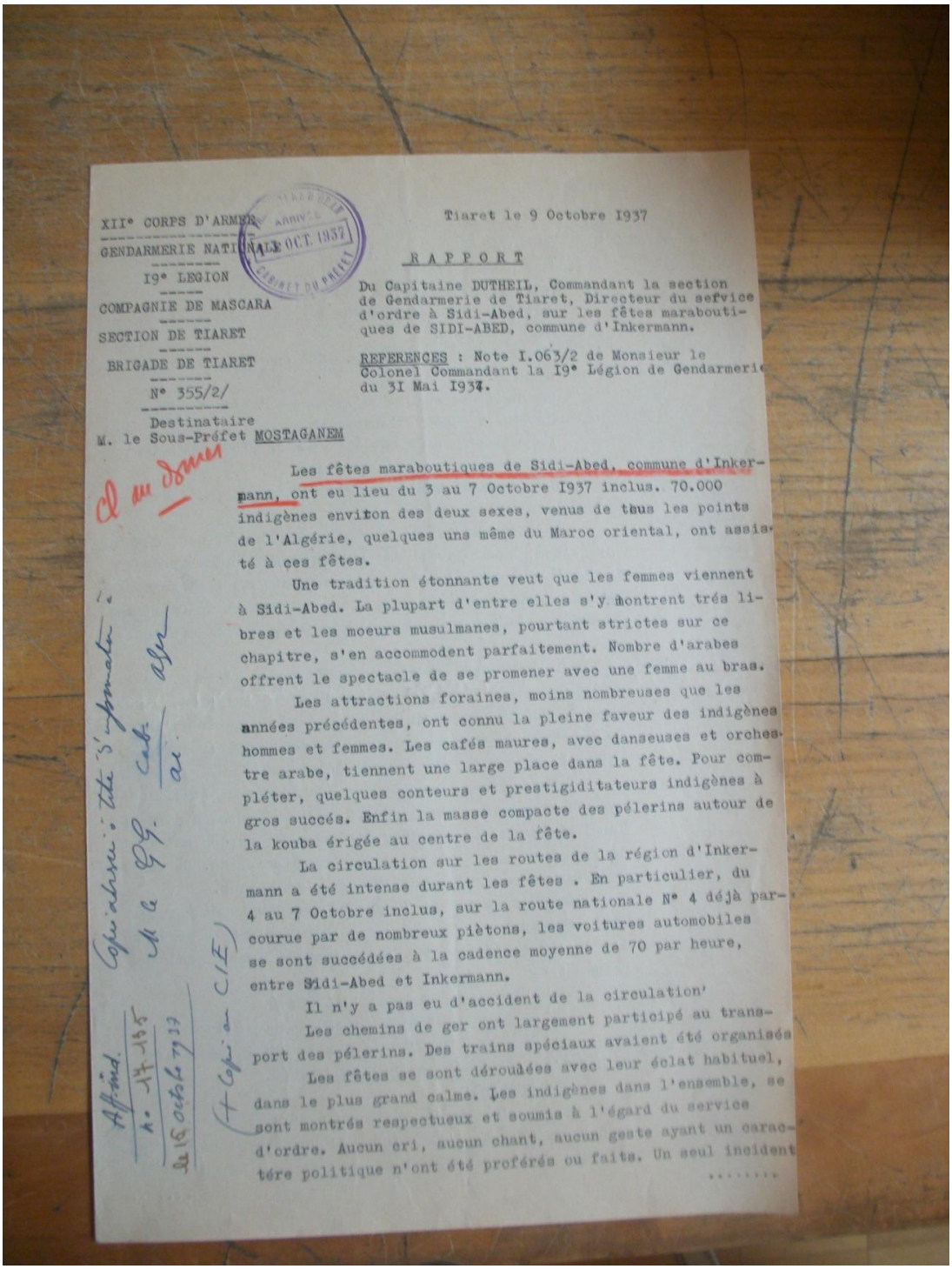

XII° CORPS D'ARMEE
GENDARMERIE NATIONALE
I9° LEGION
COMPAGNIE DE MASCARA
SECTION DE TIARET
BRIGADE DE TIARET
N° 355/2/

Destinataire
M. le Sous-Préfet MOSTAGANEM

Tiaret le 9 Octobre I937

RAPPORT

Du Capitaine DUTHEIL, Commandant la section de Gendarmerie de Tiaret, Directeur du sefvice d'ordre à Sidi-Abed, sur les fêtes maraboutiques de SIDI-ABED, commune d'Inkermann.

REFERENCES : Note I.063/2 de Monsieur le Colonel Commandant la I9° Légion de Gendarmerie du 3I Mai I937.

Les fêtes maraboutiques de Sidi-Abed, commune d'Inkermann, ont eu lieu du 3 au 7 Octobre I937 inclus. 70.000 indigènes environ des deux sexes, venus de tous les points de l'Algérie, quelques uns même du Maroc oriental, ont assisté à ces fêtes.

Une tradition étonnante veut que les femmes viennent à Sidi-Abed. La plupart d'entre elles s'y montrent trés libres et les moeurs musulmanes, pourtant strictes sur ce chapitre, s'en accommodent parfaitement. Nombre d'arabes offrent le spectacle de se promener avec une femme au bras.

Les attractions foraines, moins nombreuses que les années précédentes, ont connu la pleine faveur des indigènes hommes et femmes. Les cafés maures, avec danseuses et orchestre arabe, tiennent une large place dans la fête. Pour compléter, quelques conteurs et prestigiditateurs indigènes à gros succés. Enfin la masse compacte des pélerins autour de la kouba érigée au centre de la fête.

La circulation sur les routes de la région d'Inkermann a été intense durant les fêtes . En particulier, du 4 au 7 Octobre inclus, sur la route nationale N° 4 déjà parcourue par de nombreux piètons, les voitures automobiles se sont succédées à la cadence moyenne de 70 par heure, entre Sidi-Abed et Inkermann.

Il n'y a pas eu d'accident de la circulation'

Les chemins de ger ont largement participé au transport des pélerins. Des trains spéciaux avaient été organisés

Les fêtes se sont déroulées avec leur éclat habituel, dans le plus grand calme. Les indigènes dans l'ensemble, se sont montrés respectueux et soumis à l'égard du service d'ordre. Aucun cri, aucun chant, aucun geste ayant un caractére politique n'ont été proférés ou faits. Un seul incident

.....

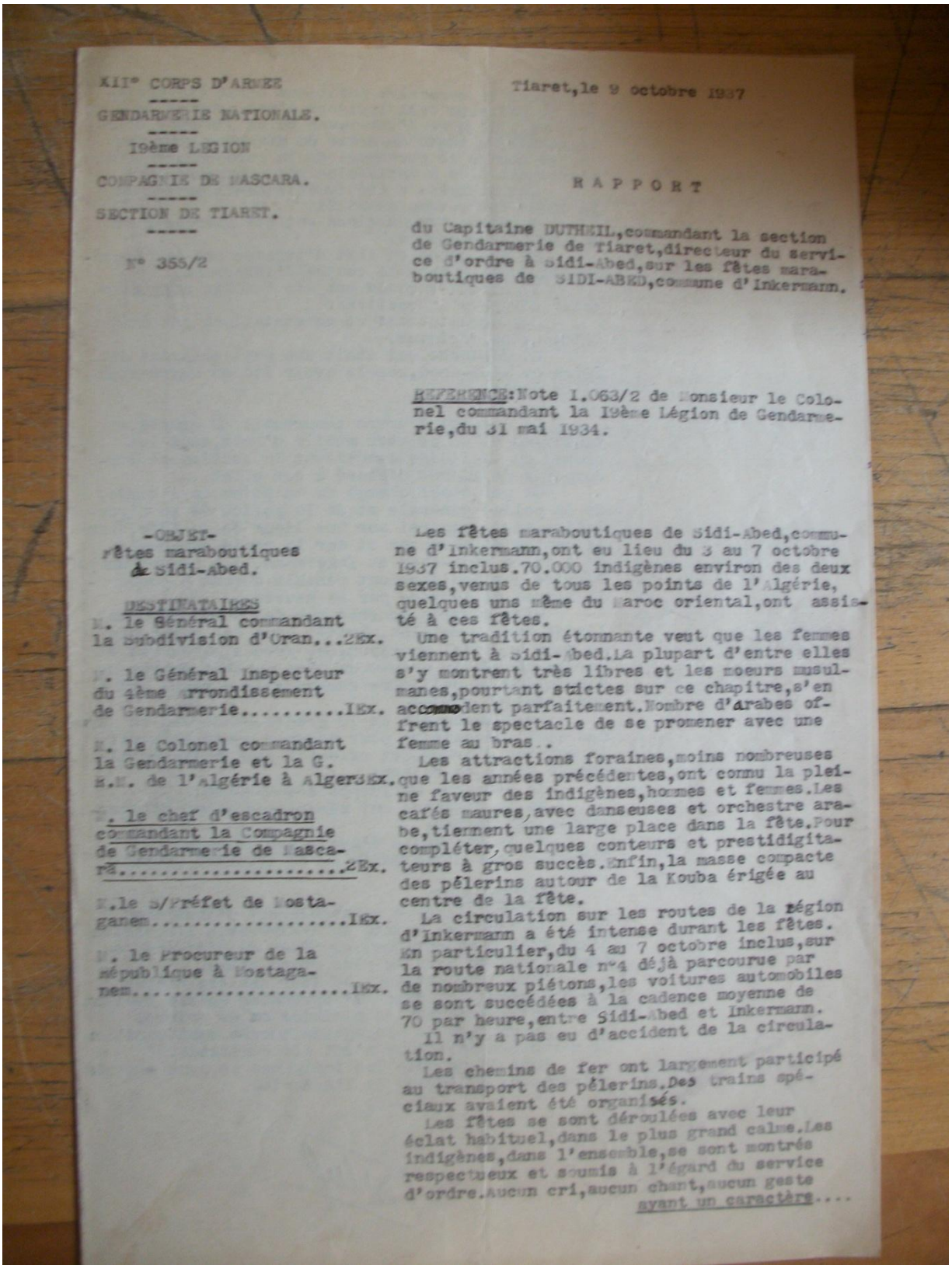

XII° CORPS D'ARMEE
GENDARMERIE NATIONALE.
19ème LEGION
COMPAGNIE DE MASCARA.
SECTION DE TIARET.

N° 355/2

Tiaret, le 9 octobre 1937

RAPPORT

du Capitaine DUTHEIL, commandant la section de Gendarmerie de Tiaret, directeur du service d'ordre à Sidi-Abed, sur les fêtes maraboutiques de SIDI-ABED, commune d'Inkermann.

REFERENCE: Note 1.063/2 de Monsieur le Colonel commandant la 19ème Légion de Gendarmerie, du 31 mai 1934.

-OBJET-
Fêtes maraboutiques de Sidi-Abed.

DESTINATAIRES
M. le Général commandant la Subdivision d'Oran...2Ex.
M. le Général Inspecteur du 4ème Arrondissement de Gendarmerie.....1Ex.
M. le Colonel commandant la Gendarmerie et la G.N.M. de l'Algérie à Alger3Ex.
M. le chef d'escadron commandant la Compagnie de Gendarmerie de Mascara.....2Ex.
M. le S/Préfet de Mostaganem.....1Ex.
M. le Procureur de la République à Mostaganem.....1Ex.

Les fêtes maraboutiques de Sidi-Abed, commune d'Inkermann, ont eu lieu du 3 au 7 octobre 1937 inclus. 70.000 indigènes environ des deux sexes, venus de tous les points de l'Algérie, quelques uns même du Maroc oriental, ont assisté à ces fêtes.

Une tradition étonnante veut que les femmes viennent à Sidi-Abed. La plupart d'entre elles s'y montrent très libres et les moeurs musulmanes, pourtant strictes sur ce chapitre, s'en accommodent parfaitement. Nombre d'arabes offrent le spectacle de se promener avec une femme au bras..

Les attractions foraines, moins nombreuses que les années précédentes, ont connu la pleine faveur des indigènes, hommes et femmes. Les cafés maures, avec danseuses et orchestre arabe, tiennent une large place dans la fête. Pour compléter, quelques conteurs et prestidigitateurs à gros succès. Enfin, la masse compacte des pélerins autour de la Kouba érigée au centre de la fête.

La circulation sur les routes de la région d'Inkermann a été intense durant les fêtes. En particulier, du 4 au 7 octobre inclus, sur la route nationale n°4 déjà parcourue par de nombreux piétons, les voitures automobiles se sont succédées à la cadence moyenne de 70 par heure, entre Sidi-Abed et Inkermann.

Il n'y a pas eu d'accident de la circulation.

Les chemins de fer ont largement participé au transport des pélerins. Des trains spéciaux avaient été organisés.

Les fêtes se sont déroulées avec leur éclat habituel, dans le plus grand calme. Les indigènes, dans l'ensemble, se sont montrés respectueux et soumis à l'égard du service d'ordre. Aucun cri, aucun chant, aucun geste ayant un caractère....

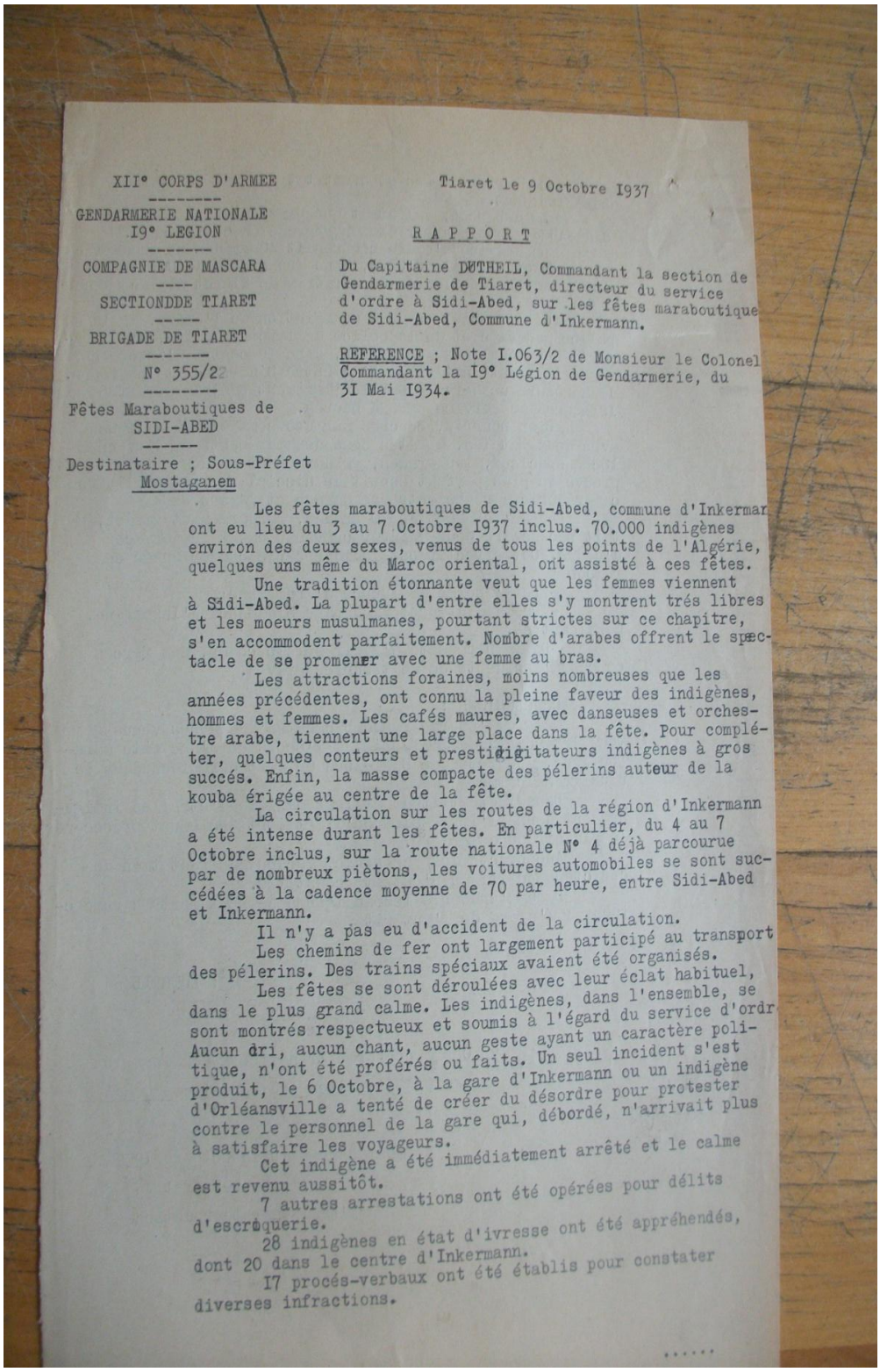

XII° CORPS D'ARMEE
GENDARMERIE NATIONALE
I9° LEGION
COMPAGNIE DE MASCARA
SECTIONDDE TIARET
BRIGADE DE TIARET
N° 355/2
Fêtes Maraboutiques de SIDI-ABED

Destinataire ; Sous-Préfet Mostaganem

Tiaret le 9 Octobre I937

RAPPORT

Du Capitaine DUTHEIL, Commandant la section de Gendarmerie de Tiaret, directeur du service d'ordre à Sidi-Abed, sur les fêtes maraboutique de Sidi-Abed, Commune d'Inkermann.

REFERENCE ; Note I.063/2 de Monsieur le Colonel Commandant la I9° Légion de Gendarmerie, du 3I Mai I934.

Les fêtes maraboutiques de Sidi-Abed, commune d'Inkermar ont eu lieu du 3 au 7 Octobre I937 inclus. 70.000 indigènes environ des deux sexes, venus de tous les points de l'Algérie, quelques uns même du Maroc oriental, ont assisté à ces fêtes.

Une tradition étonnante veut que les femmes viennent à Sidi-Abed. La plupart d'entre elles s'y montrent trés libres et les moeurs musulmanes, pourtant strictes sur ce chapitre, s'en accommodent parfaitement. Nombre d'arabes offrent le spectacle de se promener avec une femme au bras.

Les attractions foraines, moins nombreuses que les années précédentes, ont connu la pleine faveur des indigènes, hommes et femmes. Les cafés maures, avec danseuses et orchestre arabe, tiennent une large place dans la fête. Pour compléter, quelques conteurs et prestidigitateurs indigènes à gros succés. Enfin, la masse compacte des pélerins auteur de la kouba érigée au centre de la fête.

La circulation sur les routes de la région d'Inkermann a été intense durant les fêtes. En particulier, du 4 au 7 Octobre inclus, sur la route nationale N° 4 déjà parcourue par de nombreux piètons, les voitures automobiles se sont succédées à la cadence moyenne de 70 par heure, entre Sidi-Abed et Inkermann.

Il n'y a pas eu d'accident de la circulation.

Les chemins de fer ont largement participé au transport des pélerins. Des trains spéciaux avaient été organisés.

Les fêtes se sont déroulées avec leur éclat habituel, dans le plus grand calme. Les indigènes, dans l'ensemble, se sont montrés respectueux et soumis à l'égard du service d'ordr Aucun dri, aucun chant, aucun geste ayant un caractère politique, n'ont été proférés ou faits. Un seul incident s'est produit, le 6 Octobre, à la gare d'Inkermann ou un indigène d'Orléansville a tenté de créer du désordre pour protester contre le personnel de la gare qui, débordé, n'arrivait plus à satisfaire les voyageurs.

Cet indigène a été immédiatement arrêté et le calme est revenu aussitôt.

7 autres arrestations ont été opérées pour délits d'escroquerie.

28 indigènes en état d'ivresse ont été appréhendés, dont 20 dans le centre d'Inkermann.

I7 procés-verbaux ont été établis pour constater diverses infractions.

.....

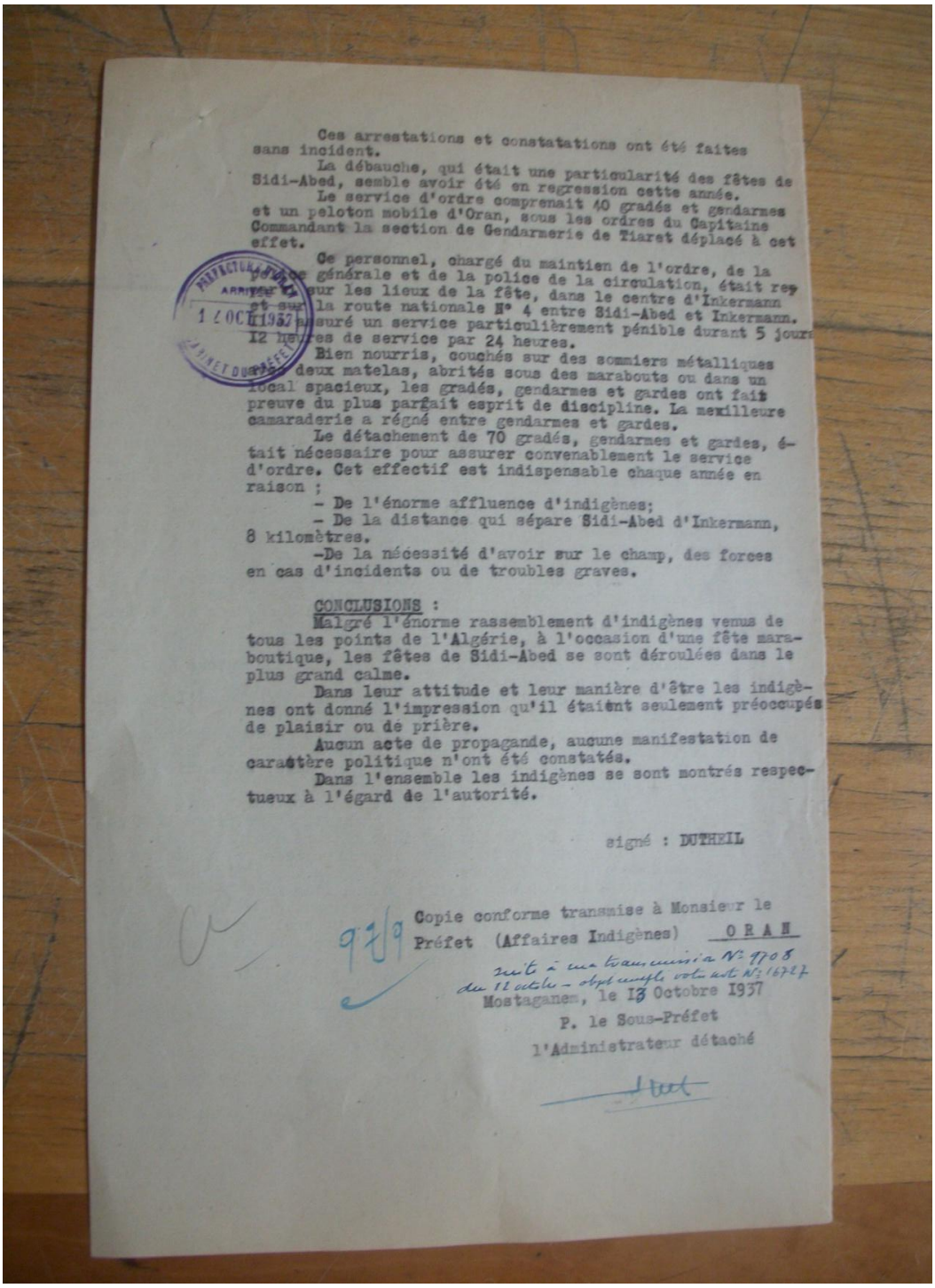

Ces arrestations et constatations ont été faites sans incident.

La débauche, qui était une particularité des fêtes de Sidi-Abed, semble avoir été en regression cette année.

Le service d'ordre comprenait 40 gradés et gendarmes et un peloton mobile d'Oran, sous les ordres du Capitaine Commandant la section de Gendarmerie de Tiaret déplacé à cet effet.

Ce personnel, chargé du maintien de l'ordre, de la police générale et de la police de la circulation, était re- sur les lieux de la fête, dans le centre d'Inkermann et sur la route nationale N° 4 entre Sidi-Abed et Inkermann. assuré un service particulièrement pénible durant 5 jours 12 heures de service par 24 heures.

Bien nourris, couchés sur des sommiers métalliques deux matelas, abrités sous des marabouts ou dans un local spacieux, les gradés, gendarmes et gardes ont fait preuve du plus parfait esprit de discipline. La meilleure camaraderie a régné entre gendarmes et gardes.

Le détachement de 70 gradés, gendarmes et gardes, était nécessaire pour assurer convenablement le service d'ordre. Cet effectif est indispensable chaque année en raison ;

- De l'énorme affluence d'indigènes;
- De la distance qui sépare Sidi-Abed d'Inkermann, 8 kilomètres.
- De la nécessité d'avoir sur le champ, des forces en cas d'incidents ou de troubles graves.

CONCLUSIONS :

Malgré l'énorme rassemblement d'indigènes venus de tous les points de l'Algérie, à l'occasion d'une fête maraboutique, les fêtes de Sidi-Abed se sont déroulées dans le plus grand calme.

Dans leur attitude et leur manière d'être les indigènes ont donné l'impression qu'il étaient seulement préoccupés de plaisir ou de prière.

Aucun acte de propagande, aucune manifestation de caractère politique n'ont été constatés.

Dans l'ensemble les indigènes se sont montrés respectueux à l'égard de l'autorité.

signé : DUTHEIL

Copie conforme transmise à Monsieur le Préfet (Affaires Indigènes) ORAN

suite à ma transmission N° 9708 du 12 octobre - objet analogue votre ref N° 16727

Mostaganem, le 13 Octobre 1937

P. le Sous-Préfet

l'Administrateur détaché

الملحق رقم 07:

مضمون الوثيقة: تقرير صادر عن رئيس بلدية انكرمان حول زيارة سيدي عابد لموسم 1937

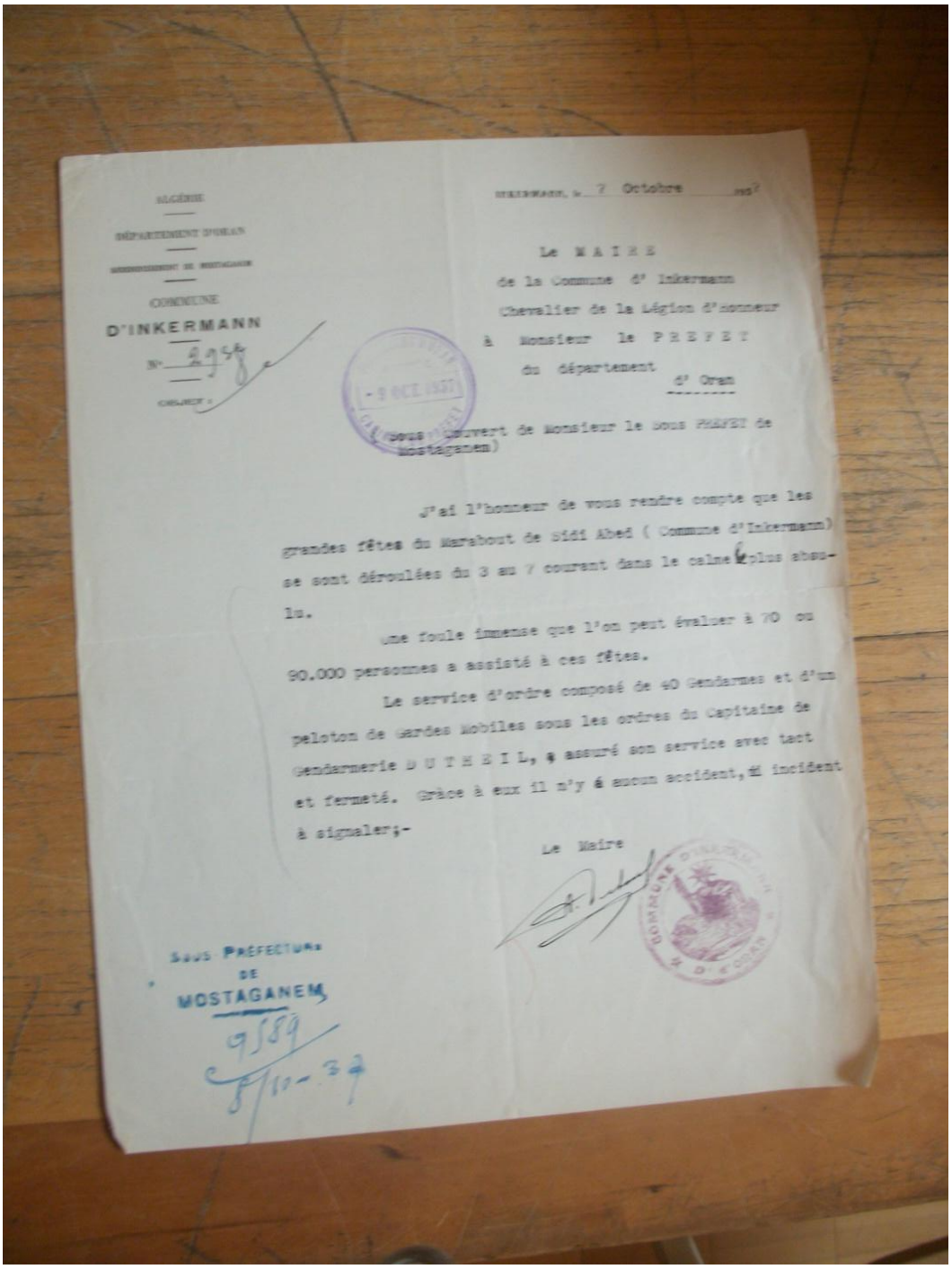

ALGÉRIE
DÉPARTEMENT D'ORAN
COMMUNE
D'INKERMANN
N° 2058

Inkermann, le 7 Octobre 1937

Le MAIRE
de la Commune d' Inkermann
Chevalier de la Légion d'honneur
à Monsieur le PREFET
du département d' Oran

(Sous couvert de Monsieur le Sous PREFET de Mostaganem)

J'ai l'honneur de vous rendre compte que les grandes fêtes du Marabout de Sidi Abed (Commune d'Inkermann) se sont déroulées du 3 au 7 courant dans le calme le plus absolu.

Une foule immense que l'on peut évaluer à 70 ou 90.000 personnes a assisté à ces fêtes.

Le service d'ordre composé de 40 Gendarmes et d'un peloton de Gardes Mobiles sous les ordres du Capitaine de Gendarmerie DUTHEIL, a assuré son service avec tact et fermeté. Grâce à eux il n'y a eu aucun accident, ni incident à signaler.

Le Maire

COMMUNE D'INKERMANN (ORAN)

SOUS PRÉFECTURE
DE
MOSTAGANEM
9589
5/10-37

الملحق رقم 08:

مضمون الوثيقة: تقرير أمني صادر عن الدرك الوطني لغليزان حول زيارة سيدي عابد لموسم 1935

Rapport de l'adjudant Manjin comandant provisoirement la section de Relizane sur les fêtes maraboutique de Sidi Abed

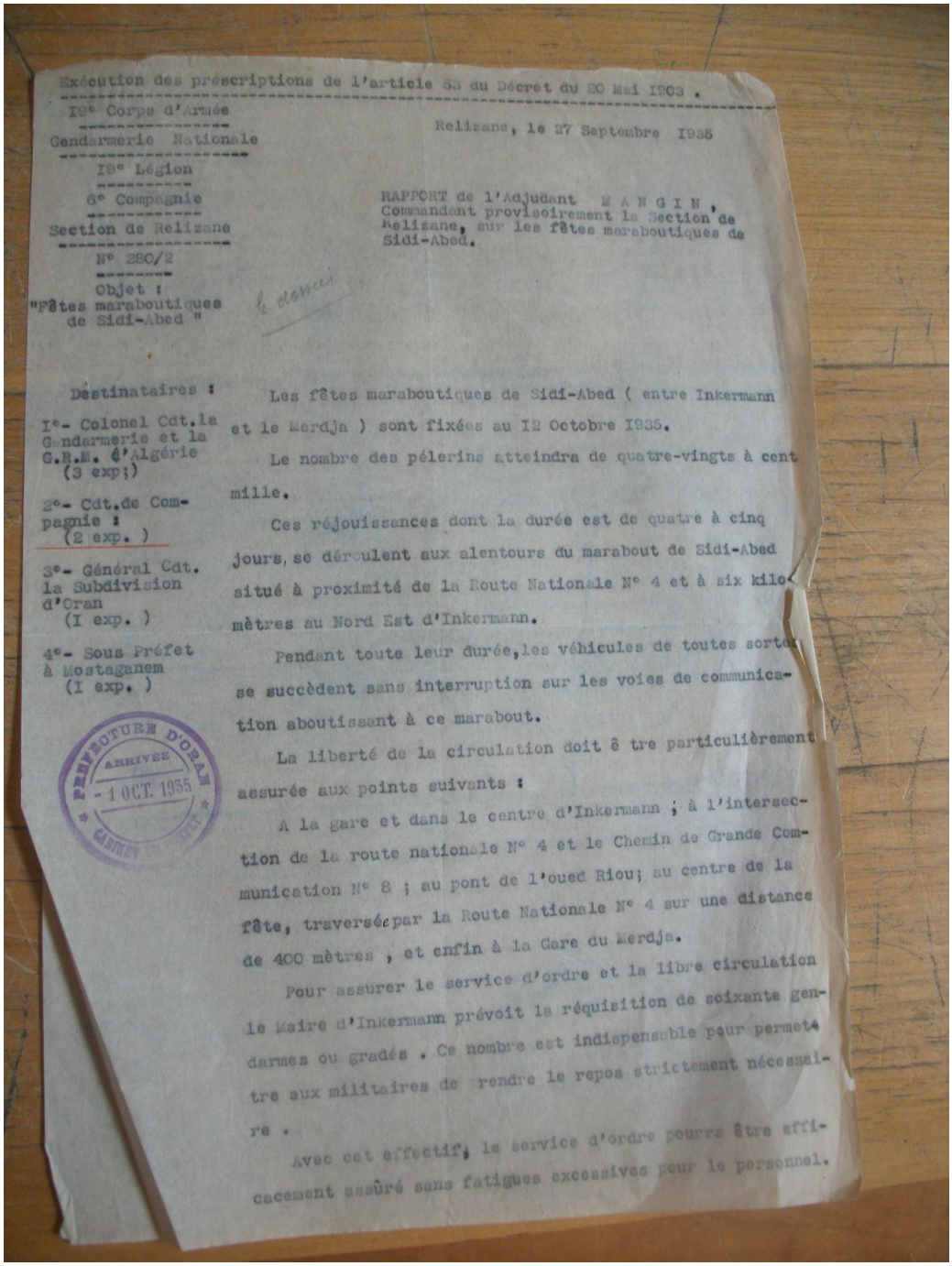

Exécution des prescriptions de l'article 53 du Décret du 20 Mai 1903 .

19e Corps d'Armée
Gendarmerie Nationale
19e Légion
6e Compagnie
Section de Relizane
N° 280/2
Objet :
"fêtes maraboutiques de Sidi-Abed "

Relizane, le 27 Septembre 1935

RAPPORT de l'Adjudant M A N G I N, Commandant provisoirement la Section de Relizane, sur les fêtes maraboutiques de Sidi-Abed.

Destinataires :

1e- Colonel Cdt.la Gendarmerie et la G.R.M. d'Algérie (3 exp;)

2e- Cdt.de Compagnie : (2 exp.)

3e- Général Cdt. la Subdivision d'Oran (I exp.)

4e- Sous Préfet à Mostaganem (I exp.)

PREFECTURE D'ORAN ARRIVÉE - 1 OCT. 1935 CABINET

Les fêtes maraboutiques de Sidi-Abed (entre Inkermann et le Merdja) sont fixées au 12 Octobre 1935.

Le nombre des pélerins atteindra de quatre-vingts à cent mille.

Ces réjouissances dont la durée est de quatre à cinq jours, se déroulent aux alentours du marabout de Sidi-Abed situé à proximité de la Route Nationale N° 4 et à six kilomètres au Nord Est d'Inkermann.

Pendant toute leur durée, les véhicules de toutes sortes se succèdent sans interruption sur les voies de communication aboutissant à ce marabout.

La liberté de la circulation doit être particulièrement assurée aux points suivants :

A la gare et dans le centre d'Inkermann ; à l'intersection de la route nationale N° 4 et le Chemin de Grande Communication N° 8 ; au pont de l'oued Riou; au centre de la fête, traversée par la Route Nationale N° 4 sur une distance de 400 mètres , et enfin à la Gare du Merdja.

Pour assurer le service d'ordre et la libre circulation le Maire d'Inkermann prévoit la réquisition de soixante gendarmes ou gradés . Ce nombre est indispensable pour permettre aux militaires de prendre le repos strictement nécessaire .

Avec cet effectif, le service d'ordre pourra être efficacement assuré sans fatigues excessives pour le personnel.

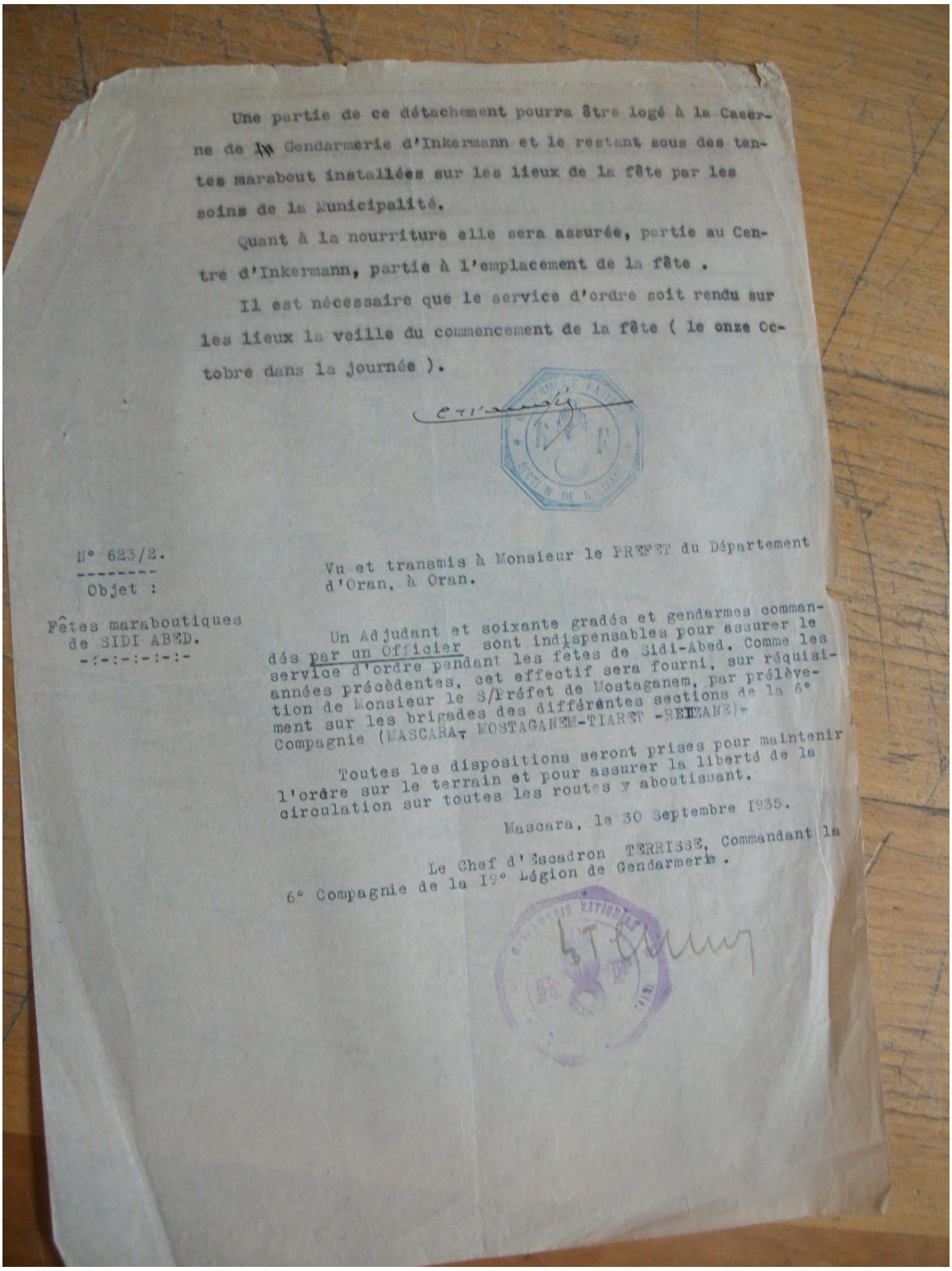

Une partie de ce détachement pourra être logé à la Caserne de la Gendarmerie d'Inkermann et le restant sous des tentes marabout installées sur les lieux de la fête par les soins de la Municipalité.

Quant à la nourriture elle sera assurée, partie au Centre d'Inkermann, partie à l'emplacement de la fête .

Il est nécessaire que le service d'ordre soit rendu sur les lieux la veille du commencement de la fête (le onze Octobre dans la journée).

N° 623/2.

Objet :

Fêtes maraboutiques de SIDI ABED.
-:-:-:-:-:-

Vu et transmis à Monsieur le PREFET du Département d'Oran, à Oran.

Un Adjudant et soixante gradés et gendarmes commandés par un Officier sont indispensables pour assurer le service d'ordre pendant les fêtes de Sidi-Abed. Comme les années précédentes, cet effectif sera fourni, sur réquisition de Monsieur le S/Préfet de Mostaganem, par prélèvement sur les brigades des différentes sections de la 6e Compagnie (MASCARA, MOSTAGANEM-TIARET -RELIZANE)-

Toutes les dispositions seront prises pour maintenir l'ordre sur le terrain et pour assurer la liberté de la circulation sur toutes les routes y aboutissant.

Mascara, le 30 Septembre 1935.

Le Chef d'Escadron TERRISSE, Commandant la 6e Compagnie de la 19e Légion de Gendarmerie .

الملحق رقم 09:

مضمون الوثيقة: تقرير حول بيع الأسلحة في زيارة سيدي عابد لموسم1934 /12/27

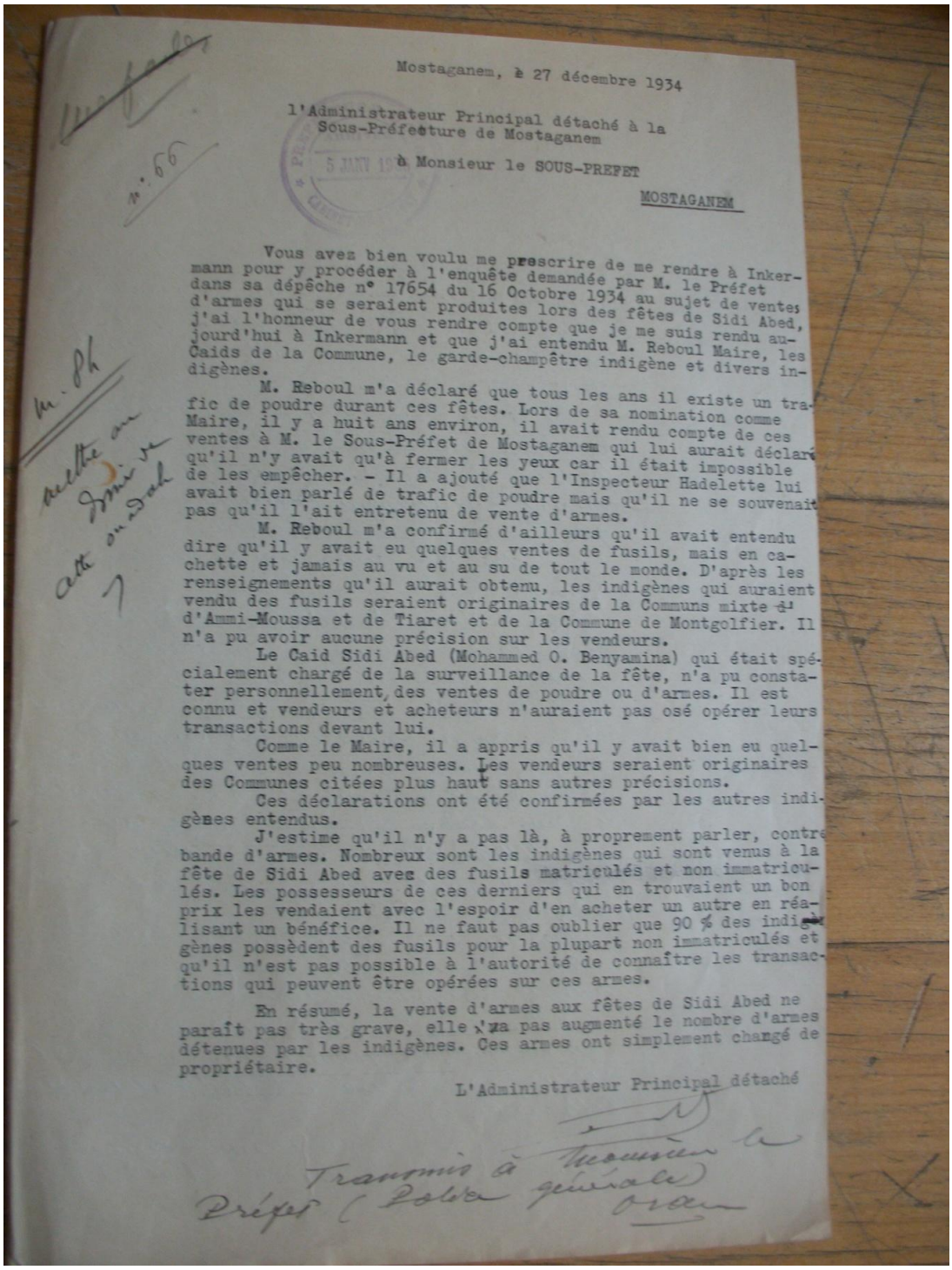

Mostaganem, le 27 décembre 1934

l'Administrateur Principal détaché à la
Sous-Préfecture de Mostaganem

à Monsieur le SOUS-PREFET

MOSTAGANEM

Vous avez bien voulu me prescrire de me rendre à Inkermann pour y procéder à l'enquête demandée par M. le Préfet dans sa dépêche n° 17654 du 16 Octobre 1934 au sujet de ventes d'armes qui se seraient produites lors des fêtes de Sidi Abed, j'ai l'honneur de vous rendre compte que je me suis rendu aujourd'hui à Inkermann et que j'ai entendu M. Reboul Maire, les Caids de la Commune, le garde-champêtre indigène et divers indigènes.

M. Reboul m'a déclaré que tous les ans il existe un trafic de poudre durant ces fêtes. Lors de sa nomination comme Maire, il y a huit ans environ, il avait rendu compte de ces ventes à M. le Sous-Préfet de Mostaganem qui lui aurait déclaré qu'il n'y avait qu'à fermer les yeux car il était impossible de les empêcher. - Il a ajouté que l'Inspecteur Hadelette lui avait bien parlé de trafic de poudre mais qu'il ne se souvenait pas qu'il l'ait entretenu de vente d'armes.

M. Reboul m'a confirmé d'ailleurs qu'il avait entendu dire qu'il y avait eu quelques ventes de fusils, mais en cachette et jamais au vu et au su de tout le monde. D'après les renseignements qu'il aurait obtenu, les indigènes qui auraient vendu des fusils seraient originaires de la Communs mixte d'Ammi-Moussa et de Tiaret et de la Commune de Montgolfier. Il n'a pu avoir aucune précision sur les vendeurs.

Le Caid Sidi Abed (Mohammed O. Benyamina) qui était spécialement chargé de la surveillance de la fête, n'a pu constater personnellement des ventes de poudre ou d'armes. Il est connu et vendeurs et acheteurs n'auraient pas osé opérer leurs transactions devant lui.

Comme le Maire, il a appris qu'il y avait bien eu quelques ventes peu nombreuses. Les vendeurs seraient originaires des Communes citées plus haut sans autres précisions.

Ces déclarations ont été confirmées par les autres indigènes entendus.

J'estime qu'il n'y a pas là, à proprement parler, contre bande d'armes. Nombreux sont les indigènes qui sont venus à la fête de Sidi Abed avec des fusils matriculés et non immatriculés. Les possesseurs de ces derniers qui en trouvaient un bon prix les vendaient avec l'espoir d'en acheter un autre en réalisant un bénéfice. Il ne faut pas oublier que 90 % des indigènes possèdent des fusils pour la plupart non immatriculés et qu'il n'est pas possible à l'autorité de connaître les transactions qui peuvent être opérées sur ces armes.

En résumé, la vente d'armes aux fêtes de Sidi Abed ne paraît pas très grave, elle n'a pas augmenté le nombre d'armes détenues par les indigènes. Ces armes ont simplement changé de propriétaire.

L'Administrateur Principal détaché

Transmis à Monsieur le Préfet (Police générale) Oran

الملحق رقم 10:

مضمون الوثيقة: تقرير حول بيع الأسلحة في زيارة سيدي عابد لموسم1934/12/31

Rapport du surveillance a Sidi Abed

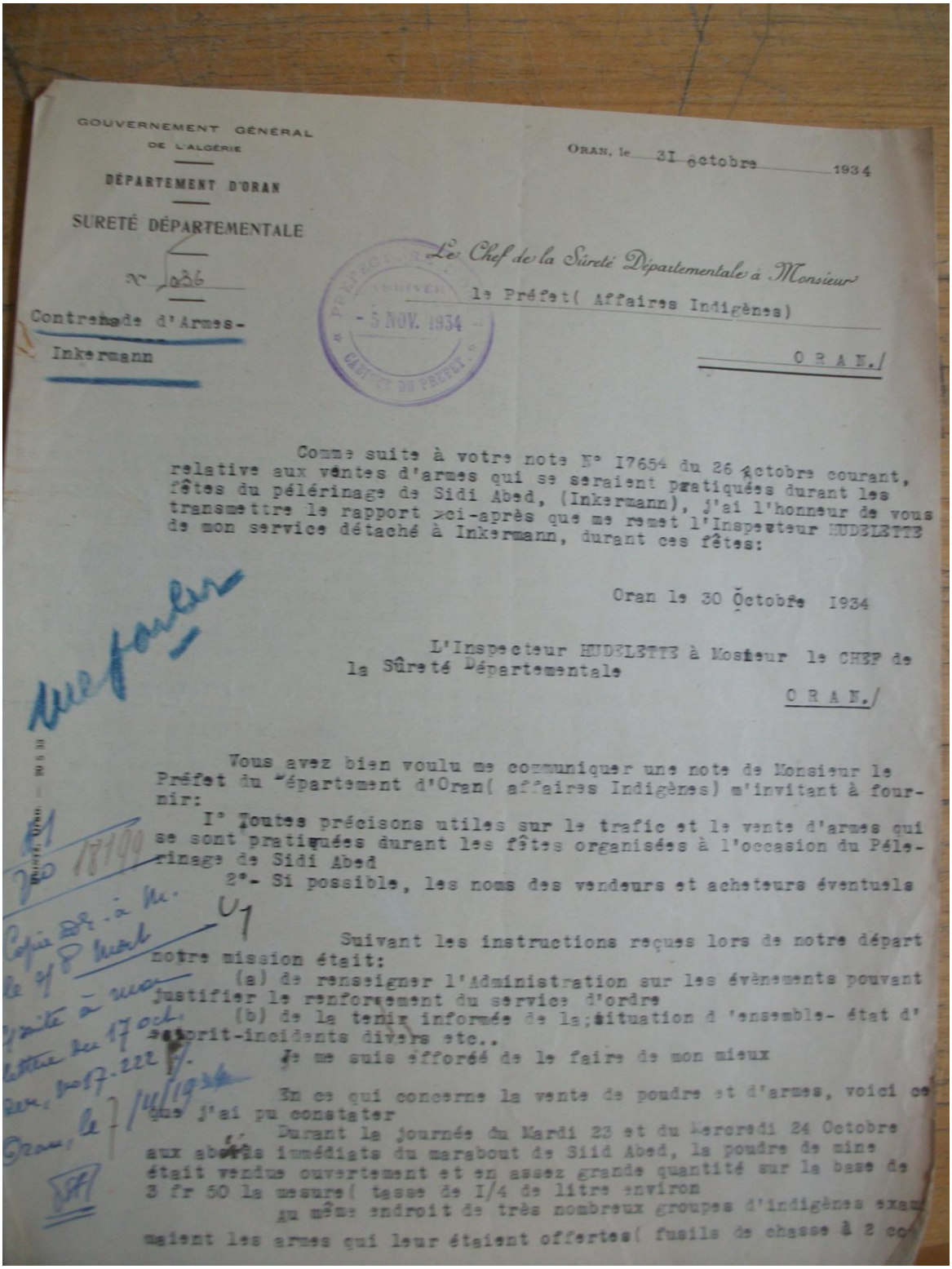

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE

DÉPARTEMENT D'ORAN

SURETÉ DÉPARTEMENTALE

N° 1036

Contrôle d'Armes-
Inkermann

ORAN, le 31 octobre 1934

Le Chef de la Sûreté Départementale à Monsieur
le Préfet(Affaires Indigènes)
ORAN./

- 5 NOV. 1934

Comme suite à votre note N° 17654 du 26 octobre courant, relative aux ventes d'armes qui se seraient pratiquées durant les fêtes du pélérinage de Sidi Abed, (Inkermann), j'ai l'honneur de vous transmettre le rapport ci-après que me remet l'Inspecteur HUDELETTE de mon service détaché à Inkermann, durant ces fêtes:

Oran le 30 Octobre 1934

L'Inspecteur HUDELETTE à Monsieur le CHEF de la Sûreté Départementale
ORAN./

Vous avez bien voulu me communiquer une note de Monsieur le Préfet du Département d'Oran(affaires Indigènes) m'invitant à fournir:

1° Toutes précisons utiles sur le trafic et le vente d'armes qui se sont pratiquées durant les fêtes organisées à l'occasion du Pélerinage de Sidi Abed

2°- Si possible, les noms des vendeurs et acheteurs éventuels

Suivant les instructions reçues lors de notre départ notre mission était:

(a) de renseigner l'Administration sur les évènements pouvant justifier le renforcement du service d'ordre

(b) de la tenir informée de la situation d'ensemble- état d'esprit-incidents divers etc..

Je me suis efforcé de le faire de mon mieux

En ce qui concerne la vente de poudre et d'armes, voici ce que j'ai pu constater

Durant la journée du Mardi 23 et du Mercredi 24 Octobre aux abords immédiats du marabout de Sidi Abed, la poudre de mine était vendue ouvertement et en assez grande quantité sur la base de 3 fr 50 la mesure(tasse de I/4 de litre environ

Au même endroit de très nombreux groupes d'indigènes exam[illegible] maient les armes qui leur étaient offertes(fusils de chasse à 2 co[illegible]

الملحق رقم 11:

مضمون الوثيقة: طلب رئيس بلدية انكرمان بترخيص بتنظيم زيارة سيدي عابد 1929

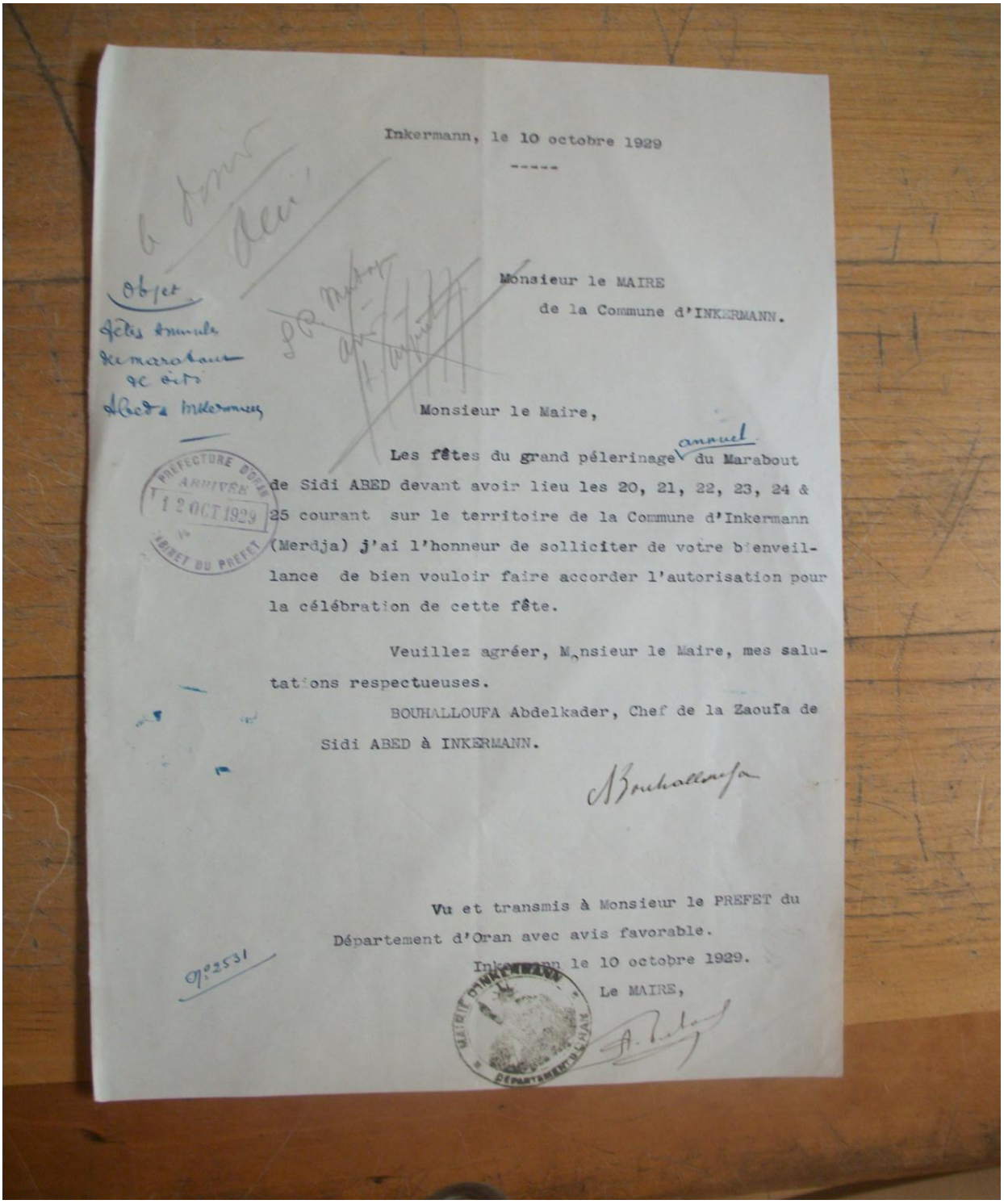

Inkermann, le 10 octobre 1929

Monsieur le MAIRE
de la Commune d'INKERMANN.

Monsieur le Maire,

Les fêtes du grand pélerinage annuel du Marabout de Sidi ABED devant avoir lieu les 20, 21, 22, 23, 24 & 25 courant sur le territoire de la Commune d'Inkermann (Merdja) j'ai l'honneur de solliciter de votre bienveillance de bien vouloir faire accorder l'autorisation pour la célébration de cette fête.

Veuillez agréer, Monsieur le Maire, mes salutations respectueuses.

BOUHALLOUFA Abdelkader, Chef de la Zaoufa de Sidi ABED à INKERMANN.

Vu et transmis à Monsieur le PREFET du Département d'Oran avec avis favorable.

Inkermann le 10 octobre 1929.

Le MAIRE,

c

الملحق رقم14 :

مضمون الوثيقة: طلب لرئيس دائرة وهران بالترخيص لتنظيم زيارة سيدي عابد 1941

Demande d'autorisation de chef de confrère Sidi Aded de pèlerinage au marabout Sidi Abed

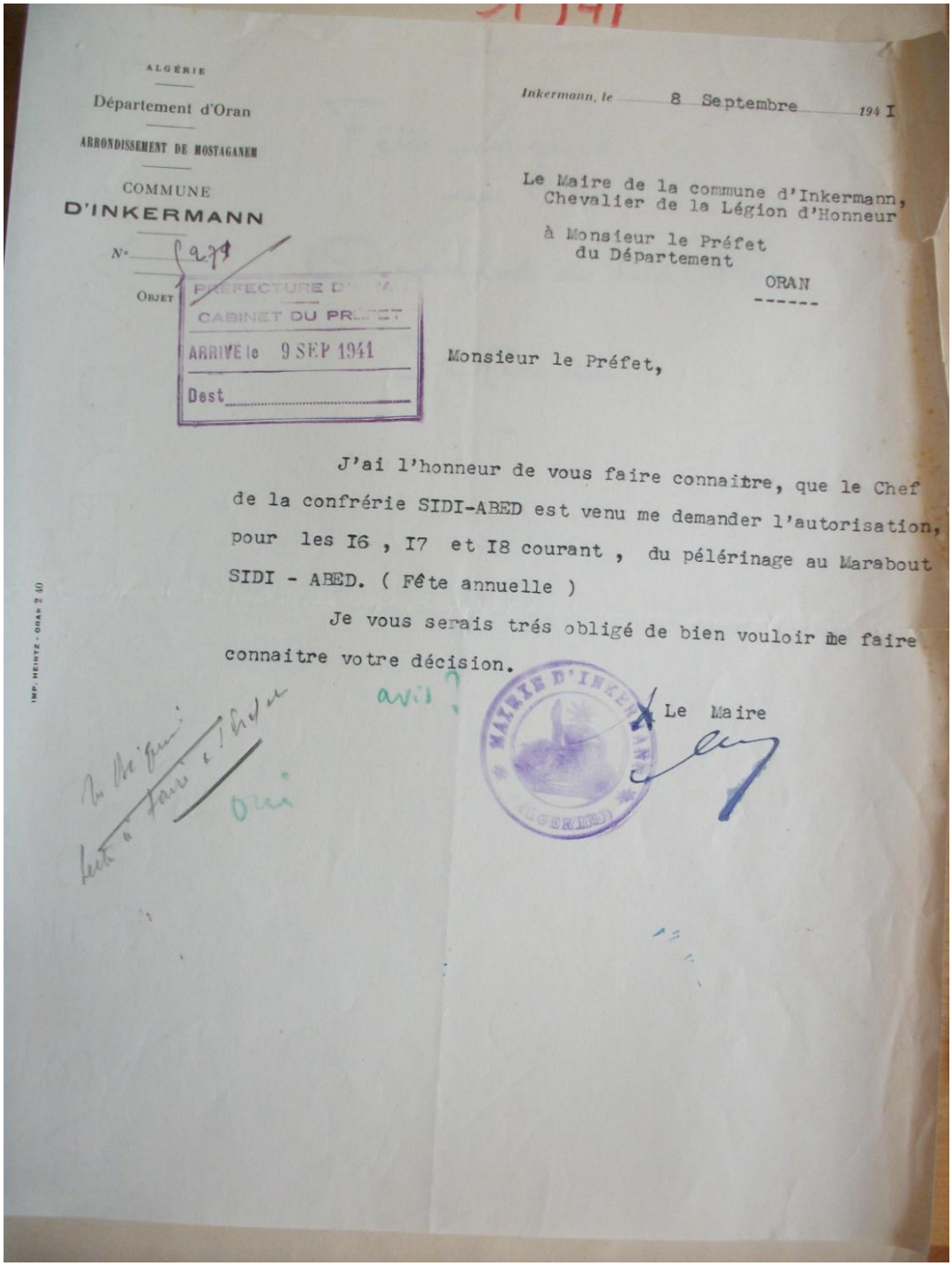

ALGÉRIE

Département d'Oran

ARRONDISSEMENT DE MOSTAGANEM

COMMUNE D'INKERMANN

N° 1979

OBJET

PRÉFECTURE D[illegible]
CABINET DU PRÉFET
ARRIVÉ le 9 SEP 1941
Dest

Inkermann, le 8 Septembre 1941

Le Maire de la commune d'Inkermann,
Chevalier de la Légion d'Honneur

à Monsieur le Préfet
du Département
ORAN

Monsieur le Préfet,

J'ai l'honneur de vous faire connaître, que le Chef de la confrérie SIDI-ABED est venu me demander l'autorisation, pour les I6 , I7 et I8 courant , du pélérinage au Marabout SIDI - ABED. (Fête annuelle)

Je vous serais trés obligé de bien vouloir me faire connaitre votre décision.

Le Maire

MAIRIE D'INKERMANN ALGÉRIE

IMP. HEINTZ - ORAN 2 40

قائمة المصادر والمراجـــع

- **القرآن**

- **الحديث**

.المصادر :

أولا:الأرشيف:

1. أرشيف ما وراء البحار اكس أن بروفنس (Aix en provonce) بفرنسا

- السلسلة F العلبة 16 I فترة 1943/1923وجاء فيها التقارير التالية:

-Le mère de la commune d'Inkermann.sous préfet de département d'Oron . 08/09/1941 n°5279.

- capitaine Dutheil comandant la section de gendarmerie de Tiaret.sous préfet Mostaganem.09/10/1937.n°355/2/

- L'administrateur principal détacher a la sous préfecture de Mostaganem .sous préfet Mostaganem.27/12/1934.n°66

- Le chef d'escadron roubaud comandant de compagnie de gendarmerie d'Oron.le préfet de département d'Oron . 24/10/1941 n°1270/2

- l'adjudant Manjin comandant provisoirement la section de Relizane . sous préfet Mostaganem .27/09/1935.n°280/2

- les inspecteurs Embarek et Boumedien . le commissaire divisionnaire chef de la police mobile du D épartement d'Oron.27/09/1940.N°5815

-Note sur confrérie Bouabdellia 1953.

-Note sur Sidi Abed-Saint patron de la région d'Inkermann

ثانيا:المصادر والمراجع بالعربية:

1. الإبراهيمي البشير ،آثار الإمام البشير الإبراهيمي ،جمع وتقديم احمد طال الابراهيمي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997

2. الإبراهيمي البشير ،اثار الامام البشير الابراهيمي، جمع وتقديم احمد طال الابراهيمي ،مج1،ج3،ط1 ،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان، 1997

3. ابن الجوزي،تلبيس ابليس،ط1،دارالفكر ،بيروت،لبنان،2001

4. ابن انس،مالك الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1985

5. ابن باديس عبد الحميد ، اثار ابن باديس، مج1، اعداد وتصنيف عمار طالبي، الشركة الجزائرية، ط3، الجزائر، 1997

6. ابن باديس عبد الحميد ، تفسير ابن باديس او مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،ج 1، دار الرشيد، الجزائر،ط 1 ، 2009

7. ابن باديس عبد الحميد ، مج2 اعداد وتصنيف عمار طالبي، الشركة الجزائرية، ط3، الجزائر، 1997

8. ابن تيمية،فقه التصوف، ط1 ،دار الفكر العربي، بيروت،لبنان،1993

9. ابن جبير،رحلة ابن جبير،دار صادر. بيروت،1980

10. ابن رجب حنبلي ، جامع العلوم والحكم، ط1، دار ابن كثير ، بيروت. 2008

11. ابن عربي محي الدين ،الفتوحات المكية،ج3،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط1، 1999

12. ابن عقون عبد الرحمان ابن ابراهيم ، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الاولى 1920-1936،ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

13. ابن نبي مالك ، القضايا الكبرى- مشكلات الحضارة، دار الفكر،ط2، دمشق، سوريا، 2000

14. ابن نبي مالك ، مذكرات مالك بن نبي -العفن،ج1، تر نور الدين خندودي، دار الامة، ط1، 2007

15. ابن نبي مالك ، وجهة العالم ألإسلامي تر عبد الصبور شاهين، ط 5، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1986

16. ابي محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني، رسالة بن ابي زيد القيرواني، دار الفضيلة، القاهرة، مصر.

17. الاصفهاني ابي نعيم ، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ج10، 1996، دار الفكر، بيروت، لبنان

18. الافراني محمد بن الحاج ، صفوة من انتشر من اخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، 2004

19. الطاهر بونابي ،التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/ 12 و13 الميلاديين،دار الهدى،عين مليلة ،2004

20. المقدسي ،احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،ط3،مكتبة مدبولي القاهرة،مصر ،1991

21. البصري ابي عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي ، رسالة المسترشدين ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، دار السلام،حلب ، سوريا،ط2، 1971

22. بن خلدون عبد الرحمان بن محمد ،مقدمة ابن خلدون،ج2،تحقيق عبد الله محمد الدرويش،دار البلخي،دمشق،ط1 ، 2004

23. بن عاشور محمد الطاهر ، تحقيقات وانظار في القران والسنة، ط 2 ، دار سحنون، تونس، 2008

24. بن نبي مالك ، إنتاج المتشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، ط1 ، دار الإرشاد ، بيروت 1969

25. بن نبي مالك ، إنتاج المتشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، ط1 ، دار الإرشاد ، بيروت، 1969

26. بن نبي مالك ، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر، دمشق، سوريا،ط2، 1984.

27. بن نبي مالك ، مشكلات الحضارة- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة،ط10، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2011

28. بن نبي مالك، شروط النهضة،تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر،دمشق، سوريا،1986

29. بيفايفر سيمون ، مذكرات آو لمحة تاريخية عن الجزائر، (تحقيق أبو العيد دودو)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974

30. التادلي ابي يعقوب يوسف بن يحي المعروف بابن الزيات ، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار ابي العباس السبتي،تحقيق احمد التوفيق،ط 2،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الرباط،المغرب،مطبعة النجاح بالدار البيضاء، 1997

31. التلمساني احمد بن محمد المقري ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس،مج 7،دار صادر، بيروت،لبنان،1968

32. التليدي عبد الله بن عبد القادر ، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، ط4، الرباط، المغرب الأقصى، 2003

33. الثعالبي عبد الرحمان ،العلوم الفاخرة في النظر في أمور الاخرة، ج1، مطبعة الحميد، الهند1317 هـ

34. جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، دار المعرفة،الجزائر العاصمة،2009

35. الحفناوي أبو القاسم ، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906

36. حماني احمد ، صراع بين السنة والبدعة،ج1، دار البعث.

37. دوتي ادموند ، الصلحاء (مدونات عن الإسلام المغاربي خلال ق 19)، ترجمة محمد ناجي بن عمر، افريقيا الشرق، المغرب، 2014

38. ديسبارمي المدرس جوزيف ،الفوايد في العوايد والقواعد العقايد،مطبعة مورقان، البليدة،1905،

39. رشيد رضا محمد ، تاريخ الأستاذ الأمام الشيخ محمد عبده، الجزء 1، ط1، مطبعة المنار، مصر، 1931

40. الزواوي أبو يعلى ، الإسلام الصحيح،تقديم أبو قاسم سعد الله، منشورات الحبر، بني مسوس، الجزائر، 2008

41. الزياني محمد بن يوسف ،دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي،ط1 ، عالم المعرفة،الجزائر، 2013

42. الزياني محمد بن يوسف ،دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي،ط1 ، عالم المعرفة،الجزائر، 2013

43. السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن ابير بكر ،الدر المنثور في القول المأثور،ج6،تحقيق طارق فتحي السيد،دار الكتب العلمية بيروت،لبنان،2015

44. الشابشتي، الديارات ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط2 ، 1966

45. الشاطبي، الاعتصام، تحقيق سليم بن عيد الهلالي،ج1، ط1، دار ابن عفان، السعودية، 1992

46. الشعراني عبد الوهاب ،الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ،تحقيق طه عبد الباقي والسيد محمد الشافعي،ج1،مكتبة المعارف،بيروت لبنان،1988

47. الشعراني عبد الوهاب ،الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ،تحقيق طه عبد الباقي والسيد محمد الشافعي،ج1،مكتبة المعارف،بيروت لبنان،1988

48. الشوكاني محمد بن علي بن محمد ، نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار ، اخرج احاديثه رائد بن صبري بن ابي علفة، ط1، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004

49. الشوكاني محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، مج1، 2010 ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية

50. الصنعاني محمد بن إسماعيل ، تطهير الاعتقاد من ادران الالحاد،مكتبة الامام الوادعي، ط1، اليمن، 2009.

51. العبدري، المدخل لابن الحاج، ج4، دارالتراث، القاهرة، مصر.

52. علي الجرجاني، التعريفات، ط1،شركة القدس،القاهرة،مصر،2007

53. علي الصعيدي العدوي،كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن ابي زيد القرواني مع حاشية العدوي، ج2، ط1، مطبعة المدني، القاهرة، 1987

54. الغماري احمد عبد الله بن الصديق ، احياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور،ط1، مكتبة القاهرة، 2008

55. القرطبي ابن رشد ، المدونة الكبرى للامام مالك بن انس، ج1، ط1، البداية، مصر، 2012

56. القرطبي أبو العباس ، المفهم لما اشكل من تلخيص الامام مسلم، تحقيق محي الدين ديب واحمد محمد السيد ويوسف علي بديوي ومحمود إبراهيم بزال، ج2، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1996

57. القرطبي محمد بن وضاح ، البدع والنهي عنها، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم، ط1، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1995.

58. القرطبي محمد بن وضاح ، البدع والنهي عنها، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم، ط1، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1995

59. القشيري ابو القاسم ، الرسالة القشيرية، مطابع مؤسسة دار الشعب،القاهرة، مصر،1989

60. القيرواني ابي فارس عبد العزيز محمد ، الفتوى المالكية في أفعال الصوفي، تحقيق ابي احمد علي الكندي المرر، مؤسسة بينونة ، أبو ظبي ،الامارات العربية المتحدة، 2009

61. القيرواني ابي محمد عبد الله بن ابي زيد ، رسالة بن ابي زيد القيرواني، دار الفضيلة، القاهرة، مصر.ب.ت

62. الكتاني ابي عبد الله محمد ، سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن اقبر من من العلماء والصلحاء بفاس، ج1، تحقيق عبد الله الكامل وحمزة بن محمد الطيب ومحمد حمزة بن علي الكتانيين، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 2004

63. المختاري الطيب بن المختار الغريسي ، القول الأعم في بيان انساب قبائل الحشم، المطبعة الخلدونية التلمسانية.ب.ت

64. الميلي مبارك بن مُحَّد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح مُحَّد الميلي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر

65. الميلي مبارك بن مُحَّد ،رسالة الشرك ومظاهره ،تحقيق ابي عبد الرحمان محمود، دار الراية،السعودية،ط1، 2001

66. الناصري أبو العباس احمد بن خالد ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، تح جعفر الناصري ومُحَّد الناصري، ج8،دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب الأقصى،1997.

67. الناصري مُحَّد بن اليمني ، ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكسار، المطبعة الأهلية، الرباط.ب.ت

68. الهجويري أبو الحسن علي بن عثمان ، كشف المحجوب،تر اسعاد عبد الهادي قنديل، ج1،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2007

69. الورتيلاني الفضيل ، الجزائر الثائرة، ط 4، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009

70. الونشريسي ابي العباس احمد بن يحي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقية والمغرب،مج 11، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، المغرب، 1981

المصادر باللغة الاجنبية:

1. Basset Henri, Le culte du grotte au Maroc. Alger. Ancien maison-Bastide. Jourdan. Jules Carbonale.1920.
2. Depont Octave et Coppolani Xavier,les confrère religieuse musulmanes,typographie et lithographie jourdan, 4 place du gouvernement 4 , Alger ,1897.
3. Dermengham Emile,le culte des saint dans l'islam maghrébin
4. Devaux Charles,les kebailes du Djerdjera-etudes nouvelles sur les pays vulgairment appelés- la grande kabylie,camoin frère libraire editeur,challamele,rue du boulangers 30,Paris-France,1859.
5. Doutté Edmond ,Notes sur l'islam maghribin-Les mirabouts, ,extrait de la revue de l'histoire des religions,tome40-41 ,paris,Ernest Leroux 28,rue Bounaparte,1900.
6. Doutté Edmond , En Tribu .Mission au Maroc. Paul Gauthner Editeur.Paris,1914.
7. Doutté Edmond,islam Algerien en l'an 1900,Giralt imprimeur,17 rue du colone ,alger-Mustapha,1900.
8. Eliade Mircea Eliade, Traité d'histoire des religions, Paris, 1994.
9. Gael.A, En Algerie ; Libraire centrale des publication populaires, E.JI. Martin, directeur, 45, Rue des Saints - Pière 45, Paris-France, 1881.

10. Gaudry Mathéa ,la societe feminine au djebel Amour et au Ksel,etude de sosiologue rurale nord-Africaine ,socite Algerienne d impressions diverses ,Alger ,1961.
11. Goichon Amélie Marie,la vie fiminine au Mzab-étude de sociologie musulmane,librairie orientaliste Paul Geuthner,13 rue Jacob,Paris,1927.
12. Hanoteau Adolphe, Aristide *Letourneux*, La Kabylie et les coutumes Kabyles, tome2, challamel Aîné librairie,paris,1873.
13. Lavion .H,l'Algérie musulmane dans la passé,le présent et l'avenir,Augustin Challame,rue Jacob 17,Paris,1914.
14. Martin .A-G-P ,Précis de sociologie nord Africaine,p1,Ernest Leroux editeur,28 rue Bonaparte,1913,paris
15. Maspero. G , Histoire ancienne des peuples de l'Orient (11e édition revue). librairie HACHETTE ET Cie .Paris.1912
16. Moret .A, Le Nil et la Civilisation Egyptienne , L'évolution de l'humanité, Paris, 1926.
17. Rinn Louis,Marabouts et khouan-étude sur L'islam en Algérie,Adolphe Jordan éditeur,Alger,1884.
18. Rouquette L'abbé,sociétés secrètes chez les musulmans ,J.Briguet -éditeur, Rennes-Paris,1899.
19. Rouquette L'abbé,sociétés secrètes chez les musulmans ,J.Briguet éditeur, Rennes-Paris,1899.
20. Trumelet Corneille,Blida récit selon légende-la traduction et l'histoire,tome 1,Adolphe Jordan éditeur4place de gouvernement,Alger ,1887.

21. trumelet Corneille,L'Algerie légendaire ça et la aux tombeau des principeax thaumaturge de l'islam (tell et sahara),Augustin Challamel editeur,17 rue Jaeob,Paris-France,1892

22. -Jean servier ,tradition et civilisation berbere,editions du rocher,28 rue comte-félix-gastaldi,Monaco-France,1985.

23. -trumelet Corneille,Les saints de l'islam (légendes hagiologiques et croyances Algérienne – les saint du tell),Didier et Cie libraire editeur,35 Quai des Augustins ,Paris-France,1881.

المراجع بالعربية:

1. أبو سفيان مصطفى ، عقيدة الامام مالك السلفية، ط1، دار ضياء، طنطا، مصر،2003

2. الأخضر ضيف الله محمد ، محاضرات في النهضة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980

3. –ادريس محمود ادريس، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية،مج 1 ، مكتبة الرشد ، المملكة العربية السعودية ، ط2 ، 2005.

4. الأفغاني شمس الدين السلفي ، جهود علماء الحنفية في أبطال عقائد القبورية،ج1 ، دار الصميعي ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1 ، 1996

5. –الجوهري محمد ، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية ، ج1، دار الكتاب ، القاهرة ، ط1، 1978

6. –السواح فراس ، دين الإنسان ،دار علاء الدين ، دمشق،سورية، ط4 ، 2002.

7. باحو مصطفى ، علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم،ط1، ، منشورات السبيل، الامارات. 2007

8. البختي جمال علال ، الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري،ط1، ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، مصر،2005.

9. البركوي محي الدين محمد ،زيارة القبور الشركية والشرعية ،الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء،السعودية، ط6 ، 2012

10. بريتشارد ا.ايفنز ،الاناسة المجتمعية وديانة البدائيين في نظرية الاناسين،ترجمة حسن قبيسي ،دار الحداثة،بيروت ،لبنان، ط1 ، 1986.

11. بن سمينة محمد ، صفحات من اسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الحديثة، دار مدني

12. بن يوسف زهير ،الصوفية بافريقيا ،ط1 ،دار المسيرة،تونس،2018.

13. البنداق محمد صالح ، المستشرقون وترجمة القرآن، ط1، منشورات دارالآفاق الجديدة ، بيروت، 1980.

14. البهي محمد ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي،ط 4، مكتبة وهبة ، تونس.

15. بولحية نور الدين ، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، ط1، دار علي بن زيد ، بسكرة، الجزائر. 2015

16. بيومي زكريا سليمان ، العرب بين القومية والاسلام قراءة إسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر، ط1، دار القاهرة، مصر، 2002.

17. الجابري صلاح ، الاستشراق قراءة نقدية، ط1،دار الأوائل،دمشق، سوريا، 2009.

18. جمعية العلماء المسلمين شعبة وادي ارهيو،تاريخ منطقة وادي ارهيو من العصر القديم الى الفترة الحديثة،،ط1،دار الكفاية،الجزائر، 2015.

19. جميل صليبيا ، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، 1982.

20. الجندي أنور ، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، 1965.

21. الحاج احمد رريب الله ،شلف الأسفل ابان العصر الوسيط المتاخر والعصر الحديث (بنو زروال بين المغربين الأقصى والاوسط انموذج القبيلة المرابطية)،دار خيال،برج بوعريريج، الجزائر،2021.

22. حنفي حسن ،في الثقافة السياسية – أراء حول أزمة الفكر والممارسة في الوطن العربي ،دار علاء الدين،دمشق، ط1 ،1998.

23. داغر يوسف أسعد ، مصادر الدراسة الأدبية ، ج2، ط2 ، المطبعة المخلصية ، بيروت ، 1961.

24. الدراجي بوزياني ، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية،مؤسسة بوزياني،الجزائر،2013.

25. الزاهي نور الدين ،المقدس والمجتمع،إفريقيا الشرق،المغرب،2011.

26. الزبيدي محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس،ج 6،تح حسين نصار، مطبعة الكويت، الكويت. 1969

27. زروقة عبد الرشيد ، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر(1913-1940)، ط1، دار الشهاب، بيروت، 1999.

28. زقزوق محمود حمدي ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، مصر.

1. سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار البصائر، ط6 ، الجزائر، 2009

2. سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، دار البصائر، ط6 ، الجزائر، 2009

1. سعد الله أبو قاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1998

2. سعد الله أبو قاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1998

3. سعد الله أبو قاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1998

4. سعد الله أبو قاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1998

5. سعد الله أبو قاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1998

29. سليم شاكر مصطفى ، قاموس الانتثروبولوجيا- انجليزي عربي،جامعة الكويت،ط1 ،1981.

30. سمايلوفتش أحمد ، فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،1998 .

31. شلحت يوسف ، نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني (الطوطمية-اليهودية-النصرانية-الإسلام)،تحقيق خليل احمد خليل، دار الفرابي ، بيروت ، لبنان، ط1 ، 2003.

32. طوالبي نور الدين ، الدين والطقوس والتغيرات، ترجمة وجيه البعيني ،ديوان المطبوعات الجامعية،ط1 ، 1988.

33. عبد الخالق عبد الرحمان ، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، ط2 ، ، مكتبة ابن تيمية، الكويت. 1984

34. العبدة محمد ، مالك ابن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي،ط1، دار القلم، دمشق، سوريا. 2006

35. عجالي كمال ، الفكر الإصلاحي في الجزائر الشيخ الطيب العقبي بين الاصالة والتجديد، ط1، ، شركة مزوار للطباعة والنشر، الوادي، الجزائر. 2005

36. العجيلي التليلي ،الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية1881-1939،المجلد 2،كلية الآداب بمنوبة جامعة تونس،1992.

37. العدوي علي الصعيدي ،كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن ابي زيد القرواني مع حاشية العدوي، ج2، ط1، مطبعة المدني، القاهرة. 1987

38. العربي بوحسون ، الاستشراق والانتروبولوجيا والاستعمار – دراسة تحليلية للعلاقة، مجلة الانسان والمجتمع،العدد 02، ج2، ديسمبر 2011.

39. العربي عقون محمد ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم ،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون،الجزائر. 2008

40. -علي زيغور ،الكرامة الصوفية الأسطورة والحلم(القطاع اللا واعي في الذات العربية)دار الأندلس،ط2،،بيروت لبنان. 1984

41. عليش محمد ، شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل، ج1، دار الفكر، ط1، بيروت، لبنان. 1984

42. عمارة محمد ، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر.

43. فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني،ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2002.

44. المجبري عبد الرزاق ، المزار في كتب الجغرافيين والرحالة العرب من القرن الرابع الى القرن السادس للهجرة،،مجمع الأطرش،تونس.

45. –محمد عابد الجابري، بنبة العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية،ج2،ط9،،مركز دراسات الوحدة العربية،لبيروت لبنان2009.

46. محمود مقديش،نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والاخبار ،تحقيق علي الزواريي ومحمد محفوظ ،المجلد 2،دار الغرب الإسلامي ،ط1 ،بيروت، لبنان. 1988

47. مراد علي ، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر –بحث في التاريخ الديني والاجتماعي 1925–، تر محمد يحياتن،ط 2، 1999،دار الحكمة، الجزائر. 1940

48. مراد يحي ، معجم أسماء المستشرقين، منشورات محمد علي بيضون ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 .

49. مراد يحي ، معجم أسماء المستشرقين، منشورات محمد علي بيضون ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004.

50. مريوش احمد ، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة، الجزائر،2012.

51. –مصطفى فاروق ، الموالد–دراسة للعادات والتقاليد الشعبية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،الإسكندرية ،مصر ،1980.

52. –مكحلي محمد ، الاولياء والصلحاء في الجزائر الظاهرة والجذور، دار القدس العربي، وهران، 2020.

53. مكحلي محمد ، سيدي بلعباس البوزيدي ولي وولاية –دراسة تاريخية انتروبولوجية، دار القدس العربي، وهران. 2018

54. منديب عبد الغني ،الدين والمجتمع –دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب،افريقيا الشرق،المغرب،2006.

55. المودودي أبو الأعلى ، موجز تاريخ الدين وتجديده وواقع المسلمين والنهوض بهم، دار الفكر الحديث، لبنان ،ط 2 ، 1967.

56. المودودي أبو الأعلى ،نحن والحضارة الغربية، دار الفكر، دمشق، سوريا.

57. ميتز ادم ، الخضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي محمد أبو ريدة، ج2، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة،2008.

58. نارون قدور، درب الولجة ونور البهجة في ذكر فروع سيدي عابد خضر المرجة،، ط1، ، شركة الاصالة للنشر، برج الكيفان، الجزائر. 2023

59. النشار علي سامي ، نشأة الدين النظريات التطورية والمؤلهة ،دار السلام ،ط1،القاهرة.2009

60. هلال عمار ، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847 – 1918، دار هومة، الجزائر، 2007.

61. هويدي يحي ،تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الافريقية،ج1 ، ، ، مكتبة النهضة المصرية، مصر. 1965

62. يوسف أسعد داغر ، مصادر الدراسة الأدبية ، ج2، ط2 ، المطبعة المخلصية ، بيروت ، 1961.

المراجع بالاجنبية:

- Said Edward , orientalism, vintage books,new york,1979

ثالثا :الرسائل والأطروحات الجامعية:

1. بشير فايد، قضايا العرب والمسلمين في اثار الشيخ البشير الابراهيمي والامير شكيب ارسلان، منشورة، ج1، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري بقسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، السنة الجامعية 2010/2009

2. فلاحي رابح ، جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر (1908-1954)، رسالة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ الحركة الوطنية المغاربية، منشورة،جامعة منتوري قسنطينة،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الاثار،2007-2008

3. مطبقاني مازن صلاح حامد ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية 1921-1931، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، اشراف محمد عبد الرحمان برج، 1985

رابعا: المقالات

1- البرج مُحَّد ، الجزائر في كتابات مُحَّد عبده، مجلة الأصالة، العدد 52، 1987

2- أوفة سليم ، الشيخ عبد القادر المجاوي وإسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة (1848-1914)، مجلة قضايا تاريخية، تيدكلت، الجزائر، العدد01، 2016

3- بيشي مُحَّد عبد الحليم ، الامام مُحَّد الصالح بن مهنا اثاره العلمية وافكاره الإصلاحية، حوليات جامعة الجزائر، مج35، العدد2، 2022

خامسا: الجرائد:

1-بالاجنبية:

1-La Ziara de Sidi Abed , L'Afrique du Nord illustrée , 1924/02/23 (A19,N147),20 octobre 1928.

2- Rénis-Elie Ammar, le Progrès,la grande ziara de Sidi Abed s'est déroulée devant des milliers de pèlerins, premiere anné,n°2, 24 octobre 1935.

1-بالعربية:

- البصائر: 1936-1937-1938-1939-1948- 1949-1954
- الشهاب 1926-1927-1928-1930-1931-1932-1934
- المنتقد 1925
- الصراط السوي:1933-1934
- -الشريعة: 1933
- الإصلاح: 1947
- البلاغ: 1927-1928-1929-1930-1932

- لسان الدين: 1355- 1356هـ

سادسا: القواميس والموسوعات:

1. -ابن منظور ،لسان العرب ،المجلد 12،دار،بيروت لبنان،ط3 ، 1414 هـ
2. -ابن منظور، لسان العرب،مج 15 ، دار صادر بيروت،د س
3. -ابن منظور،لسان العرب،ج4،المطبعة الميرية،مصر،ط1 ، 1300هـ
4. -الألوسي محمود الألوسي، روح المعاني، ج27 ، دار إحياء التراث العربي،بيروت لبنان
5. -البستاني المعلم بطرس البستاني ،محيط المحيط ، مطبعة تيبو براس،لبنان ، 1987
6. -الرازي محمد ابن ابي بكر ،مختار الصحاح،تحقيق يوسف الشيخ محمد،مكتبة لبنان،بيروت،1986
7. -بن زكرياء احمد بن فارس ،معجم مقاييس اللغة ،تحقيق عبد السلام محمد هارون،ج3،دار الفكر،بيروت،1979
8. -بونت بيار ، ميشال ايزار، معجم الاثنولوجيا والانتروبولوجيا، تر مصباح الصمد،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع"مجد"،

9. –بونت بيار وايزار ميشال ايزار، معجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا، ترجمة مصباح الصمد ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ،بيروت،لبنان ،ط2 ، 2011

10. –معلوف لويس ، المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، لبنان ، ط19 ،2010

سابعا: المواقع الالكترونية:

–www.gallica.bnf.fr.

–عبد الرحمان الهاشمي، أثر الشرك بالله وحقائق عن دعم فرنسا الصوفية ودعمها لعبادة القبور والأضرحة، https://www.youtube.com/watch?v=wPTMmLMOYQw

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

الإهداء

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

مقدمة 01

الفصل الأول

الاطار المعرفي والمفاهيمي لظاهرة المواسم والتأصيل لها

المبحث الأول: الاطار المعرفي والمفاهيمي.....12

1- الدين 13

2- المعتقد 15

3- الطقس 16

4- الأسطورة 17

5- المقدس 18

6- المواسم 20

7- الاضرحة 25

المبحث الثاني: تاريخية الأضرحة وحضورها في الديانات 30

1 – عند غير المسلمين 30

2- عند المسلمين 33

المبحث الثالث: أصول الولاية وارتباطها بالصلحاء 39

1- الولي والولاية 39

2- من الرباط الى القداسة 42

الفصل الثاني:

مواسم الاضرحة طقسا وممارسة

المبحث الأول: ظاهرة الصلاح وارتباطها بأضرحة الجزائر.....49

1- انتشار الصلحاء وحضورهم في مجتمعات الجزائر.....50

2- مكانة الصلحاء في المجتمع الجزائري.....52

4 - مركبات الضريح و سيميولوجياتها.....57

المبحث الثاني: احياء مواسم الاضرحة خلال الفترة الاستعمارية.....60

1 - جينيالوجيا المواسم 60

2 - الابعاد الدينية والسياسية لشهود مواسم الاضرحة.....60

3 سيرورة المواسم وطقوسها.....61

المبحث الثالث: زيارة سيدي عابد انموذجا.....73

1 - سيدي عابد الأصول والانتماء.....73

2-سيدي عابد قبلة الزوار.....76

الفصل الثالث

الطرق الصوفية والحركة الإصلاحية بين التقاطع والقطيعة

المبحث الأول: الأصول التاريخية للطرقية في الجزائر.....83

1- مفهوم التصوف.....83

2- التصوف في الجزائر 86

3-ظهور الطرقية.....87

المبحث الثاني: الأصول التاريخية للإصلاح في الجزائر.....93

3- مفهوم الإصلاح.....93

4- ظهور الإصلاح في العالم الإسلامي.....95

5- ظهور الفكر الإصلاحي في الجزائر 96
أ- عوامل ظهور الإصلاح في الجزائر 96
ب- النواة الأولى للفكر الإصلاحي في الجزائر 101
ج- ظهور الحركة الإصلاحية مطلع القرن العشرين 109
المبحث الثالث: العلاقة بين الطرقية والاصلاح.....112
1- مرحلة التوافق.....112
2-مرحلة الخلاف 112
3-الجمع بينهما 113
4 - التهم المتبادلة بين الطرقيين ورجال الاصلاح.....114
5- اهم المسائل الخلافية العقدية بين الطرفين.....117
أ - البدعــة 118
ب- الولايــة والكرامة 118
ج- الاستغاثة 120
د- المواسم والأضرحة.....122

الفصل الرابع

جدلية المواسم عند الطرقيين والاستعمار بين الدعم والتضييق

المبحث الاول: المواسم عند الطرقيين بين الدعم والتضييق.....125
1- البدعة 125
2- الكرامة.....126
3- ظاهرة التقديس.....129
4- البناء على القبور وتقبيلها.....130
5- التوسل والاستغاثة.....132

6- الاستشفاء.....136
7- جمع النذور والزيارة.....137
8- النذور والزيارة خط احمر.....138
9- رجال الطرقية ليسوا سواء.....140
المبحث الثاني: مواسم الأضرحة في دائرة اهتمام الاستعمار.....145
1-العلاقة بين الاستعمار والانتروبولوجيا والاستشراق.....145
2- الاستشراق في مواجهة النهضة.....148
3- اعتناء الاستشراق الفرنسي بظاهرة الاضرحة والصلحاء.....152
4-المواسم في سياسة فرنسا الاستعمارية بين التدجين والتقنين.....153

الفصل الخامس

الإصلاح بين التغلغل في المجتمع والتصدي للغلو في المواسم

المبحث الاول: صدى الإصلاح ومختلف المواقف منه في المجتمع الجزائري.....164
1- الإصلاح بين التشدد والاعتدال.....165
2- الزردة وخطورتها على روح الأمة.....168
3- الإصلاح آلية لايقاظ المجتمع.....169
4- دور الإصلاح في تصحيح بعض المفاهيم 171
أ-التحذير من الشرك 171
ب- البدعة.....175
ج- التصوف.....177
د-الولاية.....178
هـ- الكرامة 181
المبحث الثاني: موقف الإصلاح من محدثات المواسم.....183

1-التجصيص على القبور.....183
2-بناء المشاهد.....192
3-الاستغاثة والتوسل.....195
4-النذور والتمائم.....199
5-الأطعمة والذبائح.....202
6- الخصوبة والاستمطار.....205
الخاتمة 207
الملاحق.....215
قائمة المصادر والمراجع.....232
فهرس المحتويات.....255

الملخص:

يعتبر موضوع المواسم الدينية المرتبطة بالأضرحة موضوعا هاما وحساسا في حياة المجتمع الجزائري، باعتباره رابطا مهما بين أفراده فهو عيد بالنسبة لهم يحيونه كل سنة، مضبوط زمانه ومكانه، يشترك أفراده في الطقوس والممارسات، وتزيد حساسية قضية هذه المواسم لارتباطها بفترة الاحتلال الفرنسي للجزائر بين 1830–1962، هذا الأخير الذي عاث فسادا وحاول بشتى الطرق أن يستغل هذه المواسم لإطالة أمد مكوثه مزيفا للحقائق وكابحا لكل محاولة نهضة، الأمر الذي خلق جبهات متجاذبة داخل المجتمع الواحد بين داعم لهذه المواسم ورافض لها.

الكلمات المفتاحية: إحياء، المواسم، الأضرحة، الإصلاح، الطريقة، الاستشراق، الولاية، الكرامة، الاستغاثة، الطقوس، الممارسات.

Summary:

The subject of religious seasons associated with shrines is considered an important and sensitive issue in the life of Algerian society, as it is an important link between its members. It is a holiday for them that they celebrate every year, with a specific time and place, and its members participate in rituals and practices. The sensitivity of the issue of these seasons increases due to its connection to the period of the French occupation of Algeria between 1830-1962. The latter spread corruption and tried in every way to exploit these seasons to prolong its stay, falsifying the facts and curbing every attempt at renaissance, which creates opposing fronts within a single society between those who support these seasons and those who reject them.

Keywords: Revival, seasons, shrines, reform, tariqa, orientalism, state, dignity, cry for help, rituals, practices.